

قبسات من سيرة
الإمام الخميني

الحالات العبادية والمعنوية

الدار الإسلاميّة

قبسات من سيرة الإمام الخميني(قده)

الحالات العبادية والمعنوية

بسم الله الرحمن الرحيم

قبسات من سيرة
الامام الخميني (قده)

الحالات العبادية والمعنوية

إعداد
غلام علي الرجائي

ترجمة
عرفان محمود

الدار الإسلامية
بيروت - لبنان

اسم الكتاب : قبسات من سيرة الإمام الخميني (قده)
خصاله الروحية وحالاته العبادية
إعداد : علي غلام الرجاني
ترجمة : عرفان محمود
الناشر : الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع
تاريخ الطبع : الطبعة الأولى ٢٠٠٢م/ ١٤٢٣هـ



حارة حريك - شارع دكاش - مقابل مدرسة الليسيه أميكال مودرن
هاتف: ٠١/٥٥٣٨٦٣ - ٠٣/ ٣٨٩١٦٦ - ص.ب: ١٤/٥٦٨٠
WWW-DARALISLAMIA.COM INFO@DARALISLAMIA.COM

مقدمة الناشر

انطلاقاً من إتمام هذا العمل المبارك، إصدار كتاب قبسات من سيرة الإمام الخميني (قده)، تواصل الدار الإسلامية رفد المثقف والقارىء العزيز بإصدارها الجديد من القبسات، وهو يتناول الجوانب العبادية والمعنوية من حياة الإمام العظيم والتي تجلّت فيها الروح العالية للإمام، والنفس الكبيرة التي عزمت على تجسيد الإسلام سلوكياً والتي قهر فيها الإمام نوازع عالم المادة وأطلق لها نوازع السمو إلى الكمال محكماً فيها العقل الكبير مما أذهل الكثير وبان عجزهم عن مباراته في سيرة التكامل. وقد انطلق بسيره المبارك مقتدياً بالصالحين من آبائه الغرّ الميامين الأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والدار الإسلامية إذ تنشر هذا الكتاب ـ **قبسات من سيرة الإمام الخميني** ـ خصاله الروحية وحالاته المعنوية تأمل أن يزداد القارىء العزيز غوراً في شخصية الإمام الراحل (قده)، واستشراف مضامين سلوكه العظيم وتعاهد القارىء الكريم على مواصلة السعي الدؤوب في نشر الثقافة الهادفة التي تبني الإنسان في أعماقه الخيرة.

ومن الله نستمد العون

الدار الإسلامية

مقدمة المترجم

يختص هذا الجزء ـ وهو الثالث من هذه المجموعة ـ بعرض طائفة مباركة من الذكريات تلقي بعضَ الأضواء علىٰ جانب من الخصال والحالات المعنوية والعبادية للعارف الخميني ـ رضوان الله عليه ـ ولا ريب أنها لا يمكن أن تبين جميع المقامات المعنوية لهذا العارف الرباني الجليل، والولي المخلص، لأنّ مما لا شك فيه، أنه ـ قدس الله نفسه الزكية ـ كان يتكتم علىٰ الكثير من هذه المقامات، فقد عرف بشدة تكتمه بشأن حالاته الخاصة مع مولاه الحق جل جلاله، وما كان يشاهده من تجلياته تبارك وتعالىٰ، وما كان يحظىٰ به من كرامات، كما أنه قد عرف بتشدده [ـ أيام حياته ـ في نهيه الذين شاهدوا شيئاً من كراماته أن يتحدثوا لأحدٍ عنها]، ونهيه المشدد لهم عن الكتابة عن حالاته الأخلاقية والعرفانية وما ظهر منها، وحزمه في منع المقربين منه عن مدحه ونشر فضائله.

ولكن علىٰ الرغم من هذه المحددات، يمكن لطالبي مقامات القرب الإلهي والكمال الإنساني، التعرف من خلال هذه الطائفة المباركة من الذكريات، على أبرز أركان منهج الإمام الراحل ـ وهو في الواقع مستلهم من منهج مدرسة الثقلين: القرآن الكريم وأهل بيت النبوات صلوات الله عليهم أجمعين ـ في السير والسلوك إلىٰ الله، وبهذا المنهج المبارك، وبالالتزام الجدي به ـ وبهمةٍ عاليةٍ ـ إلىٰ تلك المقامات السامية في الولاية لله جل جلاله، والقرب منه وطي معارج الكمال.

ولا يخفىٰ أن في التعرف علىٰ هذا المنهج السلوكي ثمرة عظيمة لطلاب الهداية إلىٰ طريق لقاء الله، إذْ أنَّ اجتهادهم في الإقتداء بهذه

الشخصية الربانية، فيما كان يعمل به ويطبقه بجد واجتهاد، من فقرات منهج مدرسة الثقلين في السير والسلوك إلىٰ الله جل جلاله نقول: اجتهادهم في ذلك، هو مفتاح فوزهم ـ [وبمقدار ما تتسع له أوعيتهم الوجودية] ـ مما فاز به العارف الخميني من بركات لا توصف، بفضل اقتدائهِ بسيرة أهل بيت النبوة ـ صلوات الله عليهم ـ. أجل من الضروري الإلتفات هنا، أن هذا الاجتهاد في الإقتداء ينبغي أن يكون معتمداً أسلوب التدرج في العمل بما عمل ـ رضوان الله عليه ـ وملاحظة ما تطيقه النفس، وشروط تطويعها برفق لمقتضيات هذا الطريق النيّر.

ويمكن التعرف علىٰ أهم أركان هذا المنهج المستقيم في السير والسلوك إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ من خلال التدبّر في شدّة التصاقه وأنسه ـ رضوان الله عليه ـ بالقرآن الكريم، كنز الهداية الربانية، ومخزن خطابات المولىٰ جل وعلا، ومناجاته لعباده وأوليائه، وفي شدّة تعبده ـ رحمه الله ـ وخضوعه وتهجده وتضرعه ومناجاته لله جل وعلا، في الأسحار، ودوام ذكره ومراعاة حرمة حضوره، في كل حركاته وسكناته. وفي شدّة عشقه وحبه ـ قدس الله نفسه الزكية ـ لموالي كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ، أهل بيت النبوة ـ صلوات الله عليهم ـ وإحيائِهِ لأمرهم وتعظيمه لشعائرهم وغيرته القدسية علىٰ حرماتهم، فهم مصدر كل خير ووسيلة كل طالب للقرب الإلهي. وكذلك في صدقه في المحافظة علىٰ الصلاة، وفي أول أوقاتها، وهي المحطات اليومية المباركة والمفتوحة أبوابها كل يومٍ، لمن يرغب في «لقاء الله» تبارك وتعالىٰ. وكذلك في شدّة ورعه وتقواه عن كل ذنب وكل معصية صغيرة كانت أو كبيرة، فهي العقبات الصادّة عن طريق قرب الحق جل وعلا، المبعدة عن حضرته القدسية. وكذلك في شدّة اهتمامه بالقيام بالمستحبات واجتناب المكروهات، وفي ذلك يكمن وقود طي منازل القرب، فكل طاعة ـ سواء كانت أداء واجب أو مندوب أو عبادة أو ترك مكروه، هي براق يوصل الإنسان إلىٰ أحد منازل القرب الإلهي.

وكذلك في شدة إخلاصه ـ رضوان الله عليه ـ في ابتغاء رضا الله عز وجل في كل حركاته وسكناته، فهذا الإخلاص هو مفتاح جعل كل الحركات والسكنات وسائل موصلة إلىٰ الله تعالىٰ، لا إلى السراب الذي يتوهمه الإنسان ماءً.

كما تكشف لنا هذه الذكريات ـ من جهة أخرىٰ ـ عن بعض خصاله المعنوية التي تحلىٰ بها ـ رضوان الله عليه ـ ببركة العمل بوسائل السير والسلوك المشار إلى بعضها آنفاً، وهي ثمرة تخلقه بأخلاق الله وخلّص أوليائه ـ صلوات الله عليهم ـ من سعة الصدر والعفو والصفح والتواضع والتوكل علىٰ الله تبارك وتعالىٰ، وعزة النفس وعفتها والصدق بمعناه الشمولي والعدل بأدق معانيه وأوسعها، وحسن الخلق وحب الخير للجميع.

أعاننا الله وإياكم ـ أعزاءنا القراء ـ علىٰ الإقتداء بروح الله ووليه الصادق والأخذ بسيرته ففيها الإقتداء والسير علىٰ الصراط المستقيم لمحمد وآله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ولا حرمنا الله ـ جلت قدرته ـ إتباعهم وبركاتهم، والحشر في زمرتهم وشفاعتهم، وأن يكون محيانا محياهم ومماتنا مماتهم، عاملين بسننهم آخذين بحجزتهم محبين لمن أحبوا مبغضين لمن أبغضوا؛ فهم حزب الله وحزب الله هم المفلحون. إنه ـ جل وعلا ـ ولي النعم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ليلة المباهلة المباركة ٢٤/ ذي الحجة/ ١٤٢٢
للهجرة النبوية الميمونة
عرفان محمود

الفصل الأول:

أنسه بالقرآن وإقباله علىٰ تلاوته

تلاوة القرآن فقرة ثابتة في برنامجه اليومي

كانت تلاوة القرآن من الفقرات الثابتة في البرنامج اليومي للإمام، وكان يلتزم بها علىٰ وفق ترتيب منظم خاص، وكنا ـ نحن الملازمون لخدمته ـ نراه يتلو في اليوم أربعة أجزاءٍ من القرآن[١].

يختم القرآن كل عشرة أيام مرة علىٰ الأقل

طلبتُ يوماً من أحد المقربين من الإمام، أن يخبرني بما يفعله الإمام طوال نهاره وليله، فقال ـ ضمن توضيحه لفقرات برنامج عمل الإمام اليومي ـ: إنه يتلو القرآن ثمان مرات كل يومٍ ويختمه كل عشرة أيامٍ مرة علىٰ الأقل[٢].

يُقبل علىٰ تلاوته في كل فرصة

كان الإمام يتلو القرآن بعد إقامته لنافلة الليل إلىٰ موعد آذان الفجر،

---

(١) السيد رحيم ميريان (من العاملين في بيت الإمام).

(٢) آية الله اللاهوتي، مجلة (زن: امرأة اليوم)، العدد: ٧٧٤.

ثم يعاود تلاوته بعد فريضة الفجر، كما كان يُقبل علىٰ تلاوته كلما سنحت له الفرصة بين أعماله اليومية، فكان يتلو القرآن ثمانِ مرات في اليوم ويختمه كل شهرٍ مرة[1].

ويوليه أهمية خاصة رغم كثرة المشاغل

علىٰ الرغم من كثرة مشاغله، كان الإمام يولي أهمية خاصة لأداء المستحبات، خاصةً تلاوة القرآن والدعاء وإقامة الصلاة في أول وقتها، كان يتلو ما تيسر من القرآن ثلاث إلىٰ خمس مرات في اليوم ويختمه في شهر رمضان المبارك ثلاث ختمات[2].

يحرص علىٰ تلاوته وسط أعماله

يتلو الإمام القرآن عدة مراتٍ في اليوم، وكلما سنحت له الفرصة، وهو يتلو ما تيسر منه عادة بعد صلاة الفجر وقبل صلاتي الظهر والعصر، وصلاتي المغرب والعشاء، ويلتزم بهذا العمل المستحب في كل فرصة تسنح له، فنراه في الكثير من الأحيان منهمكاً بتلاوة القرآن عندما ندخل عليه في النهار لبعض الأعمال[3].

ازدياد اهتمامه بالتلاوة في شهر رمضان

كان الإمام شديد الإقبال علىٰ تلاوة القرآن في شهر رمضان المبارك خاصة، ولا أتذكر أنني دخلت عليه مرة في هذا الشهر ـ خاصة في شهر رمضان الأخير من حياتِهِ المباركة ـ ولم أرَهُ يتلو كتاب الله، كنت أراه مقبلاً علىٰ تلاوتِهِ كلما دخلت عليه لأمر ما[4].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، صحيفة رسالت ٩/ ٣/ ١٣٧٢ هـ.ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد رضا التوسلي.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، مجلة (پيام إنقلاب: رسالة الثورة)، العدد: ٤٨.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

التوجه للقرآن أثناء تلاوته

يلتزمُ الإمام ـ ومُنذ مقتبل عمره الشريف ـ بتلاوة مقدارٍ من القرآن كل يومٍ، وهذا الأمر جزءٌ ثابتٌ في برنامجه اليومي المنظم بدقة، فهو يخصصُ فيه ساعة للإقبال علىٰ تلاوة القرآن والأنس به، لا يدخل عليه فيها أحدٌ، ولا يجيب فيها علىٰ سؤال أحدٍ، فكان يتوجه بكل وجوده للقراءة والتدبر في آياته ومعانيه[1].

الأنس بتلاوة القرآن

الإمامُ شديدُ الأنس بالقرآن، فهو ـ مثلاً ـ يتوجه لتلاوة آياتِهِ ضحىٰ كل يوم، بعد تناول إفطاره واللقاء بالمسؤولين، وبعد ممارسة رياضة المشي لمدةٍ محددة، تبدأُ في الساعة التاسعة والنصف. ثم يقوم بعد هذه التلاوة بإنجاز بعض الأعمال، وقراءة بعض الرسائل والتقارير السرية، التي لا يحق لغيره اتخاذ القرار بشأنها، وبعد ذلك يجدد الوضوء قبل أذان الظهر، ويعاود تلاوة القرآن، وهو يتميز بحالةٍ خاصة من التوجه والإقبال والأنس بتلاوة القرآن والدعاء[2].

التلاوة قبل إقامة الصلاة

كان الإمام يتلو القرآن عادةً قبل حلول وقتِ كل صلاة[3].

يستثمر أبسط فرصة لتلاوة القرآن

لم يكن الإمام يسمح بضياع أي مقدار من وقته مهما كان بسيطاً،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي ـ صحيفة إطلاعات ١٠/٩/١٣٦٧ هـ.ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الثقفي، كتاب (بابن باى آفتاب: خطوات في أثر الشمس)، ج ١، ص ١٤٣.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (باسدار إسلام: حارس الإسلام)، العدد: ٩٤.

كان يستثمر كل فرصة، فمثلاً كان يأتي لتناول طعام الظهيرة بعد إقامته صلاتي الظهر والعصر، فإذا سنحت له فرصة ـ ولو كانت أقل من دقيقتين ـ أخذ المصحف وتلا فيها ما تيسر من كتاب الله[1].

أريد العين لتلاوة القرآن

أصيب الإمام ـ أيام إقامتنا في النجف الأشرف ـ بمرضٍ في عينه، فجاء الطبيب وفحصها ثم قال: استريحوا من تلاوة القرآن بضعةِ أيام! ابتسم الإمام وقال: «أيها الطبيب، أنا أريد العين من أجل تلاوة القرآن، فما جدوىٰ أن تكون لي عينٌ ولا أتلو بها القرآن؟! عليك أن تقوم بما يُمكنني من تلاوة القرآن»[2].

التلاوة قبل طعام الظهيرة

لم يكن الإمام يسمح أبداً بتضييع وقته، وقد رأيناه مراراً يتوجه لتلاوة القرآن في الدقائق القليلة التي يستغرقها إعداد مائدة الطعام وهي دقائق يقضيها الآخرون عادة بالبطالة[3].

يلجأ إلىٰ القرآن عند استشهاد ولده

روىٰ الحاج السيد أحمد أن الإمام قام عند سماعه بخبر استشهاد ولده الحاج السيد مصطفىٰ في النجف الأشرف بالتوجه ـ بكل صبر واستقامة ـ إلىٰ الجلوس في زاوية، والإقبال علىٰ تلاوة كتاب الله[4].

---

(١) السيدة مرضية الحديدجي، (سرگذشتهای ویژه أز زندگی إمام خميني: حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٤.

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي، مجلة (حضور)، العدد: ٣.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي، صحيفة (سلام) ٢/٣/١٣٧٢ هـ.ش.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران: حرس الحدود)، العدد: ٨٤.

يكشف الحزن بالقرآن

عندما تُوفي المرحوم السيد مصطفىٰ تقرر أن يذهب عددٌ من الإخوة بمعية الحاج السيد أحمد إلىٰ الإمام ويخبرونه ـ بصوة تدريجية ـ بهذا الخبر المؤلم. وعندما جلسوا عنده سأل أحد الإخوة: هل وصل من المستشفىٰ خبرٌ جديد عن حالة السيد مصطفىٰ؟ فقال الشيخ الميرزا حبيب الله الأراكي: لقد اتصلوا من المستشفى قبل قليل وقالوا: يجب نقله إلىٰ بغداد بسرعة.

ولكن السيد أحمد لم يستطع السيطرة علىٰ عبرته وجعل يبكي، فأدار وجهه لكي لا يراه الإمام، ولكن الإمام أعاد له وجهه إلىٰ الاتجاه الأول وقال: «ما بك يا أحمد؟ هل توفي مصطفىٰ؟ إن أهل السماء يموتون وأهل الأرض لا يبقون. ليتفضل السادة بالعودة إلىٰ أعمالهم»، ثم قام هو وتوضأ وأخذ يتلو القرآن الكريم[١].

لا يترك القرآن للإنشغال بالجهاد

كان من المعروف في النجف أن الإمام يقرأ كل يوم جزئين من القرآن، كان شديد الأنس بالقرآن ويُقبل علىٰ تلاوته في الصباح وبعد الظهر وكلما سنحت له الفرصة، فلم يكن يترك تلاوة القرآن بحجةِ الإنشغال بالأعمال الجهادية[٢].

القرآن معه في باريس

كان الإمام ملتزماً بتلاوةِ جزءٍ كامل من القرآن الكريم كل يوم من أيام إقامته في باريس، وذلك في ثمانية أوقاتٍ مخصصة لذلك[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ١.
(٢) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي.
(٣) موسوعة (كوثر)، ج ٢، ص ٢٠.

عشر ختمات في شهر ربيع القرآن

كان الإمام يقرأ ـ في شهر رمضان ـ عشرة أجزاء من القرآن يومياً فكان يختمه بالكامل كل ثلاثة أيام مرة. كان بعض الإخوة يفرحون لإكمالهم ختم القرآن مرتين في هذا الشهر المبارك، ثم عرفوا لاحقاً أن الإمام يختمه عشر مرات أو إحدىٰ عشرة ختمة في هذا الشهر المبارك[1]!

لم يفارق القرآن حتىٰ في مرضه

كان الإمام ملتزماً بتلاوة عدد صفحات من القرآن (حزب كامل أو أكثر) كل يوم، ولم يترك تلاوة القرآن ونافلة الليل حتىٰ في أيام حياته الأخيرة وحتىٰ في الليلة التي أجريت له العملية الجراحية الأخيرة في صبيحتها[2].

أوقاته الثابتة لتلاوة القرآن

كان الإمام يتلو ما تيسر من القرآن في سبعة أوقات كل يوم يُكمل فيها ـ حسب قول الحاج السيد أحمد ـ أربعة أجزاء من القرآن يومياً، وهذه الأوقات هي: ـ

١ ـ قبل صلاة الفجر.

٢ ـ بعد صلاة الفجر.

٣ ـ في الساعة التاسعة صباحاً.

٤ ـ قبل صلاة الظهر.

٥ ـ عصراً بعد قيامه بممارسة رياضة المشي.

٦ ـ قبل صلاة المغرب.

٧ ـ بعد صلاة العشاء[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج ٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة (حوزه)، العدد المزدوج.

(٣) السيد رحيم ميريان (أحد العاملين في بيت الإمام)، ولعل هذه الرواية هي أدق الروايات =

يانس بالاستماع للتلاوة

... بعد هبوط الطائرة السمتية. رتب الأفراد المسؤولون عن تنظيم المراسم، حزاماً بشرياً متصلاً إلىٰ محل المنصة للإحاطة بالإمام وحمايته، ثم استقر الإمام ومعه الحاج السيد أحمد وعدد من العلماء علىٰ المنصة، وفي بداية المراسم قرأ أحد الأحداث ـ بصوتٍ جميل ـ آيات من القرآن مع ترجمتها بالفارسية، وكلما أراد إنهاء التلاوة خاطبه الإمام بالقول: «إقرأ يا عزيزي»(١).

ويحب القرآن

الأمام يحب القرآن كثيراً ويأنسُ به بشدة ولم يكن المصحف يفارقه أبداً بل كان دائماً يضعه بالقرب منه(٢).

يرفض إبعاد المصحف عنه

كان الإمام يرفض ـ بحكم التزامه بمواساةِ الشعب ـ الدخولَ إلىٰ الملجأ الذي بنوه، وقد اضطررنا إلىٰ نقل الكتب والأشياء من الرف الذي كان يجلس إلىٰ جواره لكي لا تسقط عليه بسبب الهزات التي يُوجدها القصف الجوي، لكنه رفض السماح لنا بنقل المصحف وكتاب مفاتيح الجنان لأنه كان يحرص أن يكونا في متناول يديه دائماً(٣).

= بالنسبة لأوقات ومقدار تلاوة الإمام من القرآن يومياً وهي ترتبط بالأعوام الأخيرة من حياته الشريفة أيام إقامته في طهران بعد انتصار الثورة الإسلامية. [المترجم].

(١) تقرير مراسل صحيفة كيهان، العدد الصادر بتأريخ ١٣٥٧/١١/١٤ [هـ.ش].

(٢) حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ١، ص ١٤٣.

(٣) السيدة فرشته الإعرابي، (حفيدة الإمام).

يأمر بختم القرآن للآخرين

كان الإمام يأمر ـ قبل أيام من حلول شهر رمضان ـ بتلاوة عدة ختمات من القرآن وإهداء ثوابها إلىٰ أشخاص معينين[١].

يتدبر في معاني القرآن بدقة

كان الإمام يحب بعمقٍ القرآن وتلاوته والتدبر في معانيه بدقةٍ، وأتذكرُ أنني طلبتُ منه أن يكتب تفسيراً للقرآن فقال: «ينبغي لمن يكتب التفسير أن لا يكون له همٌّ ولا هدف سواه في حياته، أما أنا فلديّ الآن مشاغل متعددة وأعيش في حالة الكثرة»[٢].

احترامه للقرآن

شاهدت مراراً حالةً لطيفة في الإمام فيما يرتبط باحترامه للقرآن، فقد كنا أحياناً نحمل في الحقيبة بعض المصاحف لأسباب معينة ونحن ندخل علىٰ الإمام لإنجاز أعمالنا، وكنا نخرجها من الحقيبة ونضعها علىٰ الأرض مع المحتويات الأخرىٰ للحقيبة دونما التفات لذلك فكان الإمام يقول لنا فوراً: «لا تضعوا المصحف علىٰ الأرض»، ثم يبادر إلىٰ رفعه ووضعه علىٰ المنضدة التي بجوارِهِ، ثم انتبهنا إلىٰ أنه كان يفعل ذلك لكي لا يكون المصحف موضوعاً علىٰ الأرض وهو يجلس علىٰ الكرسي[٣].

أنا أبارك القرآن؟!

جاءوا يوماً بعددٍ من المصاحف الصغيرة التي كانت تضم عدداً قليلاً

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.
(٢) آية الله جعفر السبحاني، مجلة (حوزه)، العدد: .
(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج ٥.

من السور القرآنية لكي يوقع عليها الإمام قبل إهدائها إلىٰ المقاتلين في الجبهات، فأخذ أحد السادة الكيس الذي يحتوي المصاحف وقربه من الإمام الذي تصوّر أن في الكيس قطعاً سكريةً وأمثالها مما اعتدنا تقديمها له لكي يمسح عليها تبركاً، ولذلك فقد مدَّ يدَهُ ليمسح علىٰ الكيس، لكنه لما وقع بصره علىٰ داخل الكيس قال: «ما هذه؟» قلنا: إنها مصاحف صغيرة جئنا بها لكي تباركها! وعندها انتفضَ في حالة من الاضطراب الشديد لم نرها فيه من قبلِ أبداً، وسحب يده بشدةٍ خلاف سكينته المعهودة وقال بلهجةٍ حادة معاتباً لنا: «أنا أبارك القرآن؟! ما هذه الأفعال التي تقومون بها؟!»[1].

تواضعه أثناء استماع التلاوة

شاهد الجميع الإمام يوماً وهو يجتنب الجلوس علىٰ الكرسي الذي اعتاد الجلوس عليه في شرفة حسينية جمران أثناء اللقاءات العامة، وجلس علىٰ الأرض، وكان السبب هو أن الفائزين في مسابقة قراءة القرآن قد جاءوا لزيارته في هذا اللقاء وكان من المقرر أن تُتلىٰ أثناء اللقاء آياتٌ من القرآن الكريم[2].

أحببتك لأنك تتلو القرآن

كنتُ أجلس باستمرار في حرم أمير المؤمنين عليه السلام وأتلو القرآن فيه، وكان الإمام يراني هناك ورغب في أن أعمل عنده، وقد بعث لي شخصاً يستدعيني للقائِهِ فلم أذهب إليه لأنني تصورتُ أنه غير مرتاح مني ويريدُ أن يعاتبني، ثم جاءني الشخص نفسه وقال: إن الإمام يريدُ أن يلتقيك لأمرٍ،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين محمد الفاضلي الإشتهاردي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج ٥.

وقلت: بالله عليك ماذا يريدُ مني؟ قال: واللّهِ لا علم لي بذلك، قلت: هل هو غاضبٌ عليَّ لا سمح الله؟ أجاب: لا، لا، كل ما قاله لي هو: «إذهب وآتني بذاك الرجل الذي يجلس في الحرم».

وعندها قلتُ له: حسناً، إذهب أنت، سوف أذهب إلىٰ سماحته بنفسي. فذهب الرجل: وعندما دخلتُ علىٰ الإمام سألني: «ما اسمك؟» أجبت: حاج إبراهيم خادم النجفي، فقال: هل ترغب في البقاء في هذا البيت وتساعدنا في الأعمال؟» قلت: وأي شيء أستطيع القيام به أنا يا سيدي؟ أجاب: «تشارك في القيام بالأعمال، وأطمئن من أنك ستكون هنا في راحة، ليس مهماً مقدار ما تستطيع القيام به من الأعمال، لقد أحببتك لأنك رجل مؤمن ولأنني أراك تتلو القرآن كلما دخلت الحرم للزيارة»[1].

(١) السيد إبراهيم خادم النجفي (الخادم في بيت الإمام في النجف).

الفصل الثاني:

مودته لأهل البيت(ع) وأخذه بحجزتهم

باع كتبه للحج وزيارة الحسين(ع)

باعَ الإمام كتبه من أجل توفير نفقة حج بيت الله[١] والسفر إلىٰ كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام[٢].

أزور كربلاء أولاً

بعد اطلاق سراح السيد ـ أي بعد انتهاء مدة نفيه في تركيا ـ سألوه: هل تذهب للعراق أم إيران؟ لكنهم لم يسمحوا له باتخاذ القرار بنفسه بل قالوا له: يجب أن تذهبوا إلىٰ العراق!

وعندما وصل العراق قال: «أذهبُ أولاً إلىٰ كربلاء لأداء الزيارة ثم أذهب إلىٰ النجف». وقد بقي بضعة أيام في الكاظمية زار خلالها مدينة سامراء أيضاً، وقد دعاه أحد السادة، كان لديه منزلاً خالياً في كربلاء يذهب للإقامة فيه في الصيف؛ دعاه للإقامة في هذا المنزل فأقامَ فيه ثلاثة أيام[٣].

---

(١) تشرف الإمام بحج بيت الله الحرام في سنة ١٣١٢ هـ.ش، ١٩٣٣م.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين مصطفىٰ الزماني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ١٧٨.

(٣) السيدة خديجة الثقفي (زوجة الإمام)، مجلة (ندا)، العدد: ١٢.

يزور أمير المؤمنين(ع) قبل مشاركته في مراسم استقباله!

فور وصوله إلىٰ النجف ـ في المرة الأولىٰ ـ توجه الإمام أولاً إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام للزيارة، ثم عاد للمشاركة في المراسم التي أعدت لاستقباله، وكان يذهب للزيارة مرتين في اليوم، صباحاً ومساءً، طوال السنة الأولىٰ لإقامته في النجف الأشرف[1].

زيارة الأمير(ع) قبل الذهاب إلىٰ المنزل

توجه الإمام فور دخوله النجف الأشرف إلىٰ الحرم العلوي لأداء الزيارة قبل أن يذهب إلىٰ المنزل المتواضع الذي أُعد لسكنه[2].

الزيارة نعمةٌ ربانية

طوال خمسة عشرة عاماً أقام خلالها الإمام في النجف الأشرف، كان يذهب كل ليلة لزيارة مولاه أمير المؤمنين عليه السلام وكان يكرر القول: «لقد كان العدو سبباً لفوزي بهذه النعمة الربانية». وكانت حالاته وهو يتعبد لله أثناء الزيارة شديدة التأثير علىٰ العدو والصديق[3].

شديد الحب لزيارة الأئمة(ع)

ذهبنا مرةً لزيارة سامراء بعيد وصول الإمام إلىٰ العراق، وهي المرة الوحيدة التي زار فيها الإمام سامراء طوال إقامته في العراق، حيث زار مراقد الأئمة فيها وفي الكاظمية، ولم نره يذهب إليها للزيارة غير تلك المرّة، ويبدو أن الأمر كان علىٰ نقيض ما كان يدّعيه البعثيون، من أنهم قاموا بواجبات الضيافة للإمام طوال إقامته في العراق، أو أنّ الإمام أحس أو تم إبلاغُهُ صراحة بعدم السماح له بالخروج من كربلاء

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين عميد الزنجاني، مجلة (حوزه)، العدد المزدوج ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٦.

والنجف، ولذلك لم يذهب لزيارة مراقد الأئمة في سامراء والكاظمية رغم شدة حبّه لزيارتهم عليهم السلام سوىٰ تلك المرة التي ذهب فيها لزيارتهم بداية وصوله للعراق[1].

زيارة مسائية ثابتة لأمير المؤمنين(ع)

كانت سنّة الإمام الجلوس ببيت الاستقبال من منزله «البراني»[2] بعد إقامة صلاتي المغرب والعشاء، وكان الاشتراك في هذا المجلس مفتوحاً لكل مَن يريد زيارته، وكان ملتزماً بعد ذلك بالذهاب إلىٰ زيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام بعد ثلاث ساعاتٍ من غروب الشمس[3].

المواظبة علىٰ زيارتي «أمين الله» و«الجامعة الكبيرة»

كانت سنّة الإمام ـ أثناء إقامته في النجف ـ أن يخرج من القسم الداخلي من منزله بعد ساعتين ونصف من غروب الشمس، وقد أصبح هذا الموعد في السنوات الأخيرة من إقامته هو بعد ساعتين من المغرب، فيجلس في «البراني» لاستقبال الطلبة والأهالي، ثم يذهب بعد ثلاث ساعاتٍ من المغرب إلىٰ مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ويزوره بزيارة «أمين الله» واقفاً ثم يجلس ويزوره بزيارةِ «الجامعة الكبيرة»، ثم يعود إلىٰ منزله

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين عميد الزنجاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٣٩.

(٢) المألوف في بيوت العلماء وكثيرٍ من الأهالي سابقاً في قم والنجف أن يتم تقسيم البيت إلىٰ قسمين اصطلح عليهما وصف «البراني» و«الجواني» أو «الدخلاني»، فيخصص الأول للرجال من الضيوف ويكون معزولاً عن البيت الثاني الذي يكون مخصصاً للعائلة والحياة العائلية لصاحب البيت، وعادة ما يكون قسم «البراني» في بيوت العلماء والمراجع أشبه ما يكون بمكتب العمل لحاشية العالم، ومحلاً للمراجعات من قبل الطلاب والأهالي علىٰ العالم للحاجات المختلفة. [المترجم].

(٣) آية الله محمد هادي معرفت: مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

بعد أداء صلاة الزيارة، واستمر ملتزماً بذلك طوال مدّة إقامته في النجف التي استمرت أربعة عشر عاماً، باستثناء ليالي السبت من فصل الصيف لأنه كانت تُغسل أروقة الحرم في هذا الوقت[1].

المداومة علىٰ زيارات الأئمة(ع)

لقد شاهدت بعض عبادات الإمام، وكان مما يثير انتباهي فيها مداومته عليها ودقته في القيام بها علىٰ وفق ما جاء في الشريعة المطهرة دون زيادة أو نقصان. كان يذهب إلىٰ مرقد الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام كل ليلة وفي ساعةٍ ثابتةٍ تقريباً، ويذهب إلىٰ كربلاء في أوقات زيارة سيد الشهداء عليه السلام وكان ذلك جزءً ثابتاً في برنامجه العملي[2].

شدة احترامه للمزور أثناء الزيارة

طوال أربعة عشر عاماً قضاها الإمام مقيماً في النجف الأشرف، كان يخرج كل ليلة ـ وفي جميع فصول السنة ـ بعد مضي ثلاث ساعات من غروب الشمس، من منزلِهِ لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام ويطوي المسافة من منزلِهِ إلىٰ المرقد المطهر مشياً علىٰ الأقدام في حدود سبع دقائق، ويدخل الصحن العلوي من باب القبلة، ثم يدخل عبر بوابة مستودع الأحذية الواقع في الضلع الجنوبي للإيوان، ويقرأ «أذن الدخول» في الرواق، ثم يدخل الحرم ويقف من جهةِ قدمي الأمير عليه السلام حيث يقرأ زيارةً مختصرةً، ثم يتحرك إلىٰ الضلع الجنوبي للضريح ويقف في مقابل الوجه المبارك لأمير المؤمنين عليه السلام ، ويقرأ زيارة «أمين الله»، وخلافاً

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد المزدوج: ٥ ـ ٦.

(٢) آية الله القديري، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بالذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام الخميني.

لحركة الأخرين وعامة الناس الذين يدورون من هذه النقطة حول جهة الرأس الشريف إلىٰ خلف الضريح، كان الإمام يرجع القهقرىٰ من هذه النقطة إلىٰ جهة قدمي الأمير ـ ووجهه باتجاه الضريح، ثم يؤدي صلاة الزيارة ويقرأ الزيارة الجامعة وهو جالس عادة[1].

اجتنابه المرور من جهة الرأس الشريف

لم يُشاهدُ الإمام أبداً وهو يمرُ من فوق جهة الرأس الشريف وهو يزور مرقد أمير المؤمنين عليه السلام فضلاً عن أن يتوقف عند الرأس الشريف. وهذه الرعاية المستمرة لهذا الأمر تكشف كمال إيمان الإمام وشدة توقيره لمقام الولاية ـ كما أنها علامةٌ ذات دلالة خاصة لأهل المعنىٰ، وهي أن أحد الإحتمالات الأربعة المروية بشأن محل دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام أنه مدفون في محل يقع في جهة الرأس الشريف لأمير المؤمنين عليه السلام ، ومجرد وجود مثل هذا الاحتمال يكفي العرفاء العشاق للحق تعالىٰ لكي يمتنعوا عن المرور بأقدامهم علىٰ محلٍ يحتمل ـ ولو مجرد احتمال ـ أن يكون محلاً لدفن الرأس الشريف لسيد الشهداء عليه السلام[2].

رعاية فريدة لحرمة المزار

كان الإمام يمتنع ـ أثناء زيارته لمرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ـ من المرور من جهة القدمين المباركين لسيد الشهداء عليه السلام ، ولم يمر من هذا المكان ولا لمرة واحدة لأن علي الأكبر عليه السلام مدفون بالقرب من قدمي والده عليه السلام كما كان الإمام يمتنع من المرور علىٰ قبور الشهداء. فكان يرجع من نقطة الرأس الشريف ولا يمر عبر جهة القدمين ولم نكن نعرف سر ذلك في البداية. كما كان يمتنع من المرور من جهة الرأس

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (درسايه آفتاب: في ظل الشمس)، ص ٣٨.
(٢) المصدر السابق.

الشريف للإمام عليه السلام وهو يزور مرقده فلا يطوف حول المرقد ولا يدور من جهة القدمين المباركين، لأن أحد الروايات المحتملة تقول إن الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام مدفونٌ عند جهة الرأس الشريف لوالده أمير المؤمنين عليه السلام ولم أرَ هٰذه الرعاية الدقيقة في غير الإمام أثناء الزيارة[1].

كل ما لدينا هو من أهل البيت(ع)

لاحظت شدة التزام الأمام ببرنامج عملي منظم طوال مدة إقامته في النجف الأشرف، فمثلاً كان موعد إقامته للصلاة أو زيارة الحرم العلوي ثابتاً لا يتقدم ولا يتأخر ولا دقيقة واحدة. كان يتلو زيارة «أمين الله» من جهة الوجه الشريف، ويسلِّم علىٰ سيد الشهداء عليه السلام من عند جهة الرأس الشريف ثم يرجع ويجلس ويقرأ زيارة «الجامعة الكبيرة» ويصلي ركعتين.

وقد التزم بذلك طوال إقامته في النجف، فلم أرَهُ ولا مرة واحدة يقول مثلاً: لديّ الليلة ضيف فلا أستطيع الذهاب للزيارة، أو يقول: إن أجوبة الاستفتاءات لم تكتمل ونظائر هذه الأعذار، كان يقومُ بجميع أعماله في مواعيدها المعينة، ولم أر نظيراً له يعيش علىٰ وفق هذا النظام ويلتزم به بدقة. وقد قال بنفسه عن هذا الأمر: «كل ما لدينا هو من أهل البيت عليهم السلام»[2].

الإخلاص لله في الزيارة

كان الجو العام في النجف يعتبر الإكثار من زيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام نوعاً من «الدروشة» والتخلف، لكنَّ الإمام لم يكن يعبأ بمثل هذه الأقوال، وكان يتوجه كل ليلة ـ بعد إقامته صلاتي المغرب والعشاء ـ

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين نصر الله الشاه آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٢٦٢.

لزيارة الحرم العلوي وكانت طريقته في الزيارة جديرة بالملاحظة أيضاً. كان يقف من جهة الرأس الشريف بصورة يكون وجهه مقابلاً للجدار، فلا يستطيع أحدٌ التعرف عليه ـ وهو في هذه الحالة ـ إلا بواسطة القرائن[١].

لا يترك الزيارة عن قرب وإلا فعن بعد

كانت زيارة الإمام لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام هي كإقامته لصلاة الجماعة وإلقاء الدرس، لا يتركها أبداً دون عذر، وحتىٰ إذا لم يستطع التشرف بالذهاب إلىٰ المرقد المطهر، كان يقرأ نص زيارته عليه السلام من منزله أو من فوق السطح أحياناً[٢].

لا يمنعه عن الزيارة حرٌ ولا بردٌ

مثلما كان الإمام في ذروة الحنكة فيما يرتبط بالشؤون السياسية، كذلك كان حاله في الاهتمام بالشؤون العبادية، فمنذ اليوم الأول لإقامته في مدينة النجف الأشرف إلىٰ يوم مغادرته لها، كان يذهب بعد ثلاث ساعات من غروب الشمس إلىٰ حرم الإمام علي عليه السلام للزيارة، لا يترك ذلك لا في صيف وحر ولا في شتاء وبرد؛ بل وحتىٰ في الليلة التي أُعلن فيها منع التجول إثر قيام الإنقلاب العسكري في العراق! يقول المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ: في تلك الليلة فقدنا الإمام فجأةً، ولم نجده في غرفته فخشينا أن يكون قد ذهب للزيارة، بحثنا عنه في أرجاء المنزل فلم نجده، واصلنا البحث حتىٰ عرفنا أنه صعد إلىٰ سطح المنزل، ووقف في مكان يشاهد منه قبة المرقد العلوي حيث كان يتلو الزيارة وهو متوجه جهة المرقد[٣].

---

(١) آية الله السيد عز الدين الزنجاني، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٩.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (في ظل الشمس)، ص ٣٩.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ١.

شدة تعبده بالآداب الشرعية أثناء الزيارة

رغم سمو المرتبة العلمية للإمام في الفلسفة والعرفان، إلا أن روحه التعبدية بظواهر الشرع تثير الإعجاب حقاً، وقلما تجتمع هذه الروح مع التعمق في الفلسفة والعرفان، وقد نقل عن المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ: أن الجو كان عاصفاً في النجف في إحدىٰ الليالي وإلىٰ درجة تجعل الخروج من المنزل أمراً صعباً للغاية فقلتُ له: لا معنىٰ للقرب والبعد بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام فاقرأوا في المنزل هذه الليلة نص «الزيارة الجامعة» التي تقرأونها كل ليلة في الحرم فأجابني: «أرجوك يا مصطفىٰ أن لا تسلبنا الروح العامية في التعبد». ثم ذهب إلىٰ الحرم العلوي للزيارة عن قرب في تلك الليلة العاصفة أيضاً[1].

يتوجه بكله للمزور

قلما كان الإمام يلتفت إلىٰ هنا وهناك وهو في طريقه لزيارة الحرم المطهّر لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام ، أما في داخل الحرم المطهر فلم يكن يتوجه للأمور الظاهرية أصلاً[2].

يقرأ نصوص الزيارات في كتب المزار

كان الإمام يقرأ نصوص الدعاء والزيارة في كتاب مفاتيح الجنان عندما يتشرف بزيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا ما لم أرهُ من باقي المراجع كما سمعت كثيراً أن ليس من عادة المراجع قراءة الأدعية من كتاب المفاتيح في الحرم. وكان الإمام يقرأ أحياناً زيارة عاشوراء في الحرم، وطريقته في الزيارة جديرة بالملاحظة حقاً، ولذلك كنا نحن وبعض الطلبة نقف ـ من بعد ـ لمشاهدته وهو يزور عندما كنا نتشرف بزيارةِ الحرم العلوي[3].

---

(١) آية الله حسين المظاهري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، مجلة (باسدار اسلام)، العدد: ٣٩.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين عميد الزنجاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٥.

زيارات متتابعة

كان الإمام يشتركُ في مجالس التأبين لبعض العلماء، ثم يذهب بعدها لزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام كما كان يذهب للحرم ويزور الأمير عليه السلام زيارةً مختصرة تستغرق أربع أو خمس دقائق في ليالي الجمعة أو عصر كل يوم بعد إنهاء إلقاء درسه، ثم يرجع إلىٰ منزله[1].

لم يترك الزيارة حتىٰ في مرضه

كان الإمام شديد الالتزام بزيارةِ أمير المؤمنين عليه السلام ولا أتذكرُ أنه ترك زيارته المسائية له عليه السلام حتىٰ في أوقات مرضه أو إصابته بالحمىٰ. وكان يقرأُ في الحرم زيارة «أمين الله» أحياناً وزيارة «الجامعة الكبيرة» أحياناً أخرىٰ، وكان يمر عبر جهة القدمين الشريفين لأن العبور من جهة الرأس الشريف مكروه، فكان يصلي عند جهة القدمين ثم يقترب من الضريح ويدعو الله عنده ثم يخرج من الحرم المطهر[2].

لا يعيقه الخطر عن زيارة مولاه

كان خطر الاغتيال محدقاً بالإمام أيام إقامته في النجف، خصوصاً في الفاصلة بين منزله وحرم أمير المؤمنين عليه السلام والتي كان الإمام يطويها ماشياً والطرق خالية من المارّة عادةً ـ باستثناء المناسبات الخاصة ـ لأنّ عادة العرب النوم مبكراً في المساء، ولكن رغم كل ذلك لم يترك الإمام التزامه اليومي بزيارةِ الحرم العلوي بعد ثلاث ساعات من غروب الشمس، الأمر الذي يكشف شدة ولائِهِ وحبه لأمير المؤمنين عليه السلام خاصةً وأن تقدمه في السن لم يكن يعينه علىٰ الالتزام بهذه الزيارات المستمرة[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الخرم آبادي.

(٢) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد مرتضىٰ الموسوي الأردبيلي الأبركوهي.

يُقبل علىٰ زيارة مولاه رغم المضايقات

لم يستطع المعاندون من ذوي القلوب المريضة ومرتزقة «الساواك» الذين تستروا بزي رجال الدين وكانت مهمتهم إغتيال شخصية الإمام والإساءة إليه وهو مقيمٌ في النجف، هؤلاء لم يستطيعوا العثور علىٰ نقطةِ ضعفٍ في الإمام، ولذلك سعوا ـ بكل وقاحة وخبث، وبادعاء القدسية ـ إلىٰ ترويج مقولة أن سيرة السيد الخميني في الالتزام المنظم بزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام كل يوم أدت إلىٰ هتك حرمة باقي المرجع والعلماء الكبار الذين لا يزورون الحَرم العلوي كل يوم! وكان أحد هؤلاء ـ وكان مع الأسف من مقربي أحد المراجع ـ يتعمد الدّخول إلىٰ الحرم في الساعة التي اعتاد الإمام دخول الحرم فيها للزيارة، كما كان يتعمد قطع طريق الإمام والنظر إليه بنظرات عدائية عابسة، ويتعمد أيضاً الوقوف بينه وبين الضريح المقدس أثناء قراءة الإمام للزيارة، ولكن الإمام لم يكن يعبأ بكل هذه المضايقات المزعجة بل كان يقبل علىٰ زيارة مولاه عليه السلام بتوجهه القلبي المعهود وكأنه ليس في هذه العوالم أصلاً[(١)].

يتلو دعاء عرفة واقفاً في الحرم الحسيني

كان حال الإمام أثناء العبادة حال المتعبد الذي ليس له من عملٍ غير العبادة، وكأنه ليس من العلماء ولا من الساسة، فهو يتفرغ للعبادة بكل وجوده، فمثلاً كان يقف علىٰ قدميه ـ ورغم كبر سنه ـ طوال المدة التي تستغرقها قراءته لدعاء عرفة الذي تستغرق قراءته ساعتين أو ثلاث، كان يقرأه في حرم سيد الشهداء عليه السلام وهو واقفٌ علىٰ قدميه متوجهاً للقبلة الأمر الذي يثيرُ فينا الخجل لأننا كنا نقرأه جالسين رغم أننا كنا شباباً يومئذٍ، ولذلك كنا نضطر إلىٰ القيام وتلاوة هذا الدعاء ونحن واقفون[(٢)].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد مرتضىٰ الموسوي الأردبيلي الأبركوهي.

... ثم أخذ بمتابعة الزيارة

دخل عددٌ من الإيرانيين العراق بصورةٍ غير رسمية فاعتقلهم النظام البعثي وسجنهم جميعاً، وقد توسط المرحوم السيد الحكيم في إطلاق سراحهم والسماح لهم بزيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، وكانوا في الحرم العلوي عندما دخل الإمام في زيارته المسائية المعتادة فعلت أصواتهم بالصلاة علىٰ محمد وآله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ. ثم جلس الإمام لقراءة الزيارة، فعلت بعد لحظات أصواتهم بالبكاء الشديد، لكن الإمام لم يظهر أي رد فعل سوىٰ توجيه نظرة إليهم لفترةٍ وجيزة ثم أخذ بمتابعة قراءة الزيارة! إن طريقته في الإقبال والإنقطاع للزيارة تجذب كل إنسانٍ حقاً(١).

كل البركة في الازدحام في المراقد المقدسة

لم يترك الإمام زيارته اليومية لحرم أمير المؤمنين عليه السلام حتىٰ في الليلة التي اشتد فيها الازدحام في الحرم أكثر من المعتاد بسبب زيارة السيد الحكيم له إثر عودته من مكة المكرمة، وقد شكلنا ـ أنا وبعض الإخوة ـ حلقةً حولَهُ لكي لا يتعرض للضغط المؤذي بسبب شدة الازدحام، وقد قلت له يومها وبأذى: ليس الوقت مناسباً لزيارة الحرم يا سيدي، فلماذا تتشرفون بزيارة الحرم في ظل هذا الازدحام؟ أجابني: «كل البركة في أمثال هذا الازدحام»(٢).

من الظلم أن ينامَ الإنسانُ ظمآناً

قال لي الإمام ذات صباح: «يا فلان! واللَّهِ إن من الظلم أن ينام الإنسان ظمآناً علىٰ ساحل بحر علم أمير المؤمنين عليه السلام»!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

وكان من سيرته أثناء زيارة الحرم العلوي أن يتلو أولاً زيارة «أمين الله» ثم يصلي ركعتي الزيارة ثم يتلو «الزيارة الجامعة» ودعاء «عالي المضامين»[1]، وكانت هذه سنة ثابتةٌ له في زيارته لحرم أمير المؤمنين عليه السلام[2].

إلىٰ جوار البحر العلوي

طلب عددٌ من علماء النجف وقتاً للالتقاء بالإمام، فلما دخلوا عليه قالوا له: يا سيدي، ليس من المناسب لشأنكم المرجعي ولا لعمركم أن تذهبوا لزيارة الحرم كل يوم مرتين في الصباح والمساء، لأن عرف المراجع هنا عدم الذهاب للحرمِ أكثر من مرتين أو ثلاث في الأسبوع، لذا فالمناسب لكم أن تذهبوا للتشرف بزيارة الحرم مرة أو مرتين في الأسبوع!

أصغىٰ الإمام لكلامهم إلىٰ النهاية وهو ساكتٌ، ثم رفع رأسه وقال: «والله إن من الظلم أن يكون الإنسان علىٰ ساحل بحر علم أمير المؤمنين عليه السلام وينام ظمآناً، فماذا تقولون؟!».

لقد أثرت هذه الكلمة في الحاضرين إلىٰ درجةٍ جعلتهم يخرجون من عنده بوجوه مستبشرة[3].

اهتمامه بزيارة عاشوراء

كان الإمام ملتزماً بالبقاء في النجف إلىٰ يوم السابع من محرم ثم يذهب ظهر هذا اليوم أو عصره إلىٰ كربلاء، كما كان ملتزماً بتلاوة زيارة

---

(١) وهو دعاء جليل نقله الشيخ القمي عن كتاب مصباح الزائر للسيد ابن طاووس بعد إحدى الزيارات الجامعة، وهذا الدعاء يَشتمل علىٰ الكثير من الإشارات المهمة للإرتباط بأئمة الهدىٰ ـ عليهم السلام ـ والتوسل إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ بهم، لاحظ الدعاء في ملحق مفاتيح الجنان بعد نقله لإحدىٰ الزيارات الجامعة، ص ٥٨٣ من الطبعة المعربة. [المترجم].

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني وهو من ملازمي الإمام في النجف الأشرف.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

عاشوراء يومياً في هذه الأيام من شهر محرم، والتي كان يزور فيها الحرم العلوي مرتين في اليوم فيقرأ فيه نهاراً زيارة عاشوراء فيما يزور زيارته المعتادة في المساء إلىٰ اليوم السابع، حيث كان يسافر إلىٰ كربلاء ويبقىٰ فيها إلىٰ اليوم الثالث عشر من شهر محرم، ويقوم خلالها بزيارة الحرم الحسيني مرتين يومياً قبل الظهر وبعد الظهر، دون أن يمنعه من ذلك شدّة الازدحام المألوف في تلك الأيام، وعلىٰ الرغم من وضعه البدني الخاص، لم يكن يترك زيارة سيد الشهداء عليه السلام حتىٰ في ظل ازدحام حشود مواكب العزاء واللّطم.

يقول الشيخ الفرقاني: لقد اشتد ضغط الازدحام مرةً علىٰ الإمام إلىٰ درجةٍ اضطررت معها إلىٰ التوسل بسيد الشهداء ـ سلام الله عليه ـ لإنقاذه من خطر الهلاك في ظل هذا الضغط، وبعد أن خرجنا رأيت الإمام غارقاً في العرق وقد سقطت عباءتُهُ ولم يكن حالي أفضل من حاله. ولكن لم يكن بالإمكان ـ رغم ذلك ـ الطلب منه الامتناع عن الزيارة بسبب شدة الازدحام لأنه لم يكن يستجيب لهذا الطلب[١].

المواظبة علىٰ زيارة الحسين(ع)

طوال مدة إقامته في النجف الأشرف كان الإمام يسافر إلىٰ كربلاء عدة مرات في السنة بمناسبة الزيارات المخصوصة للإمام الحسين عليه السلام وكان يقيم في منزل متواضع وضعه تحت تصرفه أحد الإيرانيين المقيمين في الكويت[٢].

يزور حرمي كربلاء مرتين في اليوم

كان الإمام يذهب ـ أيام إقامته في كربلاء ـ مرتين في اليوم صباحاً

(١) آية الله خاتم اليزدي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٣٩.

ومساءً لزيارة حرم جده الإمام الحسين عليه السلام وحرم أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام[1].

الالتزام بالزيارات المخصوصة

كنت يوماً في حرم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عندما دخل الإمام للزيارة، وكان ملتزماً بزيارةِ كربلاء في الزيارات المخصوصة وللإمام الحسين عليه السلام سبع زيارات مخصوصة، ولأمير المؤمنين عليه السلام ثلاث زيارات مخصوصة، إضافة إلىٰ التزامه بزيارة كربلاء في ليالي الجمعة، لكنه لم يكن يصل إلىٰ الحرم في هذه الليالي.

وكان يتعبد في الحرم مثل سائر المتعبدين، يتلو الدعاء ونصوص الزيارات، أما باقي العلماء فلم تكن زيارتهم تستغرق أكثر من عشر دقائق أو ربع ساعة، ويتلون الدعاء عن حفظ، ويؤدون ركعتي صلاة الزيارة، ثم يخرجون في حين كان الإمام يجلس مثل باقي الزوار العاديين ويقرأُ الدعاء والزيارة من كتاب مفاتيح الجنان[2].

أريد التشرف بالزيارة

رجع الإمام إلىٰ بغداد بعد رفض الكويت السماح له بدخول أراضيها، وقد وصل إلىٰ بغداد مع غروب الشمس وكانت ليلة جمعة فقال: «أريدُ الذهاب للتشرف بزيارة الحرم [مرقد الإمامين الكاظمين عليهما السلام]»، فقال الإخوة: ونحن نأتي معك، وبعد انتهاء الزيارة ذهب إلى الفندق وبمجرد دخوله الغرفة فرش عباءته وصلىٰ ركعتين تنفلاً[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الكروبي.

(٢) آية الله محمد هادي معرفت، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا الناصري، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٥٨.

زيارته لمرقد السيد عبد العظيم بعيد عودته إلىٰ إيران

أثناء أيام إقامته في «مدرسة علوي» أراد الإمام ليلةً الذهاب لزيارة مرقد السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام فقال «أحضروا سيارةً تقلني للذهاب إلىٰ الزيارة». لكننا كنا نعلم أن الأمر ليس بهذه البساطة والسهولة، ومهّدنا لذلك بأن أرسلنا في أحدىٰ الليالي مجموعة من المسلحين للسيطرة علىٰ المواقع المهمة حول مرقد السيد عبد العظيم عليه السلام ثم نقلنا الإمام بواسطة سيارةٍ محميةٍ إلىٰ المرقد المطهر الذي دخله الإمام فجأةً، فلم يشعر أحدٌ بالأمر إلىٰ أن دخل المرقد، ولكن بمجرد انتشار خبر زيارته للمرقد الشريف، احتشد الأهالي في ازدحام شديد مما اضطرنا إلىٰ نقل السيارة من بداية السوق المؤدي إلىٰ المرقد إلىٰ باب المرقد، ورغم ذلك فقد تجمع الناس حولها في ازدحام شديد يصوره سائق سيارة الإمام الأخ أبو الفضل التوكلي بقوله: لقد شعرت بضيق النفس من شدة الازدحام ولم أستطع الخروج بالسيارة من هذا الازدحام والعودة إلىٰ طهران إلا بعد تجاوز صعوبات كثيرة[١].

آسِفٌ من عدم توفر الفرصة لزيارته قبل اليوم

في أيام إقامة الإمام في مدرسة علوي ذهبنا ـ أنا والمرحوم الشهيد مهدي العراقي ـ مع سماحته في الساعة العاشرة من مساء يوم ١٩/١١/١٣٥٧ [هـ.ش، ٢٩/١٩٧٩م] لزيارة مرقد السيد عبد العظيم ـ سلام الله عليه ـ وبصورة متخفية، وكان المسؤولون قد أخلوا المرقد من قبل دون أن يعرفوا سبب تخليته، وبسبب هذا الكتمان أتم الإمام زيارته قبل معرفة الأهالي بخبر قدومه.

وكان الإمام قد قال بعد يومين أو ثلاثة من عودته من باريس إلىٰ

---

(١) اللواء حرس الثورة محسن رفيق دوست، مجلة (أميد انقلاب)، العدد: ٢٥.

طهران: «إنني أسفٌ لأن التوفيق لم يحالفني خلال هذه الأيام التي تلت وصولي إلىٰ إيران لزيارة السيد عبد العظيم عليه السلام»[1].

اقرأوا الزيارة الرجبية

في كلمةٍ له في النجف الأشرف خاطب الإمام ـ وعلىٰ نحو الموعظة ـ تلاميذه بالوصية التالية: «اقرأوا هذه الزيارة الرجبية التي ذكرت للأئمة عليهم السلام مقامات تبينها عبارةُ «لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك»، أي أن كونهم عبادك هو الفرق الوحيد».

وكان الإمام يؤكدُ علىٰ هذه الفقرة ويقول: «إن كونهم عباد الله هو الفارق بينهم وبين الله، أي أن جميع القوىٰ الإلهية هي بيد الأئمة عليهم السلام». ثم كان يقول بعد ذلك: «اقرأوا هذه الزيارة لكي لا تنكروا ما قد يُنقل من مقامات أولياء الله، أو علىٰ الأقل تقبلون به كمجرد احتمال»[2].

مواظبة الإمام علىٰ زيارة السيدة المعصومة

عندما كان الإمام يُلقي دروسه في الصحن الكبير لحرم السيدة المعصومة [فاطمة بنت الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام]، كان يدخل كل يوم بعد انتهاء درسه إلىٰ الحرم لزيارتها عليها السلام، وهذا ما لم يكن يقوم به أي من طلبة الحوزة، بل ولا أعرف من المرجع الكبار من يتشرف بزيارة حرم هذه السيدة ـ سلام الله عليها ـ كل يومٍ[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين ناطق النوري.
(٢) آية الله المؤمن، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٠٢.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين أحمد الصابري الهمداني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٢٧١.

زيارة السيدة بعد الدرس

كان الإمام وإلىٰ آخر أيام إقامته في قم، ملتزماً بزيارة الحرم المطهر للسيدة المعصومة ـ سلام الله عليها ـ كل يوم بعد انتهاء إلقائِهِ لدرسه في الصباح، وأحياناً بعد انتهاء درسه عصراً؛ كما كان ملتزماً أيام إقامته في النجف الأشرف بزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام كل يوماً مساءً بعد مضي ثلاث ساعاتٍ علىٰ غروب الشمس، وكان يتلو عادة زيارة «الجامعة الكبيرة»[1].

لم يترك زيارته اليومية لها

كنتُ أشاهد الإمام ـ أيام حضوري لدورسه في قم ـ أنه كان يتوجه كل يومٍ عصراً وفور انتهاء الدرس إلىٰ حرم السيدة المعصومة عليها السلام للزيارة، ولا أتذكر أنه ترك ذلك يوماً، وكان معروفاً في الحوزة بالتزامِهِ بهذه الزيارة[2].

بكّاء علىٰ المصاب الحسيني

لا يمكن بيان شدة حبّ الإمام وتعلقه بأهل البيت عليهم السلام، إنه عاشق لهم، عاشق تنهمر من عينيه دموع الوجد لمجرد ارتفاع صوت «يا حسين»، رغم ما عُرف به من جلادة وصبر في مواجهة المصائب، إنه لم يبكِ حتىٰ عند استشهاد ولده الحاج السيد مصطفىٰ، لكن الدموع تنهمر علىٰ وجنتيه بمجرد بدء الخطيب الحسيني بعبارة: «السلام عليك يا أبا عبد الله»[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة الحوزه، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.
(٢) آية الله الإمامي الكاشاني.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني).

لا يبكي علىٰ مصابه بولده

يقولُ السيد الكوثري الذي كان يقرأ لسنين عدة في مجالس العزاء التي يقيمها الإمام عندما كان في قم: زرتُ النجف بعيد استشهاد المرحوم السيد مصطفىٰ فقال الإخوة: لقد جئتَ في الوقت المناسب، هلُمّ للتفريج عن الإمام، فلم نستطع جعل الإمام يبكي علىٰ مصابه بولده السيد مصطفىٰ رغم كل ما فعلنا، لعلك تستطيع أنت القيام بذلك.

ومن أجل ذلك قلت للإمام: هل تأذن لي بقراءةِ مجلسٍ للعزاء؟ فأذن لي بذلك، فشرعت بالقراءة واجتهدت في ذكر اسم ولده الشهيد بنبرةٍ حزينة لكي يبكي علىٰ مصابه به لكنه لم يتأثر بكل ذلك أصلاً وبقي علىٰ سكينته المعهودة إلىٰ أن ذكرت اسم علي الأكبر عليه السلام وعندها انفجر بالبكاء وبلوعة لا يمكن وصفها[١].

تزول سكينته عند ذكر مصائب أهل البيت(ع)

لعل بعض الناس شاهدوا عبر جهاز التلفاز، مراسم التأبين التي أقامها الإمام في المدرسة الفيضية علىٰ روح الأستاذ الشهيد المطهري، ولاحظوا حالة الإمام فيها، فقد شارك فيها لأنه كان مقيماً يومها في قم، لقد كان يجلس في حالة عميقة من السكينة طوال المدة التي كان الخطيب يتحدث فيها ـ وهو واقف جوار الإمام ـ عن شخصية تلميذه الجليل وبضعته العزيزة، وعن استشهاده المفجع، ولكن حالة السكينة هذه تغيرت عندما وصل الخطيب إلىٰ ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام وعندها أخرج الإمام منديله ووضعه علىٰ وجهه وأجهش بالبكاء[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين علي الدواني، المصدر السابق، ج ٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين علي الدواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ١٠٦، وقد تصور بعضهم أن بكاءه كان علىٰ مصابه بالشهيد المطهري وهذا ما لا أساس له من الصحة، ولا ينسجم مع ما عُرف عن الإمام من صبر وجلادة في مثل هذه المواقع خاصة أمام الملأ العام.

يجزع لمصيبة أبي عبد الله الحسين(ع)

ينقل ولدي الأكبر عن السيدة الدكتورة «مهين. ت.» الأستاذة في علم الفنون الجميلة، أنها ذهبت إلىٰ باريس إثر انتقال الإمام إليها، وتطوعت للخدمة في محل إقامته فيها، وهناك لم تلاحظ عليه أي تغيّر في حاله يشيرُ إلىٰ نفاذ صبره، عندما كانوا ينقلون إليه أخبار مجزرة السابع عشر من شهر «شهريور»[1] التي ارتكبها الحكم الملكي في طهران وضخامة عدد القتلىٰ والجرحى فيها، وتنقل هذه السيدة أن حال الإمام لم يتغير حتىٰ عندما أجهشت هي بالبكاء إثر سماع هذه الأخبار بل كان يسليها قائلاً: «لماذا البكاء، تحلّي بالصبر».

وبعد بضعة أيام قام أحد الأشخاص لقراءة مجلس عزاء حسيني في حضور الإمام، وبمجرد أن بدأ المجلس بعبارةِ «السلام عليك يا أبا عبد الله» تغير لون وجه الإمام وانهمرت الدموع من عينيه وغطت وجنتيه[2].

يشارك في المجالس الحسينية

كان الإمام يشارك في مجالس العزاء الحسيني التي كانت تُقام في محلات قم بمناسبة ليالي شهر محرم، وكان بذلك يشجع الناس ويرغبهم في حضورها كما كان يزيد هذه المجالس حرارةً بحضوره[3].

الأشد صبراً في المصائب والأشد جزعاً علىٰ مصائب أهل البيت(ع)

لقد شاهدت الإمام مراراً في مجالس العزاء الحسيني التي كانت تُعقد في بيوت بعض السادة العلماء أو في مسجد «بالاي سر» في حرم السيدة

---

(١) من أشهر السنة الشمسية الإيرانية والمقصود المجزرة التي عرفت بمجزرة «يوم الجمعة السوداء» قبيل انتصار الثورة.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الحزم آبادي.

المعصومة [فاطمة بنت موسىٰ بن جعفر عليها السلام]، وكانت تظهر من الحاضرين ردود فعل مختلفة تتناسب وطبيعة ما يقوله الخطيب، فبعضهم كان يبتسم بل ويضحك إذا كان ما يقوله الخطيب مثيراً للابتسام أو الضحك، أو يهز رأسه تحزّناً إذا كان ما يقوله الخطيب مثيراً للحزن، وبعضهم يبكي بصوتٍ عالٍ أو منخفضٍ. أما الإمام فكان يجلس مصغياً بسكينةٍ تثير الإعجاب في كل مَن يراه فإذا وصل الخطيب إلى ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام، أخرج المنديل من جيبه وشرع بالبكاء دون اختيار وانهمرت دموعه بغزارة.

كنتُ أراه أحياناً يضع المنديل علىٰ فمه وهو يصغي لما ينقله الخطيب من مصائب أهل البيت عليهم السلام والدموع تجري من عينيه. ويمكن القول أن صبر الإمام وتحمله تجاه مختلف الحوادث أشد من الآخرين مثلما أن بكاءه وجزعه علىٰ مصائب أهل البيت عليهم السلام أشد من الآخرين أيضاً[1].

ارتباطٌ وثيقٌ بالزهراء(ع)

كان للإمام مُنذ شبابه ارتباط وتعلق خاص بجدته السيدة الزهراء - عليها السلام وكان يقيم مجلساً سنوياً في بيته يستمر خمسة أيام لذكر مصائبها - سلام الله عليها -[2].

يقيم مجالس العزاء لذكرىٰ شهادتها

كان الإمام يقيم في بيته مجلساً في «عشرة الفاطمية الثانية»[3] للعزاء للسيدة الزهراء - سلام الله عليها - يستمر ثلاثة أيامٍ، وكانت له حساسية

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين علي الدواني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي.

(٣) الأيام العشرة التي تضم الرواية الثانية من روايات استشهاد الصديقة الزهراء - سلام الله عليها - أي رواية غرة جمادي الآخرة. [المترجم].

خاصة تجاه ذكر مصائبها عليها السلام، وكان يبكي أكثر من الآخرين عند ذكرها وذكر ولدها الحسين عليه السلام[1].

ومجلس يوم عاشوراء

كنت أذهب أحياناً في أيام العزاء إلىٰ منزل الإمام، حيث كان يقيم مجالس عزاء بمناسبة وفاة السيدة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ وكذلك بمناسبة يوم عاشوراء وكان يقرأ في كل مجلس عدة خطباء[2].

يشارك في المواكب الحسينية

عندما كان الإمام في إيران كان يقيم ـ ولثلاثة أيام ـ مجلساً للعزاء في «أيام الفاطمية الثانية» أي من اليوم الأول إلىٰ اليوم الثالث من شهر جمادى الثاني، وقد أضاف إليها في النجف ليالي الإحياء الثلاث من شهر رمضان المبارك، وكان يشارك أيضاً في مواكب العزاء الحسيني للاطمين علىٰ الصدور في كربلاء، كما كانت مواكب العزاء في النجف تزوره فكان يشكر المشاركين فيها علىٰ مشاعرهم الإيمانية[3].

يلطخ عمامته بالطين في يوم عاشوراء

ذهب الإمام عصر يوم عاشوراء من سنة ١٣٤٢ [هـ.ش/ ١٣٨٣ هـ.ق] إلىٰ المدرسة الفيضية [في قم] لإلقاء خطاب تحليلي لذكرىٰ استشهاد سيد الشهداء عليه السلام وكانت عمامته مفتوحة وقد لطخها بالطين [تعبيراً عن الحزن بهذه المناسبة]، ووضع ذؤابتها تحت حنكه [كتعبير مماثل لسابقه][4].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد الكوثري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ١٢٣.
(٢) آية الله الخلخالي، مجلة (ياد)، العدد: ٤.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.
(٤) آية الله المؤمن، المصدر السابق، ج ٣.

يقيم مجالس عزاء في ذكريات استشهاد المعصومين(ع)

أثناء مدة إقامته في النجف الأشرف، كان يقيم في منزله مجالس للعزاء في جميع ليالي ذكريات استشهاد المعصومين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وكانت هذه المجالس تستمر لثلاثة أيام بمناسبة ذكرىٰ وفاة الصديقة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ وكان يبكي بلوعةٍ وحرقةٍ في جميع هذه المجالس دون استثناء[١].

ويكرم خدمة سيد الشهداء(ع)

قبل عدة سنين تشرفتُ بزيارةِ الإمام فسألني عن أحوال أبي، فأخبرته بأنه بخير وأبلغته سلام والدي، وهو السيد علي أكبر الكوثري أسنّ خطباء المنبر الحسيني في قم، وكنت قد رافقته قبل سنتين من ذلك، وكانت صحته مساعدة لزيارة الإمام الذي قام فور دخول الوالد وعانقه بحفاوة بالغة، وأراد الجلوس علىٰ الأرض إجلالاً، وقد قال الشيخ الصانعي لمّا شاهد ذلك: قلما رأيت الإمام يبدي مثل هذا الاحترام لأحد، فقلت: إنه يفعل مثل هذا مع والدي لأنه خادمٌ في بيت سيد الشهداء عليه السلام. أجل، إنه يتعامل بمثل هذا الاحترام مع جميع المنسوبين لسيد الشهداء عليه السلام بسبب شدة حبه بل عشقه القدسي للإمام الحسين وأهل البيت ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ[٢].

يشجع الحوزويين عملياً علىٰ الخدمة في الشعائر الحسينية

كان تواضع الإمام في تعامله مع طلبة الحوزة المجدّين يثير

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الكوثري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ١٢٦.

الإعجاب حقاً، وكان يقوم بالكامل للطلبة الذين يقرأون مجالس العزاء الحسيني ومدائح أهل البيت عليهم السلام؛ كما كان يقوم لتوديعهم إذا أرادوا الخروج من عنده ولا يرجع إلا استجابة لطلبهم الملح[1].

يشارك في المجالس الحسينية

كان الإمام يحضر في مجلس للعزاء الحسيني يقيمه إخوة آية الله السيد بسنديده في منزله[2].

ويبقىٰ إلىٰ نهايتها

كان الإمام يقيمُ مجلساً للعزاء الحسيني يومي التاسع والعاشر من المحرم في كربلاء ويبقىٰ إلىٰ نهاية المجلس حاضراً فيه[3].

ويبكي فيها بحرقة وبصوتٍ عالٍ

كان الإمام ملتزماً بإقامة مجالس لعزاء أهل البيت عليهم السلام في المناسبات المهمة خاصةً في يوم عاشوراء، وكان يقرأُ التعزية فيها عادة، خطباء المنبر الحسيني التقليديون، والإمام يبكي بحرقةٍ، وكان الخطباء يقرأون الأشعار الرثائية التقليدية، ويقللون من ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام رعايةً لحال الإمام لأنه شديد الحب لأهل البيت عليهم السلام ويمكن أن يؤدي شدة تأثره إلىٰ إصابته بأزمة قلبية. وكان الإمام يبكي في هذه المجالس بصوتٍ عالٍ[4].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد الفاضلي الإشتهاردي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٥.

(٢) صحيفة كيهان (١٣٥٨/٩/١٠ هـ.ش)، وكتاب (محضر نور)، ج ١، ص ٢٤٨.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (خصوصيات من سيرة الإمام)، ص ٢٦.

اختصار ذكر المصيبة رعاية لحاله

أقام أعضاء مكتب الإمام يوماً مجلسَ عزاء بمناسبة ذكرىٰ استشهاد السيدة فاطمة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ ودعوا الإمام لحضوره فحضر وجلس، وبمجرد بدء أحد الأخوة من أعضاء المكتب بقراءة المجلس أخذ الإمام بالبكاء بصوتٍ عالٍ فاضطر القارىء إلىٰ اختصار ذكر المصيبة رعايةً لحال الإمام[١].

يجهش بالبكاء فور البدء بذكر المصيبة

ذهبنا ـ وكنا عدة أشخاص ـ إلىٰ غرفة الإمام لتلاوة دعاء التوسل بمناسبة ذكرىٰ وفاة أحد الأئمة عليه السلام فجلس الجميع باتجاه القبلة وبدأوا تلاوة الدعاء، ثم دخل الإمام وجلس في مصاف الجالسين وشرع بالدعاء معهم، ثم قرأ أحد السادة ـ وسط الدعاء ـ جانباً من مصائب أهل البيت عليهم السلام فأجهش الإمام بالبكاء فور بدء القارىء بذكر المصيبة، ورغم أنه لم يكن خطيباً محترفاً، وقد ارتبك هيبةً من حضور الإمام، وارتعش صوته أثناء قراءته المصيبة التي لم تكن تشتمل علىٰ مقاطع حساسة، رغم كل ذلك أجهش الإمام بالبكاء وبحرقةٍ بحيث أخذت أكتافه ترتعش بشدة، وقد لاحظت ـ وقد اختلست نظرات إلىٰ وجه الإمام ـ أن دموعه تنهمر بغزارة وتجري علىٰ لحيته الكريمة وتسقط علىٰ حجره. وبعد لحظات أشار أحد الإخوة من حيث لا يراه الإمام إلىٰ القارىء أن يقطع قراءته للمصيبة لأن من المحتمل أن يؤدي البكاء الشديد إلىٰ آثار سيئة علىٰ قلب الإمام[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (خصوصيات من سيرة الإمام)، ص ٢٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (في ظل الشمس)، ص ٣٦.

يقيم مجلساً حسينياً في نوفل لوشاتو

احتشد ـ في محل إقامة الإمام في ضاحية «نوفل لوشاتو» ـ عددٌ كبيرٌ من الزوار القادمين من عدة بلدان من أوروبا وغيرها، كان فيهم الأطباء والمهندسون والطلبة والأساتذة الجامعيون، وكان عددهم حدود (٥٠٠) شخص، قدموا لزيارة الإمام، وقد احتشد حولهم عددٌ كبيرٌ من الصحفيين ومراسلي محطات الإذاعة والتلفزيون من بلدان شتىٰ، وقد وجهوا عدسات أجهزتهم التصويرية لتصوير المراسم المقامة.

ثم خرج الإمام من مسكنه بهيبته وسكينته التي يتميز بها، ودخل تلك الخيمة، وجلس فيها بوقار، فالتف حوله الحاضرون، وبعد لحظات قال لي: «اقرأ مجلس التعزية»، فقرأتُ ـ بمناسبة يوم التاسع من شهر محرم ـ قصة استشهاد، أبي الفضل العباس عليه السلام، وقد أخرج الإمام منديلَهُ الأبيض وأجهش بالبكاء، فأثر بكاءُهُ في الحاضرين وأَثّرَ بعمق عليّ أنا أيضاً الذي يعبر عن شدة حب الإمام لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام[1].

هل من قارىء يذكر مصيبة سيد الشهداء(ع) ؟

بعد انتهاء صلاة العشاء من ليلة عاشورة التي مرت علىٰ الإمام وهو مقيمٌ في ضاحية نوفل لوشاتو، التفت الإمام وقال: «هل يوجد من يحسن قراءة التعزية؟»، ثم أمر أحد الإخوة بقراءة ذلك، وقد لاحظ جميع الحاضرين أن الإمام أخرج منديله وأجهش بالبكاء بمجرد أن بدأ القارىء مجلسه العزائي.

لقد علّمنا الإمام بعمله هذا أنه لا ينبغي نسيان الهدف، وهو إحياء سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في أصعب التحركات السياسية والاجتماعية وأكثرها حساسية[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج ١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي.

يأمر بالإطعام يوم عاشوراء

أمر الإمام بإطعام جميع الحاضرين في محل إقامته في نوفل لوشاتو بمناسبة حلول يوم عاشوراء.

سماع المصائب الحسينية ينفذ إلىٰ أعماق وجوده

كان الإمام ليلة مضطجعاً وهو يؤدي الحركات الرياضية العلاجية التي أوصاه بها الأطباء، وأثناء ذلك كان التلفزيون يبث مراسم تعزية، فأخذ يبكي وهو يحسبُ ـ في الوقت نفسه ـ عدد الحركات الرياضية لكي يؤديها طبق العدد الذي حدده له الأطباء، لقد كنتُ أرىٰ وجهه وأنا واقفةٌ علىٰ رأسه فرأيت الدموع تنهمر من عينيه، فسماع التعزية قد ترك آثاره علىٰ كل وجوده لكنه رغم ذلك لم يترك الرياضة العلاجية التي كان يمارسها لأن الوقت هو وقتها[١].

يجلس علىٰ الأرض في المجالس الحسينية

كان الإمام يجلس علىٰ الأرض بدلاً من الكرسي المخصص له في مجلس العزاء الحسيني الذي كان يعقد في حسينية جمران بمناسبة يوم عاشوراء. فكان جلوسه علىٰ الأرض في هذا المجلس تعبيراً عن شدة احترامه لمراسم سيد الشهداء ـ سلام الله عليه ـ[٢].

ويستشفي بالتربة الحسينية

كان الإمام يتناول تربة الإمام الحسين عليه السلام بقصد الاستشفاء[٣].

---

(١) السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (ندا)، العدد الأول.

(٢) السيدة زهراء المصطفوي (ابنة الإمام).

(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

توجهوا أولاً لزيارة الإمام الرضا والتوسل به

عندما طرحت في مجلس الشورىٰ الوطني لائحة اتحادات المدن والقرىٰ، رأىٰ الإمام أن من الضروري ـ إضافةً إلىٰ عقد اجتماعات للتشاور مع أساتذة الحوزة العلمية ـ أن يبعث رسائل إلىٰ علماء المحافظات والمدن لكي يناصروا موقف حوزة قم، وقد كُلفت ـ أنا أيضاً ـ من قبل الإمام بأن أسافر إلىٰ المنطقة الممتدة من مشهد إلىٰ زاهدان وأجتمع بعلمائِها وأسلمهم رسائل الإمام وأطلب منهم أن يطلعوا الأهالي علىٰ ما يجري وعلىٰ المصائب النازلة بالإسلام، وأن يبعثوا رسائل جماهيرية اعتراضاً علىٰ ذلك.

وعشية توجهي للقيام بهذه المهمة تشرفت بلقاء الإمام في الساعة العاشرة مساءً لتوديعه، فسلمني الرسائل وقال: «قبل أن تلتقوا أحداً اذهبوا أولاً إلىٰ الحرم المطهر لثامن الحجج علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام وقولوا له نيابة عني: يا سيدي، لو وقعت حادثة جليلة خطيرة، وقد رأينا أن واجبنا أن ننهض ضدها ونتحرك، فإن كان عملنا مرضياً لكم فسددونا»[1].

حذارِ من أن يصدكم البحث العلمي عن زيارة الأئمة(ع)

عزم أحد العلماء من أساتذة حوزة قم علىٰ السفر لزيارة العتبات المقدسة للأئمة عليهم السلام في العراق، فذهبنا برفقةِ الإمام ـ وكان من أصدقائِهِ ـ لزيارته، وقد قال له الإمام في هذا اللقاء: «أنتم تسافرون إلىٰ العراق بقصد زيارة العتبات المقدسة، والحوزة العلمية في النجف الأشرف محل المباحثات والمذاكرات العلمية، لذلك فإن الذين سيزورونكم قد يفتحون باب المناقشات العلمية معكم فاحذروا من أن تصدكم هذه المباحثات

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (پيام انقلاب)، العدد: ٦٠.

العلمية عن زيارة الأئمة عليهم السلام وينقضي سفركم بأمثال تلك اللقاءات، إن لديكم هدفاً آخراً فلا تغفلوا عنه»[1].

كل ما لدينا هو من إمام العصر(عج)

قال أحد الطلبة الحوزويين يوماً للإمام في مدرسة «رفاه»: لماذا لا تذكرون إمام العصر ـ سلام الله عليه ـ في خطاباتكم إلا قليلاً؟ عندما سمع الإمام هذا الكلام قام واقفاً علىٰ قديمه وقال: «ماذا تقول؟! ألا تعلمون أن كل ما لدينا هو من إمام العصر ـ عجل الله تعالى فرجه ـ؟ ألا تعلمون أن كل ما لديّ وكل ما أنجزته ثورتنا هو من إمام الزمان ـ عجل الله تعالى فرجه ـ؟!»[2].

غيرته علىٰ الصديقة الزهراء(ع)

بشأن قضية البرنامج الذي بُث عبر الإذاعة تحت عنوان «قدوة النساء» ووردت فيه إساءة إلىٰ المقام القدسي للسيدةِ الزهراء ـ عليها السلام ـ علىٰ لسان إحدىٰ اللواتي أجريت معهن مقابلة ضمن هذا البرنامج[3]؛ بشأن هذه القضية بعث الإمام رسالة شديدة اللهجة قال فيها: «إن هذا العمل [بث هذا البرنامج] يستتبع التوبيخ والعقاب الصارم والجاد لكبار المسؤولين في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، وبالطبع ستقوم السلطة القضائية باللازم في مختلف المجالات»[4].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد جواد علم الهدىٰ، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٥.

(٢) آية الله إبراهيم الأميني، مجلة (پيام انقلاب)، العدد: ١٠٥.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج ٢.

(٤) الإهانة كانت غير مباشرة إذ قالت المرأة المشار إليها في المقابلة أن قدوتها امرأة يابانية كان التلفزيون الإيراني يعرض في تلك الأيام قصة حياتها (وهي ليست واقعية) في مسلسل تمثيلي طويل يحكي أشكال المصائب والصعاب التي مرت فيها هذه المرأة، ورغم ذلك فقد كان الأمر مؤلماً أن تتخذ امرأة مسلمة أمامها قدوات مثل سيدة نساء العالمين ـ سلام الله عليها ـ امرأة يابانية قدوة لها، وفي ذلك إشارة إلىٰ شدة غيرة الإمام علىٰ قدسية =

يضع في غرفته صورة منسوبة للنبي الأكرم(ص)

توجد في الغرفة التي يجلس فيها السيد صورة يحبها كثيراً منسوبة للرسول الأكرمﷺ والله أعلم بمدىٰ صحة هذه النسبة لكن الإمام كان يحبها كثيراً، لقد وضعها نصب عينيه مُنذ اليوم الذي رآها فيه، ووضعها أمامه أعلىٰ المدفئة. وهي صورة كبيرةٌ ومن الصعب أن يصدق الإنسان أنها صورة الرسول الأكرمﷺ: لأنها صورة شاب ابن (١٧ ـ ١٨) سنة مكشوف الصدر. لكن الإمام قال عنها: «إنني أحب هذه الصورة كثيراً لأنني اقتنعت بأنها صورة الرسول الأكرمﷺ»[١].

مكافأة الساعين في إحياء أمر أهل البيت (ع)

بتأريخ ٢٠/٣/٥٩ ١٣ هـ.ش/ [١٠/٦/١٩٨٠م] وفي الساعة العاشرة صباحاً زار عددٌ من أفراد حرس الثورة الإمام، وقد عرض أثناء اللقاء فيلم «باتجاه شاطىء الأمن» الذي أعدته العلاقات العامة لقوات حرس الثورة في منطقة «ري» بمناسبة ذكرىٰ البعثة النبوية المباركة، وقد كافأ الإمام إثر مشاهدة هذا الفيلم ـ الذي يبين جانباً من بركات البعثة المباركة ـ المشاركين في انتاجه تشجيعاً لهم علىٰ عملهم المبارك[٢].

زيارة الإمام الرضا (ع) أمنيتي

وجهت للإمام ـ أثناء لقائِهِ بقادة قوات حرس الثورة واللجان الثورية في محافظة خراسان بتأريخ ١٢/٥٨٨ ١٣ هـ.ش/ [٣/١١/١٩٧٩م] ـ دعوة للسفر إلىٰ مدينة مشهد المقدسة وزيارة الإمام علي بن موسىٰ الرضاعليه السلام

= الزهراء ـ سلام الله عليها ـ والتي تجلت في موقفه الحازم في معاقبة المسؤولين عن بث هذه المقابلة من إذاعة الجمهورية الإسلامية. [المترجم].

(١) ملحق صحيفة رسالت الصادر بمناسبة الذكرىٰ السنوية الخامسة لوفاة الإمام الخميني.

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

فقال: «إن زيارة ثامن الأئمة عليه السلام أمنيتي، ولكنها لا تتيسر لي بسبب كثرة ابتلاءاتي من جهة ومن جهة أخرىٰ بسبب استمرار اللقاءات الاجتماعية، وكل أملي أن يوفقني الله تبارك وتعالىٰ لهذه الزيارة»[1].

يشارك في مراسم مواليد أهل البيت (ع)

شارك الإمام في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الثلاثاء ١٠/ ٥٨/٧ [١٣ هـ.ش/ ٢/ ١٠/ ١٩٧٩م]، في مراسم خاصة أقامتها دائرة البلدية وخدمات المرور في مدينة قم في قاعة الاجتماعات بمناسبة مولد الإمام الرضا عليه السلام[2].

اختار اسمي علي وفاطمة

بتأريخ ١٤/ ٥٨/٤ [١٣ هـ.ش/ ٥/ ٧/ ١٩٧٩م] زار رجل مسيحي مع زوجته الإمام الخميني وتشرفا باعتناق الإسلام، وقد طلبا منه اختيار أسماء إسلامية لهما، فاختار الإمام للزوج اسم «علي»، وللزوجة اسم «فاطمة»[3].

سمّى الأولىٰ فاطمة والثانية زهراء

رزقني الله خلال الأعوام التسعة التي تشرفت فيها بالخدمة في مكتب الإمام في جمران، ثلاثة أطفال، عندما حملت إليه وليدتي الأولىٰ لكي يُؤذن ويقيم في أذنيها ويسميها قال: «لأنها أنثىٰ، فاسم فاطمة مناسب لها». وبعد سنتين ونصف حملت له وليدتي الثانية وأنا خجل، وكنت قد اصطحبت معي لزيارته والدتي وأختي وزوجتي، وقد احتملت أن يقولَ

---

(١) صحيفة كيهان (٢٢/ ٣/ ١٣٥٩ هـ.ش)، وكتاب (محضر نور)، ج ١، ص ٣١٨.
(٢) صحيفة كيهان (١٣/ ٨/ ١٣٥٨ هـ.ش)، وكتاب (محضر نور)، ج ١، ص ٢٣٧.
(٣) صحيفة إطلاعات (١٢/ ٧/ ١٣٥٨ هـ.ش)، وكتاب (محضر نور)، ج ١، ص ١٢٨.

الإمام شيئاً [بشأن تسميتها] لكنه اكتفىٰ بتلاوة الأذان والإقامة في أذنيها، فقلتُ: اختاروا الاسم أيضاً يا سيدي، فقال: «هل الوليد ذكر أم أنثىٰ؟» قلت: هي بنتٌ، فابتسم وقال: «أنتم لديكم فاطمة، فاختاروا لهذه اسم زهراء».

تعجبتُ كثيراً من عدم نسيانه لاسم ابنتي الأولىٰ رغم كثرة مشاغله وعدم تحدثي معه ولا لمرة واحدة عنها.

ثم تشرفتُ بزيارته لتسمية الوليد الثالث وتلاوة الأذان والإقامة في أذنيه، وكان الثلج يهطل بغزارة يومها، حملت له الوليد الذي كان يبكي بشدة ولم نستطع إسكاته رغم كل ما فعلنا فقال السيد ـ وكان يولي الأطفال اهتماماً واحتراماً خاصاً ـ: «أعطوني الطفل»، فوضعناه بين يديه وهو لا يزال يبكي بشدة لكن بمجرد أن قرأ الإمام في أذنه: الله أكبر سكت الطفل وظهرت علىٰ وجهه ابتسامة محببة[1]!

يشارك في احتفال عيد الغدير

شارك الإمام في احتفال أقيم في مركز لرعايةِ المعوقين بمناسبة عيد الغدير، استجابةً لدعوة وجهت إليه، وقد تفقد أثناء ذلك أحوال المعوقين[2].

وفي احتفالات مولد الإمام المهدي (عج)

في الساعة العاشرة من مساء الاثنين ١٨/٤/٥٨ ١٣ هـ.ش [٩ / ٧/ ١٩٧٩م] طاف الإمام ـ ودون اطلاعٍ مسبقٍ ـ في شوارع قم التي نشرت فيها وسائل الزينة بمناسبة احتفالاتَ ذكرىٰ مولد الإمام المهدي ـ عجل

---

(١) السيد أحمد بهاء الديني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ١، ص ٢٦٤.
(٢) صحيفة إطلاعات (١٩/٨/١٣٥٨ هـ.ش)، وكتاب (محضر نور)، ج ١، ص ٢٤٢.

الله فرجه ـ في النصف من شهر شعبان، ثم شارك في مراسم احتفال عُقد بالمناسبة في شارع «جهارمردان»[1].

لا يترك زيارة عاشوراء

لم يكن الإمام يترك تلاوة زيارة عاشوراء، وقد عرفتُ ـ خلال حديث مع سماحته ـ أنه لا يتركها أبداً ويتلوها مع تكرار اللعن الوارد فيها مائة مرة والسّلام الوارد فيها مائة مرة أيضاً[2].

ويكرر اللعن والسلام فيها مائة مرة

عندما يتلو الإمام زيارة عاشوراء، يكرر عادة اللعن والسلام الواردين فيها مائة مرة لكل منها وهو يتمشىٰ، وهو يتلو زيارة عاشوراء في شهر محرم وعادة علىٰ شكل دورة أربعينية، أي علىٰ مدىٰ أربعين يوماً متوالية[3].

زيارة عاشوراء في نوفل لوشاتو

في الليلة الأولىٰ من شهر محرم الحرام التي مرت علينا ونحن في ضاحية نوفل لوشاتو، وهي الليلة التي شهدت في إيران أول مرة التكبير الجماعي لأبناء الشعب الإيراني من فوق سطوح المنازل، اتصل أحد الأشخاص من طهران وأسمعنا عبر الهاتف أصوات التكبير المختلطة بأصوات اطلاق الرصاص وقد سجلت هذه الأصوات وحملت الشريط للإمام، ولما دخلت عليه وجدته واقفاً وبيده المسبحة وهو يتلو الذكر الوارد في زيارة عاشوراء: أجل كان يتلو زيارة عاشوراء ولعله للمرة

---

(١) صحيفة كيهان (٢٠/٤/١٣٥٨ هـ.ش)، وكتاب (محضر نور)، ج ١. ص ١٤٦.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد مهدي الغيوري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة (حوزه)، العدد المزدوج ٣٧ ـ ٣٨.

الأولىٰ التي تُتلىٰ فيها هذه الزيارة في تلك الديار وفي وقت كنا نحن غافلين عن قضايا شهر محرم[1].

لم يتغير برنامجه في تلاوة زيارة عاشوراء حتىٰ في باريس

تتغير حالات الكثير من الأشخاص والشخصيات وبرامجهم بتغير الأوضاع، ولكن حالات الإمام لم تكن تتغير بسبب ذلك، فمثلاً كان ملتزماً بتلاوة زيارة عاشوراء في أيام العشرة الأولىٰ من المحرم، وكانت سيرته مُنذ اليوم الأول إلىٰ اليوم الثامن من شهر محرم التوجه إلىٰ حرم أمير المؤمنين عليه السلام في الساعة التاسعة صباحاً حيث كان يتلو فيه زيارتي أمين الله وعاشوراء، ثم يواصل القيام بذلك في حرم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء التي يزورها عصر اليوم الثامن من المحرم.

وقد بقي ملتزماً بهذه السيرة طوال أربعة عشر عاماً قضاها في العراق. وفي العشرة الأولىٰ من شهر محرم سنة ٥٧ ١٣ هـ.ش [١٣٩٩ هـ.ق] كان الإمام مقيماً في باريس حيث كان أحد الإخوة مكلفاً بتقديم تقارير الأخبار إلىٰ الإمام في الساعة التاسعة صباحاً، وقد دخلت بيت الإمام في باريس ـ طبق البرنامج اليومي المعتاد ـ صباح اليوم من المحرم فوجدته مقبلاً علىٰ تلاوة زيارة عاشوراء، ثم استلم التقارير الخبرية في وقتها المعني لكنه قال: «غيروا بدءاً من يوم غدِ البرنامج اليومي المعتاد، لا تأتوني بالأخبار في التاسعة بل قبل زيارة عاشوراء أو بعدها»[2].

ولا يلتقي بأحد أثناء وقت تلاوتها

جاء الشهيد القدوسي المدعي العام للثورة صباح أحد الأيام إلىٰ

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين فردوسي بور، صحيفة رسالت، (١٤/٤/١٣٦٨ هـ.ش).

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي.

بيت الإمام للقائِهِ في الوقت الذي لا يستقبل فيه أحداً، فقال له الشيخ التوسلي المسؤول عن تنظيم لقاءات الإمام: عليك أن تتمشىٰ لفترةٍ فالإمام منشغلٍ الآن بعمل مهم، فسأل الشيخ القدوسي عن هذا العمل، فقيل له: إنه يتلو زيارة عاشوراء[١].

يتلوها فوق سطح المنزل

رویٰ أحد الإخوة الحادثة التالية: سمعت قبيل الظهر صوتِ بكاء، فأخذتُ أبحث عن مصدره، فعرفت أن الإمام قد صعد علىٰ سطح منزله وهو يتلو زيارة عاشوراء ويبكي[٢].

يتلو الزيارة الجامعة في جميع المراقد المقدسة

كان الإمام يتلو نص «الزيارة الجامعة» أكثر من بقية نصوص الزيارات، وكان ملتزماً بتلاوة الزيارة الجامعة في جميع العتبات المقدسة[٣].

يوصي بالمواظبة علىٰ تلاوة دعاء العهد لإمام العصر (عج)

من الأمور التي كان الإمام يوصيني بها في الأيام الأخيرة من حياته المباركة تلاوة دعاء العهد. كان يقول: «اجتهدي في تلاوة هذا الدعاء في الأصباح فهو مؤثرٌ في مصير وعاقبة الإنسان»[٤].

يتلو دعاء العهد في المستشفىٰ

عندما ارتدىٰ الإمام ملابس المستشفىٰ الخاصة استعداداً لإجراء

---

(١) آية الله الحائري، مجلة (جهاد)، العدد: ٣٥.
(٢) السيد المشهدي جعفر (خادم الإمام)، مجلة (أميد انقلاب)، العدد: ٢٠٥.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد المهري، مجلة (شاهد بانوان)، العدد: ١٦٧.
(٤) السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة ولده السيد أحمد)، صحيفة اطلاعات (١٤/ ٣/ ١٣٦٩ هـ.ش).

العملية الجراحية له، كان كتاب مفاتيح الجنان بيده المباركة وهو يتلو دعاء العهد بسكينةٍ خاصة[1].

ويلتزم بتلاوته في دورات أربعينية

لم يغفل الإمام ـ حتىٰ في أيام رقوده في المستشفىٰ للعلاج ـ عن الأنس بالأدعية الواردة في كتاب مفاتيح الجنان، وعندما نقلنا ـ بعد فاجعة وفاته المؤلمة ـ نسخته من كتاب مفاتيح الجنان من المستشفىٰ إلىٰ منزله؛ لاحظنا أنه وضع علامة عند دعاء العهد الشريف في نسخته من هذا الكتاب تشير إلىٰ أنه بدأ دورة جديدة لتلاوةِ هذا الدعاء في تأريخ (٨ شوال) فقد كان يتلوه في دورات أربعينية[2].

(١) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، صحيفة أبرار، (١٢/ ٣/ ١٣٧٢ هـ.ش).
(٢) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي.

الفصل الثالث:

محافظته على الصلاة في السراء والضراء
القسم الأول: إقامته الصلاة في أول أوقاتها

قمنا جميعاً للصلاة، عند ارتفاع الأذان

لم يكن الإمام يغفل عن مجالسة الأصدقاء والأنس بهم، بل كان يعتبر ذلك عاملاً لتنشيط الذهن وتقويته، وكان يقول: «لم يمر علينا ـ أيام الشباب ـ يومُ خميس أو جمعة دون أن نعقد لقاءً نروح فيه عن النفس مع الأصدقاء، وكنا نذهب إلى خارج قم وإلى جمكران في الأغلب، أما في الأيام الممطرة فكنا نلتقي في غرفتنا ونتحادث، فإذا ارتفع صوت الأذان قمنا جميعاً للصلاة»[1].

الحضور لصلاة الجماعة قبل الأذان

يبينُ لنا الإمام عملياً ـ فيما يرتبط بضرورة الحضور في جماعات المسلمين وإقامة الصلاة ـ أن على السادة أن يلتزموا بحضور صلاة الجماعة، فلا يكون حالهم ـ لا سمح الله ـ حال مَن يصدق عليه عرفاً

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

وصف «تارك الجماعة»، وكان هو بنفسه يلتزم بالحضور كل يوم قبل الأذان بفترةٍ استعداداً للمشاركة في صلاة الجماعة[1].

شديدُ الالتزام بصلاة الجماعة

لم يترك الإمام الحضور في صلاة الجماعة طوال مدة إقامته في قم، فكان يأتم في صلاتي المغرب والعشاء بآية الله الحاج السيد محمد تقي الخوانساري ـ رحمه الله ـ الذي كان يصلي الجماعة في المدرسة الفيضية، كما كان يشارك في صلاتي الظهرين في صلاة الجماعة في المدرسة نفسها بإمامة المرحوم آية الله الحاج السيد أحمد الزنجاني، كما كان يحضر أحياناً صلاة الجماعة ظهراً في مسجد «كذر» خلف المرحوم السيد الخوانساري[2].

لم يصده حرٌ ولا بردٌ عنها

كنتُ أرىٰ الإمام ظهراً في أغلب الأحيان وهو يشارك في صلاة الجماعة في المدرسة الفيضية بإمامة المرحوم السيد الزنجاني، وإذا لم يحضر السيد الزنجاني أَمَّ هو المصلين، ولم يكن الإمام يترك صلاة الجماعة حتىٰ أيام الصيف واشتداد حرارة الجو[3].

الاشتراك في صلاة الجماعة بإمامة الأتقياء

من مميزات شخصية الإمام شدة التزامه بحضور صلاة الجماعة، كان يلتزم بحضور صلاة الجماعة التي كان يؤمها المرحوم آية الله السيد محمد تقي الخوانساري لأنه كان من أعاظم مراجع التقليد ولأنه كان

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين عبد الكريم حق شناس، مجلة (ندا)، العدد الأول.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الرسول المحلاتي، مجلة (حوزه)، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين أحمد الصابري الهمداني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٢٧١.

قدوة في العلم والعمل وله سابقة جهادية معروفة وقد شارك أيضاً في جهاد المسلمين في العراق ضد الإنجليز.

وعندما أقول أن الإمام كان ملتزماً بذلك باستمرار دون انقطاع، فقولي دقيق لا مبالغة فيه، وقد كان ذلك في وقت كانت الأجواء الحاكمة تعتبر الإكثار من زيارة الحرم علامة للدروشة والتخلف، لكن الإمام لم يكن يعبأ بمثل هذه الأقوال، فكان يتوجه لزيارة الحرم بعد انتهاء صلاتي المغرب والعشاء مباشرة[١].

الالتزام بصلاة الجماعة

بعد أن أعلن المرحوم آية الله السيد محمد تقي الخوانساري ـ وهو أستاذ الإمام الذي كان يحضر درسه وصلاة الجمعة التي كان يقيمها ـ أنه سيبدأُ بإقامة صلاة الجمعة ودعا الراغبين إلىٰ المشاركة فيها، كان الإمام من الملتزمين بالمشاركة فيها، وقد أقامها السيد الخوانساري في مسجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام وقد توقفت صلوات الجمعة الأخرىٰ إثر ذلك[٢].

عند إرتفاع صوت الأذان...

حدث مراراً أنني كنت أبقىٰ في خدمة الإمام وهو جالس في غرفته من الصباح إلىٰ الظهر يطالعُ دون أن يتحدث ولا بكلمةٍ واحدة إلا أن يُوجه له أحدٌ سؤالاً فيجيب بمقدار السؤال: ولم يكن يقطع عليه مطالعته وبحثه سوىٰ إرتفاع صوت الأذان، فإذا سمع نداء «الله أكبر» وضع القلم علىٰ الأرض واستعد لإقامة الصلاة[٣].

---

(١) آية الله السيد عز الدين الزنجاني، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

(٢) آية الله السيد حسن بدلا.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين المسعودي الخميني: من خطاب له في جبهات القتال الجنوبية.

يذكّر الآخرين بوقتِ الصلاة

رافقت الإمام في سفره إلىٰ طهران ـ بعد وفاة السيد البروجردي ـ وقد وصلنا قبل ساعة تقريباً من أذان الظهر، إلىٰ منزل السيد اللواساني الواقع بالقرب من مرقد «السيد يحيىٰ»، ولم يكن السيد في المنزل فقد كان قد ذهب إلىٰ المسجد، فجلسنا في غرفة الاستقبال وجاؤنا بكأسين من فالوذج البطيخ المعروف بالجرمك، وقد جلست بصورة مرتبة للغاية تأدباً وتأثراً بهيبة الإمام وعظمته فقال لي: «إنْ كنت متعباً فاذهب ونم»، فذهبت إلىٰ غرفة مجاورة واسترحتُ فيها، ومع إرتفاع صوت الأذان دق الإمام الباب وقال: «أيها السيد الصانعي، لقد حان وقت أذان الظهر، فإن شئتم فقوموا للصلاة». فقمتُ للوضوء ثم صلّيتُ مأتماً بالإمام(١).

الصلاة جهاد في سبيل الله

في عصر يوم (١٥) خرداد ١٣٤٢، [٥/٦/١٩٦٣م] كانت احتمالات شن هجوم وحشي علىٰ بيت الإمام تقوىٰ في كل لحظة ففكر بعض الحاضرين بإغلاق باب البيت، ويبدو أن نجل الإمام السيد مصطفىٰ قد أيد هذه الفكرة أيضاً الأمر الذي أثار غضب الإمام بشدة فصرخ قائلاً: «يجب أن يبقى باب البيت مفتوحاً وليخرج مصطفىٰ»! ثم خاطب الحاضرين مذكراً بالصلاة وقال: «ما أحسن أن نقوم لإقامة الصلاة فإذا هاجمنا الجلادين نكون في حال الصلاة فنفوز بالفوز العظيم، إذْ أنهم يهاجموننا ونحن في حال التوجه للحضرة الإلهية، وفي ذلك خزيٌ عظيمٌ لهم وفوزٌ عظيم لنا»(٢).

---

(١) آية الله يوسف الصانعي، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

(٢) السيد غلام حسين الأحمدي، صحيفة كيهان (١٣٥٨/٦/٢٩ هـ.ش).

يصلي جالساً وهو بين معتقليه

بعد إلقائِهِ لخطابه التاريخي في يوم (١٥) خرداد هاجم أعضاء منظمة الأمن الملكي «الساواك» منزل الإمام ليلاً واعتقلوه، يروي بنفسه ما جرىٰ بعد ذلك فيقول: «ألقوني في السيارة بعد اعتقالي وأخذوا يطوون شوارع قم بسرعة باتجاه طهران ولكنهم كانوا ينظرون إلىٰ الخلف والأطراف بقلق، فسألتهم: مما تخافون وما الذي يقلقكم؟ قالوا: نخشى أن يلاحقنا الأهالي لأنهم يحبونك!» ثم قال الإمام: «واللّهِ لم يداخلني الخوف أبداً أما هم فقد سيطر عليهم الخوف إلىٰ درجةٍ لم يسمحوا لي معها بالنزول من السيارة من أجل إقامة صلاة الصبح واعتذروا قائلين: نخشىٰ أن يصل الأهالي! ولذلك اضطررت إلىٰ أداء صلاتي جالساً في السيارة بين اثنين من أفراد الساواك»[١].

صلاة بنصف تيمم!

بعد أن ألقىٰ الإمام خطابُهُ التاريخي المعروف في المدرسة الفيضية اعتقله جلاوزة الشاه ليلاً، وهو يتحدث بنفسه عن هذه الحادثة قائلاً: «عندما اعتقلوني كنتُ قد صلّيتُ ولكن الفجر لم يكن قد طلع بعد»، ويفهم من قوله هذا أنه كان قد صلىٰ نافلة الليل وقد تم اعتقاله قبل أذان الفجر، يتابع الإمام حديثه قائلاً: «كنت متكئاً فأخذتني سنةٌ من النوم، ولذلك لم يكن لدي وضوءٌ للصلاة، وعندما اقتربنا من منطقة مرقد السيد عبد العظيم رأيت أن وقت صلاة الصبح قد أوشك علىٰ الإنتهاء، فطلبتُ من أفراد السافاك أن ينزلوني في مكان لكي أتوضأَ وأصلي صلاة الصبح، فوافقوا أولاً لكنهم كانوا خائفين من أن يعرف الأهالي بالأمر

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الرسول المحلاتي، صحيفة جمهوري إسلامي (٧/ ٤/ ١٣٦٨ هـ.ش).

ويهاجموا السيارة، لذلك رفضوا بالتالي هذا الطلب، فقلت لهم: اسمحوا لي علىٰ الأقل بالتيمم، فلم يوافقوا علىٰ هذا الطلب أيضاً، فقلت لهم: أوقفوا السيارة للحظةٍ واحدة واسمحوا لي بأن أمس الأرض بيدي للتيمم ثم أصعد السيارة فوراً، فوافقوا علىٰ هذا الطلب، أوقفوا السيارة لحظة فنزلتُ وضربت الأرض بيدي ثم صعدت للسيارة، وصليت صلاة الصبح فيها من جلوس»[1].

صلاة مقبولة

كان السيد نائماً في ساحة البيت عندما هجم جلاوزة النظام بعد منتصف الليل وحطموا باب المنزل ودخلوا وقد حكىٰ لي بنفسه ما جرىٰ قائلاً:

عندما كسروا الباب عرفت أنهم جاؤوا لاعتقالي، فقلت للسيدة [زوجته] فوراً: لا تقولي شيئاً وتفضلي بالدخول إلىٰ الغرفة. رأيتهم قد دخلوا المنزل فاحتملت أنهم من الممكن أن يأخذوا السيد مصطفىٰ اشتباهاً، لذلك قلت لهم: أنا الخميني. كنت مستعداً للأمر.

أخذوني وأركبوني أولاً في سيارةٍ صغيرةٍ لأن الأزقة كانت ضيقة، وأوصلوني بها إلىٰ الشارع، وهناك كانت تقف سيارة كبيرة نقلوني إليها وساروا بها وقد جلس اثنان منهم عن يميني وعن شمالي، وكان أحدهما متكئاً علىٰ ساعدي طوال الطريق وقد وضع رأسه بالقرب من كتفي وهو يبكي! أما الثاني فقد كان يقبل كتفي بين الحين والآخر!!

قلتُ لهم في وسط الطريق: إنني لم أُصلِّ، توقفوا في مكانٍ مناسب لكي أتوضأ. فقالوا: ليس لدينا إجازة للتوقف!! فقلت لهم: أنتم

---

(١) الشيخ علي الطهراني، صحيفة خراسان (١٥/٣/١٣٥٩ هـ.ش).

مسلحون وأنا أعزل، وأنتم جمعٌ وأنا فردٌ فلن أستطيع القيام بشيءٍ، فكان جوابهم هو الجواب السابق، فعرفت أن لا جدوىٰ من الإصرار علىٰ طلبي، لذلك قلت لهم: توقفوا لحظةً لكي أتيمم علىٰ الأقل. استجابوا لهذا الطلب، وأوقفوا السيارة لكنهم لم يسمحوا لي بالنزول منها، فانحنيتُ وأنا جالس في السيارة وأوصلت يدي إلىٰ الأرض وضربت بها صعيدها وتيممتُ، وقد أديتُ صلاتي جالساً في السيارة وأنا مستدبر القبلة لأننا كنا نسيرُ باتجاة طهران بالاتجاه المعاكس للقبلة، لقد أقمتُ صلاة الصبح وأنا متيمم ومستدبر القبلة والسيارة في حال الحركة، ولعل هاتين الركعتين اللتين صليتهما بهذه الصورة هما اللتان حظيتا بقبول الله من بين صلواتي الأخرىٰ[1]!!

لعل الله قد تقبل صلاة المستدبر للقبلة!

نقل لنا الإمام الحادثة التالية فيما يرتبط باعتقاله في (١٥) خرداد، قال: قلت لهم: أوقفوا السيارة لكي أصلي ـ وكانوا قد نقلوه إلىٰ السيارة وتحركوا به قبل أذان الفجر ـ فقالوا: لا يمكننا القيام بذلك، قلت لهم: ما سبب خشيتكم هذه ولماذا أنتم خائفون؟ أجابوا: إن الأهالي يحبونك كثيراً وإذا قبضوا علينا مزقونا إرباً.

وكانت السيارات الأخرىٰ المكلفة بحراسة هذه السيارة قد تخلفت عنها، وكان هؤلاء خائفين من احتمال أن يحيط بهم الأهالي ويقعوا في قبضتهم، ولذلك لم يوقفوا السيارة رغم إصراري علىٰ طلب ذلك من أجل إقامة الصلاة، فقلتُ لهم: أوقفوا السيارة لكي أتيمم، فلم يستجيبوا، وفجأة أصاب عطب عجلة السيارة، فنزلتُ وتيممتُ ثم عدتُ للسيارة وصليتُ فيها وهي تسير باتجاه طهران.

(١) السيدة فريدة المصطفوي (ابنة الإمام).

وتابع الإمام حديثه قائلاً: «لعل الله تقبل هاتين الركعتين اللتين صليتهما في السيارة مستدبراً القبلة ومتيمماً من بين جميع ما صليته طوال عمري»[1].

يأمر معتقليه بالصلاة

عندما اختطف لصوص البشر بسرعةٍ وعجلة زعيم الجماهير المظلومة من قم، كان الاضطراب والقلق والرعب والخوف متجلياً علىٰ وجوههم طوال طريقهم وهم ينقلونه إلىٰ طهران، كانوا يقودون السيارة بحالةٍ جنونية وهم يتلفتون وجلين إلىٰ ما حولهم. لقد منعهم الرعب الذي سيطر عليهم من الاستجابة لطلبات الإمام الملحة بالتوقف لدقائق قليلة لكي يؤدي صلاة الفجر، كان الإمام يخفف عنهم ما هم فيه ويقول لهم: «لا تخافوا ولا تقلقوا من شيءٍ، لا يوجد في وسط هذه الصحراء من يريد التعرض لكم بسوء، أوقفوا السيارة لدقائق قليلة من أجل الصلاة، صلوا أنتم أيضاً، فأنتم أفرادُ جيش بلدٍ إسلامي وترتزقون من بيت المال الإسلامي فيجب عليكم العمل بفرائض الإسلام».

ونتيجة لإلحاح الإمام وإصراره وافقوا علىٰ إيقاف السيارة للحظات لم تكفِّ لأكثر من أن يتيمم بتراب حافة الجادة، ثم أعادوه للسيارة فاضطر لإقامة صلاة الصبح في السيارة التي كانت تسير بسرعةٍ عالية[2].

لم يترك صلاة الجماعة يوم استشهاد ولده

لم يُغيّر الإمام برنامجه اليومي المعتاد أبداً إثر سماعه خبر استشهاد

---

(١) الدكتور محمود البروجردي (صهر الإمام)، مجلة (ندا)، العدد الأول.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج ١.

أخي، وقد حضر لإقامة صلاة الجماعة ظهراً ومساءً حتىٰ في اليوم الذي نقلوا جسد ولده المجاهد إلىٰ كربلاء تمهيداً لدفنه[1].

عرف المصلون بحدوث أمر مهم

كان الشيخ الرضواني مسؤولاً عن الأمور الإدارية والمالية في مكتب الإمام في النجف وقد استدعاه الإمام [قبل مغادرته النجف] وسلّمه مجموعة من أوراق الوصولات المالية وقال له: «عندما يأتي غداً الأشخاص الذين يريدون تسليم الحقوق الشرعية وسهم الإمام، فاكتب في هذه الوصولات مقدار الأموال التي يقدمونها ثم ادخل إلىٰ القسم الداخلي للمنزل وابقَّ فيه دقائق ثم ارجع إليهم لكي لا يعرف الناس أننا قد غادرنا [النجف] وأنني غير موجود هنا».

وقد عمل الشيخ الرضواني بهذه الوصية، ولكن عندما جاء المصلون إلىٰ المسجد للاشتراك في صلاة الظهر بإمامة الإمام ولم يجدوه في المسجد عرفوا أن أمراً مهماً قد حدث، لأن الإمام لم يقطع صلاة جماعته حتىٰ في يومِ استشهاد أخي، وكان الناس يعلمون أن الإمام لا يترك الحضور لصلاة الجماعة بحالٍ من الأحوال[2].

إني ذاهب إلىٰ المسجد

كان منزل الإمام يغصُ بالمعزين في يوم وفاة المرحوم السيد مصطفىٰ، وقد خرج الجميع قبيل الظهر، ومع ارتفاع صوت الأذان قام الإمام وتوضأ ثم قال: «إنني ذاهب إلىٰ المسجد»، فقلت: عجباً من الإمام إنه لا ينقض برنامجه الثابت ولا يترك صلاة الجماعة حتىٰ في هذا اليوم، لذلك طلبت من أحد الخدم أن يذهب بسرعة إلىٰ المسجد ويخبر

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين أحمد الخميني، مجلة (جوانان إمروز)، العدد: ٧٦٦.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

خادمه بأن الإمام قادمٌ للصلاة، وعندما عرف الأهالي بتوجه الإمام إلىٰ المسجد تدفقوا عليه من كل صوب[1].

لم يتأخر عن أول وقتِ الصلاة

في اليوم الذي أخبرنا الإمام بنبأ استشهاد نجله السيد مصطفىٰ واستأذناه بالذهاب إلىٰ كربلاء للقيام بالأعمال اللازمة لدفنه؛ تصورنا أنه لن يذهب إلىٰ المسجد في ذلك اليوم بسبب هذه المصيبة لكننا رأيناه يذهب إليه في أول وقت الصلاة[2].

الإخلاص لله في إقامة الصلاة في أولِ وقتها

كان الإمام ملتزماً بإقامة الصلاة في أول وقتها، وكان يولي النوافل أهمية خاصة، وقد امتاز بذلك مُنذ بدايات شبابه وهو لم يتجاوز يومها العشرين عاماً، يقول عدة من الأصدقاء: كنا نتصور في البداية أنه يقيم الصلاة في أول وقتها رياءً وسمعةً ـ لا سمح الله ـ ولذلك سعينا إلىٰ منعه من ذلك إذا كان دافعه إليه حب السمعة، فعرضناه للامتحان بطرق مختلفة ولمدة مديدة، فمثلاً كنا نضع مائدة الطعام في أول وقت الصلاة وندعوه إليه، أو نحدد موعداً للسفر في أول وقت الصلاة، لكنه كان يقولُ لنا: «تناولوا أنتم الطعام وأنا أُقيم صلاتي ثم أتناول أي شيءٍ يبقىٰ من الطعام»! أو كان يقول بشأن السفر: «اذهبوا أنتم وسألتحق بكم فيما بعد»!!

لقد مرت فترة طويلة علىٰ هذا الحال دون أن يترك الصلاة في أول وقتها بل اضطرنا شدة التزامه بذلك إلىٰ أن نلتزم نحن أيضاً بالصلاة في أول وقتها[3]!!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ١.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٤.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين العباني الخراساني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ٣٣١.

يصلي قبل الإفطار رغم شدة الحر

لم يكن الإمام يتناول إفطاره في شهر رمضان في النجف الأشرف إلا بعد أن يُتم إقامة صلاتي المغرب والعشاء مع نوافلهما رغم أن الجو كان حاراً للغاية في النجف حيث كانت درجة الحرارة تقارب الخمسين درجة، ورغم أن الصوم كان يستمر فيها (١٨) ساعة وهو أمر شاق علىٰ مَن كان في عمر الإمام، ولكنه ورغم ضعفه الجسدي الناشيء من هذا الصوم الطويل لم يكن يفطر قبل الصلاة أبداً[١].

لا تحرمه الضيافة من أول وقت الصلاة

زارنا الإمام يوماً يرافقه نجله السيد مصطفىٰ ـ رحمه الله ـ في منزلنا؛ ومع حلول وقت صلاة الظهر نظر إلىٰ ولده وقال: «لقد حلَّ الظهر، يجب أن نصلي، بأي اتجاه تقع القبلة هنا؟» ثم قام وصلىٰ[٢].

الحرص علىٰ معرفة القبلة تجنباً لتأخير الصلاة

بعيد وصوله إلىٰ باريس أقام الإمام يومين في شقةٍ سكنية في منطقةٍ تسمىٰ «كشان»، فقال له بعض الإخوة: إن كثرة تردد الزوار هنا تؤذي الجيران، لذلك فمِن الأفضل الانتقال إلىٰ مكانٍ آخر، فاضطر إلىٰ الانتقال إلىٰ ضاحية نوفل لوشاتو الواقعة علىٰ بعد (٥٠) كيلومتراً عن مدينةِ باريس، وهي قرية نائية كان علىٰ مَن يزورها حباً للقاء الإمام أن يقضي ساعات في البحث عن منزله فيها!

عندما وصل الإمام إلىٰ نوفل لوشاتو كان أول ما اهتم به هو معرفة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد الأول.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين عباس المحفوظي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ١٣٥.

جهة القبلة لإقامة الصلاة، وقد تعددت أقوال الحاضرين بهذا الشأن لأنه لم يكن يسكن هذه القرية مسلمٌ من قبل، فاستدعاني الإمام وأخرج من حقيقبته علبة الإبرة المغناطيسية التي تحدد اتجاه القبلة ثم سلمها لي وقال: «اذهب الآن إلىٰ المسجد الجامع في باريس وحدد عليها اتجاه القبلة ثم ارجع إلىٰ هنا واستعينوا بها لمعرفة اتجاه القبلة هنا»، وبعد أن تمَّ تحديد اتجاه القبلة أقام الإمام صلاتي المغرب والعشاء فوراً(١).

يترك الصحفيين في الانتظار

تدفق مراسلوا أجهزة الإعلام علىٰ ضاحية نوفل لوشاتو إثر خروج الشاه من إيران وألحوا علىٰ إجراء مقابلة مع الإمام لمعرفة موقفه تجاه خروج الشاه، أو الحصول علىٰ تصريح مكتوب منه بهذا الشأن وقد ألحوا في طلبهم كثيراً فتقرر أن يكتب الإمام تصريحاً بهذا الخصوص ثم يترجمه الإخوة لهم، ولكن الإمام خرج لإقامة صلاتي الظهر والعصر فور حلول وقت الظهر الشرعي(٢).

إنه وقت الفضيلة

كنا في ضاحية نوفل لوشاتو يوم خروج الشاه من إيران وقد احتشد حدود (٣٠٠ ـ ٤٠٠) من مراسلي أجهزة الإعلام حول محل إقامة الإمام الذي وقف علىٰ منضدةٍ صغيرة وضعت له، وأجهزة التصوير موجهة صوبه، وقد تقرر أن يوجه كل مجموعة من المراسلين سؤالاً واحداً، وبعد توجيه سؤالين أو ثلاثة سمع صوت أذان الظهر، فغادر المحل فوراً وقال: «إنه وقت الفضيلة لصلاة الظهر».

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي.
(٢) السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (زن روز)، العدد: ٩٥٤.

استغرب الحاضرون مغادرة الإمام للمؤتمر الصحفي لأنهم لم يعرفوا السبب، وقد طلب شخصٌ من الإمام أن يبقىٰ بضع دقائق للإجابة علىٰ أربعة أو خمسة أسئلة أخرىٰ لكن الإمام رفض بلهجة حازمة وذهب لإقامة الصلاة[1].

قطع المؤتمر الصحفي المهم من أجل وقت الفضيلة

بعد الإعلان عن إغلاق مطار طهران امتلأت قرية نوفل لوشاتو تقريباً من مراسلي أجهزة الإعلام من أنحاء العالم، ولم أرَ إلىٰ ذلك اليوم مثل هذا العدد من المراسلين وأجهزة الإتصال، لقد نصب مندبوا أكثر من خمس من شبكات التلفزة العالمية الكبرىٰ كاميراتهم وأجهزتهم في وسط الشارع بهدف بث تصريحات الإمام بصورةٍ مباشرةٍ، وكان محل المؤتمر الصحفي وسط الشارع وقد وضعت له منضدةٌ صغيرةٌ وقف عليها لأن المنزل لم يكن يتسع ـ بأي حالٍ ـ لهذا العدد الكبير من المراسلين، وقد أُغلق الشارع بالكامل، واشتمل المؤتمر علىٰ بيان قصير لشعب إيران والرأي العام العالمي.

كان الوقت المحدد لهذا المؤتمر هو ما قبل حلول الظهر (الشرعي) بنصف ساعة، ولكن ما أن وصل الإمامُ وبدأ الكلام لم تبق لموعد أذان الظهر سوىٰ خمس دقائق، ولذلك قطع الإمام كلامه فجأةً فور حلول وقت أذان الظهر وقال: «حان وقت الصلاة». ثم ترك الجميع وذهب لإقامة الصلاة[2].

هل حل وقت الصلاة؟ الأولوية للصلاة

كنا في ضاحية نوفل لوشاتو يوم فرار الشاه من إيران، وكانت

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٨٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، موسوعة (كوثر)، ج ١، ص ٦٢٨.

الشرطة الفرنسية قد أغلقت الشارع الرئيسي في هذه القرية التي اجتمع فيها مراسلو أجهزة الإعلام من مختلف البلدان، من أفريقيا، آسيا، أوروبا، وأميركا، ولعل حدود (١٥٠) من أجهزة التصوير والاتصال كانت تبث تصريحات الإمام بصورةٍ مباشرة؛ لقد كان عدد المراسلين الذين تجمعوا هناك يومها هو بعدد الحاضرين هنا، أقول ذلك دون مبالغة، لقد احتشدوا هناك لنقل أخبار أهم حوادث ذلك العام، لقد خرج الشاه من إيران وكانوا يريدون التعرف علىٰ موقف الإمام وقراره؛ ولذلك كانت جميع الكاميرات موجهة نحوه وهو واقف علىٰ كرسي صغير علىٰ حافة الشارع.

تحدث الإمام ـ بضع دقائق ـ عن موقفه، ثم التفت إلي ـ وكنت واقفاً إلىٰ جانبه وقال: «هل حلَّ الظهر يا أحمد؟» أجبت بالإيجاب، فقال فوراً: «والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وعليكم أن تلاحظوا هنا حساسية اللحظة التي قطع الإمام فيها تصريحاتِهِ من أجل أن يقيم الصلاة في أول وقتها!

لقد قطع الإمام تصريحاتِهِ في وقتٍ غاية في الحساسية، كانت تتوجه نحوه أجهزة شبكات تلفزة عالمية لكلٍ منها الملايين من المشاهدين: شبكة سي، أن، أن الأميركية، وشبكة بي، بي، سي الإنجليزية وباقي شبكات التلفزة العالمية في أميركا وأوروبا، ومعها مراسلوا وكالات الأنباء العالمية الآسيوشيتبرس، اليونايتدبرس، رويتر، ومراسلو الصحف والمجلات والإذاعات العالمية الأخرىٰ؛ ورغم كل ذلك قطع الإمام تصريحاته وذهب لإقامة الصلاة[1].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، من كلمة له في جمع من سواق حافلات النقل الصغيرة العامة.

أداء حق الصلاة

لقد كان الإمام دقيقاً للغاية في إقامة الصلاة وأداء حقها في أول وقتها وإلىٰ درجة أن أفراد الشرطة الفرنسية كانوا ينظمون ساعاتهم علىٰ ذهاب الإمام لإقامة الصلاة!

وعندما كان بعض الإخوة يقفون لحراسة الإمام وقت الصلاة كان يقول لهم: «لا حاجة لذلك نبتغي إقامة الصلاة في وقتها»[1].

ستراه وهو يذهب للصلاة

سألتُ الشرطي الذي كان يقومُ بالحراسة علىٰ جانب الشارع: أين منزل آية الله الخميني؟ فأشار إلىٰ منزل صغير ومتواضع يقع علىٰ الجانب الآخر للشارع وقال: «هذا هو منزل آية الله».

تعجبتُ من مشاهدة ذلك المنزل لأنني لم أكن أتوقع أن يسكن زعيمٌ مثل آية الله الخميني زعيم المذهب الشيعي في ذلك المنزل المتواضع.

لم يسألني الشرطي عن هويتي ولا عن سبب سؤالي عن منزل آية الله الخميني، لكنني عرّفت نفسي له وقلتُ: إنني مراسل مجلة «باري منج» الأسبوعية، وقد جئت لزيارة آية الله الخميني وإجراء مقابلة صحفية معه، فقال لي: لا تنسىٰ أن تخلع حذاءك قبل الدخول إلىٰ غرفته!!

بعد أن خلعت الحذاء دخلت غرفةً مجردة من كل زينةٍ وأثاث لم أرَ نظيراً لها سوىٰ في المباني التي تَمَّ بناءها حديثاً ولم تُسكن بعد! قطعة الأثاث الوحيدة التي وجدتها في الغرفة هي عبارة عن قطعة من المفروشات العادية غطت أرضيتها! وكانت أجهزة الإنارة فيها عبارة عن مصباح دون غطاء معلق بسلكٍ في سقفها!

---

(١) السيدة مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ح ٤.

عرّفت نفسي وقدمت بطاقتي الصحفية وقلتُ: لقد جئتُ من أجل إجراء مقابلةٍ صحفية مع الإمام، فعرّفني رجل مؤدب وملتحي إلىٰ كاتب ألفَ كتاباً عن حياة الإمام، لكنني أظهرت نفاذ صبري وقلت: لقد جئتُ إلىٰ هنا من أجل لقاءِ آية الله، فأخبروه بذلك. فأجابوني: لقد حلَّ وقت الصلاة وسيخرج آية الله لأدائِها وعندها يمكنكم أن تروه[١]!

إنقطاعه إلىٰ الله أثناء الصلاة

في بداية الحرب، سمعنا يوماً أصوات المضادات الجوية وهي تُطلق نيرانها، فتصورنا أنها أصوات انفجارات قنابل لأننا لم نكن قد سمعنا أصوات المضادات الجوية من قبل، ولذلك هرعنا وجلين إلىٰ غرفة الإمام فوجدناه منهمكاً بالصلاة والعبادة في إيوان الغرفة وكأنه لم يسمع أي صوت أبداً، ولم ينتبه إلىٰ دخولنا الغرفة بالمرة[٢].

توقيره لكل ما يرتبط بالصلاة

فرشوا في أحد الأيام بساطاً عرضه متر واحد أمام الإمام وهو يدخل المسجد في النجف، فخلع الإمام نعليه لكي لا يطأ البساط بهما، وفي غضون ذلك دخل أحد الطلبة من المحبين لدرس الإمام ومشىٰ علىٰ ذلك البساط بنعليه فقال له الإمام: «لا تدوسه بنعليك، فهذا البساط مخصصٌ للصلاة»[٣].

اهتمامه بالحقائق المعنوية في الصلاة

كان الإمام شديد الاهتمام بأسرار الصلاة، وأتذكر أنه كان يولي

---

(١) مراسل مجلة (باري مارج) الفرنسية، مجلة (مرزداران)، العدد: ٥٣.
(٢) السيدة عاطفة الإشراقي (حفيدة الإمام)، مجلة (زن روز)، العدد: ١٢٦٧.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي.

كتاب «آداب الصلاة» للشهيد الثاني ـ رحمه الله ـ أهمية كبرىٰ وكان يقول عنه: «مِن الأفضل أن نسميه أسرار الصلاة».

كان شديد الاهتمام بالأمور المعنوية في الصلاة بدءً من توجه الإنسان إلىٰ الوضوء وإلىٰ نهاية إقامة الصلاة، وكان ينقل مراراً هذا الحديث الشريف الموجود علىٰ ما أعتقد في كتاب «مصباح الشريعة» حيث يقول أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام: «تقدم إلىٰ الماء تقدمك إلىٰ رحمة الله»[1]، أي أنك تتوجه في الواقع إلىٰ رحمة الله عندما تتوجه إلىٰ الماء لإسباغ الوضوء، كان الإمام يؤكدُ كثيراً علىٰ هذه الجملة[2].

لماذا لا نحفظ حرمة الصلاة وجلالة قدرها

سألتُ الإمامَ يوماً ـ وهو في النجف ـ عن مشاهداتِهِ في تركيا أيام نفيه إليها فقال: «كان بالقرب منا مسجدٌ كنا نذهب إليه يوم الجمعة، وكان يحضر فيه ما لا يقل عن خمسة آلاف من المصلين ولكن دون أن يسمع المرءُ منهم ولا خمس كلماتٍ بصوتٍ عالٍ!

لقد أوقعتني هذه الظاهرة في حيرةٍ شديدةٍ بشأن سر عدم حفظنا نحن أيضاً لهيبةِ الصلاة؟! كنتُ أفكرُ في حقيقةَ أن لو زار أجنبي ذلك المسجد في تركيا ثم جاء إلىٰ النجف وزار المسجد الهندي[3] أو زار المسجد الأعظم في قم وشاهد صلاتنا، لقال: إن الصلاة هي التي تُقام في ذلك

(١) مروي عن الإمام الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة: ٧٥، وتجده عنه في المحجة البيضاء للفيض الكاشاني ١: ٣٠٧، ومستدرك الوسائل للميرزا النوري ١: ٣٥٣، كما في كتاب «التنبيهات العلية» للشهيد الثاني: ٩٥ ـ ٩٦ طبعة مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية.

(٢) آية الله عباس الإيزدي النجف آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٣) من المساجد المهمة في النجف الأشرف وفيه قبر المرحوم آية الله الحكيم، وكان يومها محفلاً لأهم الحلقات الدراسية في حوزة النجف. [المترجم].

المسجد التركي لا الصلاة التي تُقام في مساجدنا فنحن لم نحفظ حرمة الصلاة وجلالة قدرها!

في ذلك المسجد لو أراد أحد المصلين مثلاً تنبيه مصلٍ آخر إلىٰ تقدمه علىٰ الصف، قام بذلك بالإشارة فينبهه بذلك إلىٰ أن تكون أصابع قدميه بمصافِ أصابع أقدام باقي المصلين في الصف، لكي يكون الصف مستوياً بحيث لو نظرت إلىٰ الصف لرأيت أصابع أقدام الجميع بمستوىً واحد! لقد أحزنتني ملاحظة هذه الأمور ومقارنتها بما هو عليه حال صلواتنا»[١].

اختصر اللقاء من أجل الصلاة

في الأيام الأولىٰ التي أعقبت انتصار الثورة حصلت من بيت الإمام في قم وبواسطة الشيخ التوسلي علىٰ موعد للقاء خاص بالإمام للإخوة العاملين في الشؤون الثقافية والتبليغية للثورة في مركز نشر الثقافة الإسلامية في مدينة (دسفول) حيث كنت أخدم هناك يومها، لكننا لم نستطع الوصول إلىٰ قم في الموعد المحدد بسبب التأخير الذي حصل في حركة القطار علىٰ خط أنديمشك ـ قم، فوصلنا إلىٰ بيت الإمام في حدود (١١,٥) ظهراً، فقالوا لنا: لقد انقضىٰ الوقت المخصص لكم، لكنهم قبلوا اعتذارنا عندما بيّنا لهم سبب التأخير، فتشرفنا بلقاء الإمام.

في بداية اللقاء قرأنا بياناً موجزاً اشتمل علىٰ تجديد البيعة والدعم والطاعة لأوامره، وعلىٰ طلب الإرشاد والتوجيه من سماحته لحل بعض المشاكل الناتجة من الأوضاع الخاصة بأيام الثورة الأولىٰ. فقال الإمام بعد الاستماع لبياننا: «الوقت الآن ضيق لاقتراب موعد صلاة الظهر، أعطوني نسخة مطالبكم لكي أقرأها، وإن كان ثمة مطلب آخر فتفضلوا بعرضه».

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد عباس المهري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.

بعد أن عرضنا علىٰ سماحته مطالبنا شفهياً تحدث لبضع دقائق ـ استجابة لطلبنا ـ وأوصانا بالحذر واليقظة تجاه العراقيل التي يثيرها الذين تسللوا في صفوف النهضة وقال: «عليكم الانتباه لحقيقة أننا لا زلنا في وسط الطريق»[١].

وبعد أن أتمَّ الإمام حديثه قام فوراً وعلىٰ عجل للاستعداد لإقامة الصلاة[٢].

أجَّلَ اللقاء المهم إلىٰ ما بعد الصلاة

في سنة ٦١ ١٣ هـ.ش، [١٩٨٢م]، سافر وفدٌ من القادة العسكريين يرافقهم وزير الخارجية الدكتور علي أكبر ولايتي إلىٰ لبنان لدراسة الأوضاع الناتجة من عدوان إسرائيل الغاصبة علىٰ الجنوب اللبناني، وعندما عادوا من هذه المهمة توجهوا من مطار طهران إلىٰ محل إقامة الإمام في جمران مباشرة لكي يقدموا لسماحته تقريراً عن نتائج سفرهم، وقد دخلوا علىٰ الإمام قبيل المغرب[٣]، لذلك ما أن همّ أعضاء الوفد بتقديم تقريرهم عن المهمة التي قاموا بها، قام الإمام للاستعداد لإقامة صلاتي المغرب والعشاء وأخّر الاجتماع إلىٰ ما بعد ذلك، الأمر الذي يكشف شدة اهتمامه بإقامة الصلاة في أول وقتها. وبعد أن أتم الصلاة التفت إلىٰ أعضاء الوفد الذين ائتموا به في الصلاة وقال لهم وهو جالس علىٰ سجادة الصلاة: «اعقدوا الاجتماع هنا»[٤].

---

(١) إشارة إلىٰ الفتنةِ التي أثارها حزب الشعب المسلم في قم وقد تشرفنا بلقاء الإمام في اليوم نفسه الذي شهد وقوع هذه الفتنة. [المؤلف].

(٢) غلام علي الرجائي.

(٣) حضر هذا اللقاء رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الدفاع الأعلىٰ (آية الله الخامنئي يومذاك)، وكذلك الشيخ الهاشمي الرفسنجاني. (المؤلف).

(٤) اللواء حرس الثورة غلام علي رشيد.

هل يأتون أم أبدأ الصلاة

قبل أسبوع من الموافقة على القرار الدولي [٥٩٨] ذهبتُ إلىٰ منزل الإمام لكي أقتدي به في صلاتي المغرب والعشاء، وقد جاءت أيضاً إحدىٰ العاملات في البيت للائتمام به في الصلاة قال لها: «سيأتي رجال اليوم إلىٰ هنا فارجعي». فرجعت، ونظر إلىٰ ساعته فلاحظ اقتراب موعد أذان المغرب رغم أنه كانت قد بقيت سبعُ دقائق عن موعد الأذان الذي يُبث عبر الإذاعة، قال لي: «اذهب إلىٰ هناك وقل لأحمد: هل يأتون أم أبدأ الصلاة؟».

ذهبتُ إلىٰ جهة قسم الاستقبال فرأيت خالي (الحاج السيد أحمد) واقفاً مع السادة: مير حسين الموسوي والسيد الأردبيلي والشيخ الهاشمي، وقد وصل في تلك اللحظة السيد الخامنئي أيضاً، قلتُ لخالي: إن السيد ينتظر، وهو يقول: ماذا أفعل؟ تأتون أم لا؟ وقد عرفت أنه كان من المقرر أن يأتي السادة للصلاة مع الإمام. أجابني خالي: إن الأمر سيطول بعض الشيء، قولوا للسيد أن يبدأ الصلاة وسنأتي لاحقاً.

وعندما رجعت للإمام ونقلت له ما قال السيد أحمد قام فوراً وبدأ الصلاة(١).

كلا، بل حان وقت الصلاة!

كنا يوماً في حضور الإمام ضمن أعضاء مجلس الدفاع الأعلىٰ المتشكل من سماحة آية الله الخامنئي وجناب الشيخ الهاشمي الرفسنجاني ووزير الدفاع والقائد المحترم لقوات حرس الثورة، كان الإمام جالساً

(١) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

علىٰ كرسيه ونحن نجلس حوله علىٰ شكل نصف دائرة، وفي خضم حديثنا قام الإمام فجأة وتحرك باتجاه الغرفة الأخرىٰ، وعندها كان أول المعلقين علىٰ حركة الإمام الغريبة هذه هو الشيخ الهاشمي فقد قال: هل أصابتكم وعكة يا سيدي؟ فالوعكة هي التفسير الوحيد الذي خطر في ذهن الشيخ لهذه الحركة لكن الإمام أجاب: «كلا، بل حان وقت الصلاة»!

لقد قال هذه الكلمة بلهجةٍ حازمة للغاية جعلتني أشعر بأنني لم أكن أفكر بأمر الصلاة وأهميتها بمثل الحالة التي أصابتني في تلك اللحظة، ثم نظرت إلىٰ ساعتي ولاحظتُ أنه لا زالت ثمة عدة دقائق لموعد أذان الظهر[١]!!

قام للصلاة أثناء اجتماع لجنة الوساطة

أتذكر أنه عُقد ـ في بدايات الحرب ـ اجتماع بحضور الإمام ضمَّ عدداً من الرؤساء والقادة الأجانب، وفي وسط الاجتماع قام الإمام دون أن يلتفت للآخرين مع حلول وقت صلاة الظهر وأقام الصلاة في أول وقتها وقد ائتم به الحاضرون جميعاً، وقد أدىٰ إضافة إلىٰ صلاة الظهر ونافلتها وهي ثمان ركعات، الركعات الثمان لنافلة العصر أيضاً[٢].

ولم ينسَ التطيّب للصلاة

في الاجتماع الذي عقده عددٌ من زعماء البلدان الإسلامية مع الإمام الخميني بهدف التوسط لإنهاء الحرب بين العراق وإيران؛ حل موعد أذان الظهر في وسط الاجتماع، فقام الإمام فوراً وقال: «أريدُ أن

---

(١) اللواء علي صياد الشيرازي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا التوسلي.

أصلي». ولأنه كان ملتزماً باستعمال الطيب للصلاة فقد أشار إليّ وسط الاجتماع بأنْ أقدم له قنينة الطيب، ثم تعطر وتوجه لإقامة الصلاة فاصطفّ الحاضرون خلفه وصلوا جماعة بإمامته.

وكان يسأل باستمرار عن وقت الصلاة ـ عندما رقد في المستشفىٰ في أيامه الأخيرة ـ خشيةً من أن تفوته إقامة الصلاة في أول وقتها[(١)].

صلاة عادية خالية من الوساوس

كان الإمام من المتعبدين، لكن ذلك لم يكن يعني أن يلتزم بجانب الإفراط في تجويد القراءة أثناء الصلاة، كلا كانت صلاته عادية، وكان دائماً علىٰ طهارة دون أن يعني ذلك أن يقع في الوسواس أو الإسراف في الماء أثناء الوضوء[(٢)].

لكنها صلاة مفعمة بالروحانية

لقد صليت مراراً مأتماً بالإمام ضمن صف المأمومين، وكان ملتزماً برعاية حال المصلين فلا يطيل صلاته بل يقيمها بصورةٍ عادية وبسيطةٍ وبصورةٍ كنت أشك معها في صحة الصلاة لو كانت بأمامةِ غيره!

كانت صلاة الإمام ـ وهو يقيم صلاة الجماعة ـ بسيطة للغاية لكنها كانت مفعمة بالروحانية[(٣)].

يقيم الصلاة بخشوع

كان الإمام يراعي حال المأمومين في صلاة الجماعة، فيقيم الصلاة بخشوعٍ وبسرعة أيضاً! وعندما أتأمل الآن في الصلوات المعدودات التي

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٥.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (جوانان أمروز)، العدد: ١١٨٩.
(٣) السيد التيموري، أحد حراس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور)، ص ٦٣.

صليتها خلفه أجدها أكثر الصلوات التي صليتها طوال عمري بركة وروحانية[1].

الاهتمام بمستحبات الصلاة

كان الإمام يقومُ بجميع مستحبات الصلاة ـ التي ذكرها في رسالته العملية ـ وفي كل صلاة يؤديها، فحتىٰ عندما كان راقداً علىٰ سرير المرض في المستشفىٰ كان يضع علىٰ رأسه عمامة صغيرة ويمشط لحيته الكريمة بدقة ثم ينظر في مرآته الصغيرة ويرتب عمامته بدقة ويمشط حاجبيه ثم يستعمل الطيب وذلك استعداداً لكل صلاة، وقد عرض ذلك الفيلم الذي بثه التلفزيون عن أيام رقوده في المستشفىٰ؛ فحتىٰ المرض لم يمنعه من أن يمشط لحيته مثلاً. وعندما تورمت يداه في أيامه الأخيرة وضعفت قدرته علىٰ تحريكها كان السيد الأنصاري يضع العمامة علىٰ رأسه ويمشط لحيته كما لاحظتم في الفيلم المذكور.

كان الإمام يؤدي الأذان والإقامة لكل صلاة ويتحنك بذؤابة العمامة ويجلس علىٰ فخذه الأيسر وقدمه اليمنىٰ علىٰ باطن القدم اليسرىٰ عند التشهد، وهكذا يعمل بجميع مستحبات الصلاة التي أفتىٰ بها في رسالته العملية[2].

يوصي بالصلاة في أول وقتها

كان الإمام يؤدي جميع مستحبات الصلاة، ويلتزم بإقامة الصلاة في أول وقتها ويوصينا بذلك باستمرار، كما كان يتطيّب حتماً لكل صلاة[3].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) السيد غلام علي الرجائي.
(٣) السيدة فريدة المصطفوي (ابنة الإمام).

المحافظة علىٰ تعقيبات الصلاة

دخل السادة: الخامنئي والهاشمي الرفسنجاني والموسوي الأردبيلي ومير حسين الموسوي علىٰ الإمام يوماً وهو منشغلٌ بأداء التعقيبات المستحبة بعد الصلاة، فسلموا عليه تباعاً فكان يكتفي بردِّ السلام وهو مستقبل القبلة دون أن يلتفت بوجهه الكامل عن القبلة إليهم بل اكتفىٰ بإدارة رأسه شيئاً قليلاً حتىٰ أن الشيخ الهاشمي تصور أن الإمام يصلي ولذلك اكتفىٰ بردِّ السلام، فقال الشيخ: يبدو أن السيد لم يكمل صلاته بعد، لكن الواقع أن الإمام كان قد أكمل أداء نافلة المغرب أيضاً!

ثم قام الإمام وتلا الأذان والإقامة لصلاة العشاء وبعد أن أتم الصلاة التفت إلىٰ السادة وأخذ يسأل عن أحوالهم! لقد كان ملتزماً بالمستحبات إلىٰ درجة اجتناب التلفت حتىٰ وهو يؤدي تعقيبات الصلاة(١).

الالتزام بمستحبات السجود والتشهد

الأمر الذي شاهدتُهُ بنفسي وسمعته من المقربين من الإمام بل هو مما يتفق عليه الجميع؛ أن الإمام يلتزم بجميع مستحبات الصلاة، فمثلاً يستحب وضع الأنف علىٰ التراب أثناء السجود، ولأجل العمل بهذا المستحب كان الإمام يصلي علىٰ تربتين صغيرتين أو تربة كبيرة تتسع لجبهته وأنفه، وكذلك الحال مع دعاء «فتقبل شفاعته وارفع درجته» المستحب تلاوته بعد التشهد، فقد كان الإمام يلتزمُ بتلاوته في جميع صلواته(٢).

المواظبة علىٰ صلاة الغفيلة والنوافل

أستطيع أنا ـ وقد لازمت خدمة الإمام سنين طويلة ـ أن أقول بأنه

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

(٢) السيد غلام علي الرجائي.

لم يترك أبداً أداء صلاة الغفيلة بين صلاتي المغرب والعشاء، وكان يصليها وسائر النوافل عن جلوس في أيامه الأخيرة(١).

تلاوة آية الكرسي في تعقيب الصلاة

شاهدتُ الإمام مراراً وهو يضع يديه علىٰ عينيه ـ بعد انتهاء صلوات الفريضة ـ ويتلو آية الكرسي والآيات الأخرىٰ التي تستحبُ تلاوتها بهذه الحالة(٢).

التسليم علىٰ المعصومين(ع)

لم يكن الإمام يترك السلام علىٰ المعصومين عليهم السلام بعد كل صلاة، فقد كان ـ عادةً ـ يقوم بعد الإنتهاء من الصلاة وتعقيباتها والنوافل والأذكار المستحبة ويسلم علىٰ المعصومين عليهم السلام وهو واقف(٣).

دعاؤه في السجدة الأخيرة من الصلاة

كان الإمام يتلو في السجدة الأخيرة من الصلاة دعاءً بصوتٍ خافتٍ لم أستطع استماعه رغم كثرة تدقيقي في ذلك لمعرفة هذا الدعاء الذي يلتزم بتلاوته في السجدة الأخيرة، وذات يوم كنتُ أرافقه في طريق العودة من حرم أمير المؤمنين عليه السلام فسألته: ما هو الدعاء الذي تتلوه في السجدة الأخيرة من صلاتك بصوتٍ خافتٍ يا سيدي؟ أجاب: «إنه دعاء: اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور والإنابة إلىٰ دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت»(٤).

---

(١) الحاج عيسىٰ الجعفري (خادم الإمام في جمران).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) حجة الإسلام والمسلمين الناصري.

ذكره في السجدة الأخيرة من صلاة العصر

يُنقل عن أحد أصحاب الإمام أن الإمام كان يتلو دائماً في السجدة الأخيرة من صلاة العصر ذكر «يا كريم يا لطيف» وكان يقول عن هذا الذكر: «إن هاتين الكلمتين من الكلمات الجامعة، فهما تغنيان الإنسان عن أي ذكر آخر لأن كل ما يطلبه الإنسان من الله تبارك وتعالىٰ يُعطىٰ له إما ببركة كرمه أو لطفه جل وعلا»[1].

يتغير حالهُ عند حلول وقت الصلاة

كان الإمام يتغير حقاً عند حلول وقت الصلاة، كان يقول لمن كان حاضراً عنده في غرفته في ذلك الوقت ـ أياً كان وبكل صراحة ـ: «تفضلوا بالخروج فقد حان وقت الصلاة». وكانت ابتسامة خاصة تظهر علىٰ محياه في تلك اللحظات تجعل الإنسان يشعر بأن الإمام في انتظار لحظات يعشقها بكل وجوده[2].

إقامته صلاتي الظهرين

كان الإمام يبدأُ يومياً بمقدمات صلاتي الظهر والعصر في الساعة الثانية عشر ويُنهي صلاتيه وتعقيباتهما في الساعة الواحدة وخمس دقائق ثم يأتي لتناول طعام الظهيرة[3].

اقتران صلاة الإمام بالأذان

أتذكرُ جيداً أنني ومُنذ سن الرابعة إلىٰ اليوم لم أسمع صوت الأذان إلا والإمام قائم يصلي، هكذا حاله في الصبح والظهيرة والمغرب[4].

---

(١) السيد غلام علي الرجائي.

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة ولده السيد أحمد)، مجلة (ندا)، العدد الأول.

(٣) الحاج عيسىٰ الجعفري.

(٤) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (شاهدبانوان)، العدد: ١٤٨.

إن إقامة الإمام للصلاة في أول وقتها كانت أمراً مألوفاً لنا، فمنذ أن وعيتُ كنت أراه يسبغ الوضوء ويصلي في أول وقت صلاة الظهر[1].

تأخير الصلاة من مصاديق الاستخفاف بها

ذهبتُ مرةً في الساعة السابعة مساءً إلىٰ منزل الإمام، وبعد أن استمعت إلىٰ خلاصة أخبار الساعة السابعة من التلفزيون قمت علىٰ عجل: ينبغي أن أقومَ للصلاة. فذهبت وصليتُ ثم رجعتُ إلىٰ الإمام فقال: «إنني أشعر بأنني مؤاخذٌ إذا لم أحدثك عن أمرٍ أخشىٰ من المحاسبة إذا لم أحدثك عنه»!! وأتصور أنه وضع حينها يدَه علىٰ صدره ثم قال: «لماذا تستخفين بصلاتكِ إلىٰ هذه الدرجة؟!»

أجبتُ: كنت خارج المنزل، ذهبت إلىٰ كلية العلوم وذهبت منها إلىٰ محل آخر ثم جئت إلىٰ المنزل!

فقال: «ينبغي أن تنظمي برنامجك اليومي بصورةٍ تمكنك من أداء الصلاة في أول وقتها، أنت تعلمين بأن الصلاة عمود الدين فإذا لم تُقبل فلن ينظرون إلىٰ أيةِ عبادةٍ أخرىٰ».

قلت: لقد وسع الله لنا في وقت الصلاة فلا ينبغي أن نضيقه نحن علىٰ أنفسنا!

كنت أتصور أن الاستخفاف بالصلاة يعني أن نؤديها حيناً ونتركها حيناً، لا أن يكون المعنىٰ هو أن نؤخرها عن أول وقتها ونصليها في الساعة السابعة والنصف أو الثامنة! لكن الإمام قال: «كلا، بل إن معنىٰ عدم الاستخفاف بالصلاة هو أن تؤدي الصلاة في أول وقتها وحيثما كنتِ»[2].

---

(١) السيد زهراء المصطفوي (ابنة الإمام).

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

ثم حكىٰ لي عن شخصٍ ـ نسيت اسمه ـ أنه كان ملتزماً بالنزول من السيارة إذا سمع صوت الأذان وإقامة الصلاة علىٰ حافة الجادة في أول وقتها[1].

يوصي بالصلاة بالقولِ والعمل

كان الإمام قدوة سامية في طريقته التربوية، فإذا نهانا عن عملٍ نلاحظ أنه لم يعمله طوال حياته، ولذلك كنا نستجيب ـ بصورة طبيعية ـ لنهيه لنا عنه.

فمثلاً عندما كان يقول لنا: «ينبغي أن تؤدوا الصلاة في أول وقتها»، كنا نراه يستعد لصلاة الظهر قبل الأذان بنصف ساعة إذْ كان يتوجه لإسباغ الوضوء ثم يُقبل علىٰ تلاوة القرآن ثم يقيم الصلاة في أول وقتها ونحن نلعب في ساحة البيت! ولم يحدث أن نادانا ـ ولا لمرة واحدة ـ وقال ـ مثلاً ـ: تعالين لإقامة الصلاة خلفي أو فرادىٰ، كان يقيم الصلاة في أول وقتها، لكنه لم يقل لنا ـ ولا لمرة واحدة ـ: كفوا عن اللعب الآن فقد حان وقت الصلاة، بل كان يقول: «ينبغي أن تقيموا الصلاة في هذه الساعة، وحذارِ من التخلف، فمَنْ لم يؤد الصلاة في هذه الساعة فعليه أن يخرج من هذا البيت»[2].

آذاه تأخر صلاتي

في بدايات بلوغي سن التكليف نمتُ ليلةً قبل أداء الصلاة، ولما انتبهتُ وجدت الإمام قد عاد إلىٰ المنزل يرافقه أخي وكان السرور بادياً عليهما، سألني: «هل صليتِ؟»، تصورت أن سروره الطافح لن يؤثر عليه عدم أدائي الصلاة في أول وقتها، فأجبت: كلا، لم أصلِّ بعد،

(١) السيدة فريدة المصطفوي.
(٢) السيدة فريدة المصطفوي.

وعندها غضب بشدة وتغيّر حاله بالكامل وسيطر الأذىٰ عليه[1].

من بركات درسه

كان الإمام شديدَ الاهتمام بإقامةِ الصلاة في أول وقتها، وكان يؤذيه كثيراً أن يرىٰ أحد طلبته الذين كانوا يحضرون دروسه في المسجد الأعظم أو مسجد السلماسي [في قم] يؤخر صلاته إلىٰ ما بعد انتهاء الدرس أو يصليها في آخر وقتها. وكان لهذا الاهتمام تأثيره البالغ في دفعي للسعي لأداء الصلاة في أولِ وقتها. وهذه من بركات حضور درس الإمام[2].

من الاستخفاف بالصلاة تقديم عملٍ عليها في أول وقتها

قلتُ للإمام يوماً: لعل معنىٰ الإستخفاف بالصلاة هو أن يؤديها الشخص تارة ويتركها أخرىٰ، فقال: «كلا، فترك الإنسان صلاته حيناً مخالف للشرع، إن مقصود الإمام الصادق عليه السلام هو أن يحلَّ ـ مثلاً ـ وقت صلاة الظهر فلا يصليها الإنسان في أولِ وقتها ويرجح عليها عملاً آخراً، وبهذا الترجيح يكون الإنسان قد استخف بصلاته»[3].

كان يوصي كثيراً بالصلاة

كان الإمام يقولُ لنا باستمرار: «لا تستخفوا بصلاتكم»، ويقول: «إن نفس قولكم: أقوم بالعمل الفلاني ثم أصلي، هو أمرٌ لا ينسجم مع الشرع، اجتنبوا ذلك، اهتموا بأمر صلاتكم، الصلاة قبل كل شيء».
كان يوصي كثيراً بالصلاة[4].

---

(١) السيدة فريدة المصطفوي، مجلة (زن روز)، العدد: ٩٦٦.
(٢) آية الله صادق الخلخالي.
(٣) السيدة فريدة المصطفوي (ابنة الإمام).
(٤) السيدة فريدة المصطفوي.

ويأمر بها الصبيان

كان الإمام يقول أحياناً لولدي ـ وهو ابن ثمانية أعوام ـ عندما يراه: «هل صليت؟»، وقد قلتُ له مرة: إنه لم يبلغ سن التكليف يا سيدي! فقال: «ينبغي توجيه الأولاد للصلاة قبل بلوغهم سن التكليف الشرعي لكي يعتادوا عليها». أما بعد بلوغ الأولاد سن التكليف، فلم يكن أيٌّ منهم يتجرأ علىٰ التقاعس عن أداء الصلاة ما لم يكن نائماً، فلم يكن الإمام يتحمل أن يؤدي مَن بلغ منهم سن التكليف صلاتَهُ قضاءً، وهذا ما لم يكن يحدث بالطبع، لقد كان الإمام يسألهم عن الصلاة كلما رأىٰ أحداً منهم، فإن لم يكن قد صلىٰ أعطاه الإمام سجادته الخاصة به وقال: «اذهب وتوضأ ثم ارجع وصلِّ»، ثم كان ينصحه بعد أن يتم صلاته ويقول له: «لاحظ كم كان أحسن لو أديت الصلاة في أول وقتها؟! إن ذلك أمرٌ يحبه الله تعالىٰ»[١].

ويهتم بأن يقيمها أولاده في أول أوقاتها

كان الإمام يوصي الأولاد كثيراً بالصلاة ويهتم كثيراً بأن يؤدي أولاده الصلاة في أول وقتها[٢].

ويحثهم عليها

كان الإمام يوصينا كثيراً بالصلاةِ وبأدائها في أول وقتها، وكان يقول لنا: «ادعوا الله باستمرار من أجل الفقراء والمعوزين واطلبوا منه أن يعينهم ويساعدهم»[٣].

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة السيد أحمد الخميني).

(٢) السيدة زهراء الإشراقي (حفيدة الإمام) مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.

(٣) السيد محمد تقي الإشراقي (حفيد الإمام).

الصلاة في أول وقتها تثمر حب الله

كان الإمام يوصينا في أكثر الأوقات بالصلاة وتلاوة القرآن ويقول: «ينبغي للأولاد أن يقيموا الصلاة في أول وقتها لكي يحبهم الله أكثر وأكثر»[١].

حفظ قيمة الصلاة

كان الإمام يتمشىٰ في ساحة المنزل، فمررتُ في الساحة، وعندها قال لي: «تعالَّ إليّ هنا»، فذهبتُ إليه، فسألني: «هل صليت؟»، قلت: لا، قال: «اذهب بسرعة وأدِّ صلاتك لكي لا تقل قيمتها» فذهبت وصليت[٢].

أقمْ الصلاة بصورة جيدة

كان الإمام يكرر القول لي: «أقمْ الصلاة بصورة جيدة، فالأنبياء كانوا يديمون الصلاة»[٣]

شدة حذره من تضييع الصلاة

دخلتُ علىٰ الإمام عصر أحد الأيام فقال لي: «أتعلمين ما الذي حدث اليوم؟»، قلت: ماذا حدث؟ قال: «لقد وقعتُ في خطأٍ بل في أخطاءِ اليوم»!! قلت: وكيف؟ قال ـ وهو ينقل ما جرىٰ بصورة حكاية تعلمتُ منها أموراً منها أهمية إقامة الصلاة في أول وقتها ـ: «استيقظت من نوم القيلولة هلعاً وقلت: يا ويلي، ضيعت الصلاة وأنا نائم، لماذا حدث هذا؟ فقمتُ علىٰ عجلٍ، وقلت: إن تربتي ليست في محلها (وكان

(١) أحد أحفاد الإمام.

(٢) السيد محمد تقي الإشراقي، مجلة (رشد نوجوان)، العدد الأول، السنة الثامنة.

(٣) السيد عماد الدين الطباطبائي (ابنة حفيدة الإمام).

يضعها عادةً علىٰ المدفأة لكي تذهب آثار تعرق الجبهة منها)، رأيتُ أنني سأتأخرُ لو ذهبت إلىٰ الغرفة الأخرىٰ لجلب التربة، لذلك قلتُ في نفسي: لا بأس، أسجد علىٰ الورقة لكي لا تتأخر صلاتي أكثر من هذا، لكنني تذكرتُ فجأةً أنني لن أستطيع الذهاب لتناول الطعام في الجانب الآخر من البيت الأمر الذي سيصيب الأهل بالقلق، لذلك خرجتُ بسرعةٍ لكي أخبرهم بالأمر ـ ولا تدرين كم كنت في أذىً لما جرىٰ ـ فقد تأخرت صلاتي ولم أستطع أن أخبر الأهل بالأمر لكي لا يقلقوا، خرجتُ من الغرفة فرأيت زوجة السيد أحمد، قلتُ لها: لقد تأخرتُ اليوم في الاستيقاظ، فقالت: كلا لم تتأخر، فكم الساعة الآن؟ قلت: إنها الثانية عشر والنصف، فقالت: كلا، بل لم يحن وقت الأذان بعد! نظرتُ إلىٰ الساعة فوجدتها تشير إلىٰ الحادية عشر والنصف!! وعرفت أنني تصورتُ خطأً أنها الثانية عشر والنصف: ولذلك قلقت لأنني لو ذهبت لتناول الطعام مع العائلة تأخرت صلاتي[1]!!

يصلي قبل بث الأذان عبر الإذاعة

كان الإمام شديد الالتزام بإقامة الصلاة في أول وقتها وإلىٰ درجة كان يشرع بالصلاة فور حلول المغرب الشرعي وقبل ارتفاع الأذان في طهران والذي يتأخر عادةً (٧ ـ ٨) دقائق عن الوقت الشرعي، وكان أحياناً يتم أداء نافلة المغرب قبل أن تبث الإذاعة الأذان[2]!!

أعطاني إحدىٰ تربتيه

دخلت يوماً علىٰ الإمام مع ارتفاع صوت الأذان فوجدته قد دخل في الصلاة، فركضت باحثاً عن تربة للصلاة خلفه فلم أجدها، فقطعتُ

(١) زهراء المصطفوي (ابنة الإمام).
(٢) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

ورقة من شجرة في ساحة المنزل ووقفت مصلياً خلفه وعند السجود ألقىٰ لي بإحدى تربتيّه فصليت عليها بدلاً من الورقة[1].

أقام الصلاة مرة ثانيةً

في الأيام الأولىٰ لإقامة الإمام في جمران جاءت مجموعة من المسلمين غير الإيرانيين لزيارته والصلاة خلفه، لكنهم تأخروا في الوصول، يقول الإمام: «لما عرفتُ بتأخرهم أقمت الصلاة ولما وصلوا أقمتها ثانيةً معهم»، فهو لم يؤخر صلاته عن أول وقتها حتىٰ يصل زواره[2].

علمنا درساً عظيماً

ذهبت في عصر أحد الأيام برفقةِ أخي المهندس مهدي الثقفي إلىٰ منزل الإمام في جمران، وجلسنا مدة عند السيدة زوجته [وهي أختهما]، ثم استأذنا للذهاب قبيل المغرب، فرغبنا في زيارة الإمام ولو بمقدار السلام عليه وتقبيل يديه، فعرضنا الأمر علىٰ السيدة فقالت: لا مانع من ذلك. ثم بعثت مَن يخبر الإمام برغبتنا في زيارته، وكان وقتها في البيت المجاور، توجهنا إليه وقد بقيت إلىٰ موعد الأذان خمس إلىٰ ست دقائق، وكنا نعرف شدة التزامه بإقامةِ الصلاة في أول وقتها وأنه لا يتسامح في ذلك في أي حالٍ من الأحوال، ولذلك شككنا في إمكانية وصولنا إليه قبل دخوله في الصلاة، لكننا قررنا أن نذهب إليه علىٰ كل حال ولو لم نستطع أكثر من السلام عند الباب وتقبيل يديه والرجوع.

وبمجرد وصولنا إلىٰ باب البيت فتح لنا السيد الباب بنفسه وقد شمَّر

(١) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

عن ذراعيه وكان واضحاً أنه مستعدٌ لتجديد الوضوء، فاستقبلنا بحفاوةٍ ورحب بنا عند الباب!

ولما رجعنا قلتُ لأخي: هل عرفت عظمة الدرس الذي ألقاه لنا بعمله هذا؟! لقد أعرب عن بالغ الاحترام والتكريم لنا بمجيئِهِ بنفسه لفتح الباب، هذا أولاً، وثانياً؛ فقد ذكّرنا ـ بصورةٍ غير مباشرة، أي باستعداده للقيام بمقدمات الصلاة ـ أن الوقت هو وقت الصلاة[1].

(١) السيد علي الثقفي (أخ زوجة الإمام).

القسم الثاني: حفظه حق الصلاة أيام مرضه

الصلاة آخر وصاياه

أوصانا الإمام ـ قبل يوم من نقله إلىٰ المستشفىٰ ـ بالصلاة في أول وقتها وذكرنا بلزوم الاهتمام بها[١].

يضطرب عند حلول وقتها

كان الإمام ـ في أيام مرضه ـ يولي أهميةً بالغةً بأداء الصلاة بأولِ وقتها، كان يضطرب عند اقتراب وقت الصلاة، ويسعىٰ لإعداد نفسه لإقامتها فور دخول وقتها[٢].

يرتدي أنظف ثيابه للصلاة

كان الإمام يرتدي أنظف ثيابه عند إقامته للصلاة في أيام رقوده في المستشفىٰ رغم أن الالتزام بذلك كان أمراً شاقاً مع استمرار النزيف ووجود شق كبير في بطنه[٣].

الصلاة في ذروة اشتداد المرض

يروي أحد أطباء قم: ذهبت إلىٰ الإمام عندما أخبروني بإصابته بأزمةٍ قلبية، ووقفت عند سريره لقياس ضغط دمه وكان مؤشر جهاز قياس

---

(١) السيد فاطمة الطباطبائي، ملحق صحيفة إطلاعات بمناسبة الذكرىٰ السنوية الأولىٰ لوفاة الإمام.

(٢) الدكتور كلانتر المعتمدي، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات)، ص ١٣٧.

(٣) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (حضور)، العدد الأول.

الضغط يشير إلىٰ الرقم (٥) وهو مستوىً خطير للغاية، فقمت بالإسعافات الأولية اللازمة فتحسنت حالتُهُ بعض الشيء بعد ساعتين، وكان بالطبع لا يستطيع القيام بأي حركة، بل ولا ينبغي له ـ طبياً ـ القيام بذلك حتىٰ لو استطاع، لكنه سعىٰ للقيام! فسألته عن سبب ذلك فأجاب: «الصلاة»، فقلت له: أنت يا سيدي مجتهدٌ في الفقه، وأنا مجتهدٌ في الطب، إن تحرككم حرامٌ الآن حسب الفتاوى الطبية! أقيموا الصلاة وأنتم مضطجعون.

وقد التزم الإمام بما قلته لسماحته بدقة[١]!!

أرجعوا الطعام إلىٰ ما بعد الصلاة

أوصىٰ الإمام عند نقله إلىٰ المستشفىٰ بإطلاعه علىٰ الأذان عند كل صلاة، فكان يصلي أولاً ثم يتناول الطعام، وفي أحد الأيام انتبه إلىٰ أنهم قد جاؤه بالطعام فسألهم: «وهل حان وقت الصلاة؟»، أجابوه بالإيجاب، فقال لهم بلهجةٍ عنيفة: «لماذا لم توقظوني إذن؟!»، قالوا: لم نرغب في ذلك بسبب حالتكم الصحية، فقال بلهجةٍ مفعمة بالألم: «لماذا تعاملوني بهذه الصورة؟! أرجعوا الطعام لكي أصلي»[٢].

تحسن صوته عند حلول وقت الصلاة!

عندما كان الإمام راقداً في المستشفىٰ، كنا نراه يغمض عينيه أحياناً فنتصور أن حالة من النعاس المستمر تسيطر عليه، فكنا نفتش بحثاً عن العلة الطبية لهذه الحالة، ثم عرفنا فيما بعد، أنه لا يغلق عينيه بسبب النعاس، بل إنه كان يحلّق معنوياً في عوالم أخرىٰ، وقد دلنا علىٰ ذلك

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مهدي إمام الجمراني. ملحق صحيفة جمهوری اسلامی بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.
(٢) الدكتور حسن العارفي.

أننا لاحظنا أنه كان يفتح عينيه بين الحين والآخر ويسألنا عن مقدار الوقت المتبقي لأذان الفجر أو الظهر، فإذا أجبناه عاود إغلاق عينيه.

ولكن حالته الصحية كانت تتغير بدرجةٍ حادة عند حلول وقت الصلاة، كانت تتحسن بدرجة ثمانين بالمائة!! إذْ كان ينشط ويصبح قادراً علىٰ الجلوس، وكان يتوضأ ـ إذا كان مسموحاً له ـ ثم يقيم الصلاة، ويواصل الذكر إلىٰ اللحظة الأخيرة، أجل كان السيد الأنصاري ـ في الأيام الأخيرة ـ يضع التربة علىٰ جبهته المباركة لأن السغذي الطبي كان موصولاً بيده وكان الإكثار من الحركة مضراً له[1].

عاتبني وشكاني!

أصرَّ الأطباء ـ بعيد انتهاء إجراء العملية الجراحية للإمام ـ أن يتناول بضع ملاعق من الحساء المخلوط بالأدوية، وكان هذا الأمر مهماً لهم كثيراً لأن العملية الجراحية كانت في المعدة وهذا الطعام هو أول ما يتناوله بعد العملية، ولكن ذلك اقترن مع أذان الظهر، ولذلك طلب الإمام ـ الذي كان شديد الاهتمام طوال عمره بإقامةِ الصلاة في أول وقتها ـ تأخير تناول الطعام إلىٰ ما بعد إقامته الصلاة، لكن الأطباء أصروا علىٰ موقفهم، فاستدعاني الإمام وطلب تأخير الطعام ـ عند الإمكان ـ إلىٰ ما بعد الصلاة، لكنني أيدت موقف الأطباء بسبب قلقي علىٰ صحته فقلتُ له: مَن الأفضل أن تتناولوا طعامكم قبل الصلاة، فقال لي معاتباً: «لي عتاب معك! كيف تسمع أنت أيضاً بتغيير برنامجي المعتاد؟». وقد شكاني مرة ثانية للسيد أحمد عندما دخل عليه»[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، صحيفة إطلاعات (٢٩/٣/١٣٦٨ هـ.)

استيقظ رغم التعب قبل وقت الصلاة

أتعبت الإمام كثيراً التحليلات والتخطيطات والصور الطبية التي أخذت له على مدىٰ ست ساعات قبل إجراء العملية، فطلب مني ـ قبل نومه ـ أن أوقظه قبل ساعة من وقتِ الأذان وطبق برنامجه المعتاد، ثم قلنا إن النوم والاستراحة أمر ضروري له لما أصابه من تعب شديد. ولكن الإمام استيقظ بنفسه قبل نصف ساعة من الوقت المقرر وسألنا: «كم الساعة الآن»[1].

يقيم صلاته بنشاطٍ أيام المرض

علىٰ الرغم من كل ما كان يقاسيه الإمام من آلام ومتاعب وضعف وهو يرقدُ في المستشفىٰ، إلا أنه كان يقيم صلاته بنشاطٍ واستقامة كما لاحظ الجميع ذلك، كان يتلو أذكار الصلاة بوضوح رغم أن كمامة الأوكسجين كانت موضوعة علىٰ فمه وأنفه، وكان الحاضرون يسمعون صوته وهو يتلو أذكار الصلاة ولكن كان إذا أتمَّ الصلاة عاد صوته ضعيفاً خافتاً لا نستطيع سماعه، الأمر الذي كان يثير تعجبنا[2].

لم يغفل عن الذكر والصلاة إلىٰ لحظاته الأخيرة

لم يغفل الإمام عن الذكر والصلاة والدعاء إلىٰ اللحظات الأخيرة من حياته، وينقل السيد أحمد أن والده بدأ ـ قبل الظهر من اليوم الأخير من حياته ـ صلاةً لم نعرف ما هي. وبعد مدة من الصلاة سألنا: هل حان وقت صلاة الظهر؟ وعندما علم بحلول موعد أذان الظهر، أقام صلاتي الظهر والعصر. وكان يكرر التسبيحات الأربعة باستمرار إلىٰ أن أُغمي عليه بالكامل[3].

---

(١) أحد حراس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور)، ص ٦٢.

(٢) آية الله السيد الخامنئي، صحيفة إطلاعات (١٩/ ٣/ ١٣٦٨ هـ.ش).

(٣) الدكتور حسن العارفي، صحيفة إطلاعات (٢٧/ ٣/ ١٣٦٨ هـ.ش).

يصلي النوافل باستمرار علىٰ سرير المرض

كان الإمام يصلي باستمرار أيام رقوده في المستشفىٰ، كنا نتصور عندما نراه يحرك شفتيه أنه يريدُ شيئاً لكننا عندما كنا نقترب منه نعرف أنه لا يريد شيئاً وأنه يحرك شفتيه في تلاوة أذكار الصلاة، وقد تكررت هذه الحالة مراراً. لقد استمر في صلاته وهو يؤدي تكبيرة الإحرام والركوع والسجود بالإيماءة والإشارة بإصبعه وبقي علىٰ هذه الحال إلىٰ أن تدهورت حالته الصحية بالكامل[1].

الصلاة بفرائضها ونوافلها هي العمل الأهم في حياة الإمام

الصلاة هي العمل الأهم في برنامج الإمام، وهو لم يترك أداء الصلوات المستحبة إلىٰ اللحظات الأخيرة من حياته، وكان يؤديها بالإشارة بأصابعه عندما ضعف حتىٰ عن تحريك شفتيه، وقد شاهدت ذلك بوضح، وقد كان بعض الأطباء يتصورون أنه يطلب شيئاً عندما كان يحرك أصابعه فكنتُ أجيبهم: إنه لا يريد شيئاً بل هو يصلي، وكل ذلك يعبر عن أهمية الصلاة التي كانت وصيته الأخيرة[2].

أفاق من إغمائتِهِ لإقامة الصلاة!

كان الإمام شديد الحب للصلاة في أول وقتها في الليلة الأخيرة من حياته صلىٰ المغرب والعشاء بالإشارة وكان ذلك في حدود الساعة العاشرة مساءً، كان في تلك الليلة مغمىً عليه وقد عجز الأطباء عن إخراجه من تلك الحالة، فوقف أحدهم عند رأسه وسعىٰ لإيقاظه من الإغماء بذكر الصلاة، فخاطبه بالقول: لقد حان وقت الصلاة يا سيدي!

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي، صحيفة جمهوری إسلامي (١٧/٣/١٣٦٨ هـ.ش).
(٢) السيدة نعيمة الإشراقي (حفيدة الإمام)، مجلة (سروش)، العدد ٤٧٦.

إثر ذلك مباشرة استيقظ الإمام وأدىٰ الصلاة بالإشارة!

كان يكرر علينا السؤال مُنذ صباح ذلك اليوم الأخير من حياته المباركة ـ عن حلول موعد صلاة الظهر، إذْ لم تكن توجد ساعة بالقرب منه، ولأنه كان قد ضعف حتىٰ عن النظر إلىٰ الساعة، لذلك كان يسألنا كل ربع ساعة عن مقدار ما بقي من الوقت لأذان الظهر، ولم يكن ذلك بدافع خشيته من إنقضاء وقت صلاة الظهر بل لأنه كان يريد إقامة الصلاة في أول وقتها(١).

شدة حرصه في مرضه علىٰ حفظ الصلاة

قال أحد الأطباء ـ بعد إجراء العملية الجراحية للإمام ـ: لقد فتح السيد عينيه! ثم نادىٰ السيد الأنصاري الذي كان مسؤولاً عن مساعدة الإمام لإقامة الفرائض، جاء السيد الأنصاري وسأل الإمام: هل تريدون إقامة الصلاة؟ فحرك حاجبيه مجيباً بذلك بالإيجاب، لكنه لم يجب علىٰ أي سؤال آخر، ثم رأيناه يحرك يديه فعرفنا أنه يؤدي الصلاة، لقد كان في أيامه الأخيرة قلقاً باستمرار حرصاً علىٰ إقامة صلاته في أول وقتها(٢).

صلاةٌ في غرفة الإنعاش المكثف

في الساعة السابعة والخمسين دقيقة أدخلوا الإمام غرفة الإنعاش والرعاية المكثفة (سي، سي، يو)، فقلت في أذنه: لقد حان وقت الصلاة يا سيدي، هل تريدون أن يأتي السيد الأنصاري لكي يعينكم علىٰ الوضوء؟ فأشار إليّ بحاجبه، فقال الدكتور الإلياسي: إن السيد يسمع

---

(١) السيدة زهراء الإشراقي (حفيدة الإمام)، مجلة (زن روز)، العدد: ١٢٢٠.

(٢) السيد مصطفىٰ كفاش زادة (من العاملين في بيت الإمام)، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩١.

الكلام لكنه لا يستطيع الرد. ثم رأيته يحرك إصبع يده اليمنىٰ، فعلمنا أنه يصلي[١].

يؤدي صلاة الليل في ذروة المرض

كان الإمام يسألنا ـ أيام رقوده في المستشفىٰ ـ قبل موعد أذان الظهر: «كم بقي من وقتٍ لموعد أذان الظهر؟»، وكان يستيقظ بعد منتصف الليل ويسألنا: «كم بقي من وقت لأذان الصبح؟» وذلك لكي يؤدي نافلة الليل، وقد سلم الروح لخالقها وهو يلهج بأذكار الصلاة، وكانت كلمة «الله أكبر» أول كلمة ينطق بها إثر خروجه من حالة الإغماء بعد إجراء العملية الجراحية له[٢].

يسأل باستمرار عن وقت الصلاة

كنت ملازماً لخدمة الإمام ليلة السبت (قبل ليلة من وفاته) ما بين الساعة العاشرة مساءً إلىٰ الخامسة صباحاً، وقد استيقظ عدة مرات كان يطلب فيها الماء، فكنا نأتيه بعصير الفواكه لكنه كان يرفض تناوله ويقول: «أريد ماءً»، كما كان يسألنا مراراً عن الساعة ويقول: «انتبهوا لكي لا تطلع الشمس، وتصير صلاتي قضاءً»[٣].

في صلاةٍ مستمرةٍ

كان الإمام منشغلاً بالصلاة مُنذ الصباح وعلىٰ نفسٍ واحد، فكلما دخلنا عليه لتفقده وجدناه يصلي ويردد التسبيح والتكبير[٤].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا التوسلي.
(٢) السيد حسين السليماني (من العاملين في بيت الإمام)، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩١.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الرحماني، مجلة (زن روز)، العدد: ١٢١٩.
(٤) السيد أحمد بهاء الديني، مجلة (ماسدار إسلام)، العدد: ٩١.

كان يتلو الأذان والإقامة حتىٰ للنوافل

في اليوم الأخير من حياته المباركة، انتبهت مرتين أو ثلاث ما بين الساعة (٨ ـ ١٠) صباحاً؛ إلىٰ أنه يردد الشهادتين الأمر الذي أثار فيّ القلق لكنني عندما اقتربت منه وجدته يتلو الأذان والإقامة للصلاة، ويبدو أنه كان يتلو الأذان والإقامة حتىٰ للصلوات المستحبة، أو أنه كان يردد أذكاراً أخرىٰ لم نعرفها بدقة، ولم يغفل عن ذكر الله والصلاة حتىٰ بعد تدهور حالته الصحية للغاية عصراً[١].

قلقه من احتمال فوت وقت الصلاة الأول

كانت حالة الإغماء تغلب علىٰ الإمام بين الحين والآخر في ضحىٰ اليوم الذي توفي الإمام في مسائِهِ، لكنه كان يسألنا كلما أفاق: «هل حان وقت أذان الظهر؟» كان قلقاً لحرصه علىٰ إقامة الصلاة في أول وقتها[٢].

التزامه بالنوافل اليومية إلىٰ اليوم الأخير

في الساعة الحادية عشر وربع من اليوم الأخير من حياة الإمام، وكان قد انخفض ضغط دمه بدرجةٍ حادةٍ، قال: «أريدُ أن أتوضأ لكي أصلي»، قلنا: لا زال الوقت مبكراً لصلاة الظهر، وفي الساعة الحادية عشر ونصف قال: «قولوا للسيد الأنصاري أن يأتي في الساعة الحادية عشر وأربعين دقيقة لكي يعينني علىٰ الوضوء».

جاء السيد الأنصاري وتوضأ الإمام وقد قام بأفعال الوضوء بنفسه حتىٰ المسح علىٰ الرجلين، ثم أخذ بأداء صلاة النافلة، وقد استمر فيها

---

(١) الحاج عيسىٰ الجعفري (من العاملين في بيت الإمام).
(٢) السيد رحيم ميربان (من العاملين في بيت الإمام).

إلىٰ الساعة الثانية عشر والنصف وكان يتلو الأذان والإقامة للنوافل أيضاً[1].

يودع الدنيا مصلياً:

كنت واقفة عند رأس الإمام في وقت صلاة المغرب في اليوم الأخير من حياته المباركة، أخذ بعض الحاضرين يكرر القول بانفعال: «الصلاة يا سيدي الصلاة»، ففتح عينيه بصعوبةٍ شديدة، وكانت السيدة الوالدة بالقرب منه فقالت له: أنا هنا يا سيدي أنا! ففتح عينيه وألقى نظرةً.

ثم رأيته يصلي بالإشارة بأصابعه وهو يحرك شفتيه، وقد عرفت أنه يصلي من ملاحظة أنه يضرب السرير بأصابعه[2].

أخرجوه من حالة الإغماء بذكر الصلاة

لم يخرج الإمام من حالة الإغماء مُنذ الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر اليوم الأخير من حياته، عجز الأطباء عن إخراجه من هذه الحالة إلىٰ ما بعد أذان المغرب وعندها خاطبوه ـ وهم يعرفون شدة اهتمامه وحساسيته تجاه الصلاة ـ قائلين: لقد حان وقت الصلاة يا سيدي، وعندها ظهرت منه ردة فعل تجاه هذا الخطاب!

استمر في صلاته مع نوافلها في تلك الحالة الصعبة

تدهورت حالة الإمام الصحية قبل ساعة من أذان الظهر في اليوم الذي توفي فيه، فأعنّاه علىٰ الوضوء، لقد قال لي الدكتور العارفي: إن الإمام لا يستطيع تحريك يديه فأمسك أنت بهما. كان المغذي الطبي

---

(١) السيدة فريدة المصطفوي (ابنة الإمام).

(٢) السيدة فرشتة الإعرابي (حفيدة الإمام).

موصولاً بيده لذلك لم يستطع رفع يديه أثناء التكبير، ولذلك وقفت إلىٰ جانبه وأمسكت بيده، وقد استمر في الصلاة ـ بهذه الحالة الصعبة ـ إلىٰ الساعة الواحدة ظهراً[١].

فتح عينيه عند ذكر الصلاة

ذهبت إلىٰ المستشفىٰ يوم السبت لعيادة الإمام، وكنت بالقرب منه في حدود الساعة الثامنة مساءً، وكان في حالة الإغماء وقد أوصلوا به أجهزة التنفس الصناعي، ثم قال أحد الإخوة مخاطباً له: لقد حان وقت صلاة المغرب يا سيدي، فهل تريدون أن يأتوك بالماء للوضوء وإقامة الصلاة؟

والعجيب أن الإمام الذي كان مغمىً عليه فتح عينه إثر هذا الخطاب مباشرة وقال كلمةً ثم أغلق عينَهُ ثانيةً، ولم أسمع منه شيئاً بعد ذلك[٢]

أصابته السكتةُ الأخيرة وهو يلهج بذكر الله

سألنا الإمام في ضحىٰ اليوم الأخير من حياته: «كم الساعة الآن؟»، قلنا: إنها العاشرة وخمسٌ وأربعون دقيقة، قال: «أريدُ أن أتوضأ»، قلنا: استريحوا ساعة فلا زال الوقت متسعاً إلىٰ صلاة الظهر، فقال: «إذن قولوا للسيد الأنصاري أن يأتي في الساعة الحادية عشر وأربعين دقيقة لكي يعينني علىٰ الوضوء». جاء السيد الأنصاري في الوقت المحدد بعد أن أخبرناه بأمر الإمام، ثم توضأ الإمام وقال: «أريد أن أصلي»، فقال السيد الأنصاري: السيد يريد أن يصلي النوافل، فلا حاجة الآن للتربة. ثم صلىٰ الإمام نوافلَهُ بالإشارة.

---

(١) السيد رحيم ميريان.

(٢) آية الله الإمامي الكاشاني، صحيفه كيهان، (١٥/٣/١٣٦٨ هـ.ش).

وبعد أن أتم الإمام إقامة صلوات النوافل وفريضتي الظهر والعصر، تابع الصلوات مع تلاوة الأذان والإقامة لكل منها، كما تابع ذكر الله. واستمر علىٰ ذلك إلىٰ الساعة الثانية والنصف بعد الظهر فاختفىٰ صوته حينها بالكامل لكنّ شفتيه بقيتا تتحركان. وفي الساعة الثالثة وعدة دقائق انخفض ضغط الإمام بدرجة حادة وأصابته سكتة قلبية وهو يلهج بذكر الله(١).

يغادر الدنيا وهو منقطع إلىٰ الله

في حدود الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم السبت سأل الإمام الأطباء: «كم الساعة الآن؟ هل حان وقت صلاة المغرب؟»، قلنا: كلا يا سيدي، لقد صليت الظهر قبل ثلاث ساعات ولا زال الوقت متسعاً إلىٰ غروب الشمس، فصلىٰ الإمام ركعتي نافلة ثم قال: «أرجعوا السرير إلىٰ حالة الاستواء»، ففعلوا ثم أخذ الإمام بمتابعة ذكر الله، ثم وجد له أحد السادة الواقفين عند رأسه سؤالاً له، فأشار إليه الإمام بأن يترك السؤال، فتراجع هذا الشخص إلىٰ الوراء، يقول هذا الشخص: تقدمت بعد هنيئة لكي أوجه سؤالي إلىٰ سماحته فأشار إليّ ناهياً عن السؤال وعن الاقتراب منه، وواصل ذكرَهُ. فجلست هناك هنيئة ثم رأيته يغادر الحياة الدنيا وهو يلهج بذكر الله(٢).

الإمام العارف في كل حركاته

إنّ الذي أوصل الإمام إلىٰ مكانته المتميزة السامية هو البعد العرفاني في شخصيته، لقد كان فريداً لا نظير له في العرفان النظري وفي العرفان

---

(١) السيد رحيم ميريان، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الكروبي، مجلة (شاهد)، العدد: ١٨٤، ويبدو أن المقصود هو حالة الإغماء الأخيرة التي لم يفق الإمام منها، لأن وفاته كانت في الساعة العاشرة وعشرين دقيقة مساءاً.

العملي بالخصوص، هذا البعد هو الذي كان يهدي الإمام ـ في جميع تحركاته ـ إلىٰ المقام التالي لمقامات المعصومين عليهم السلام وهو الذي كان يجعل نظرياته مطابقة للواقع.

لقد بلغ الإمام مقاماً جعله يلمس ويرىٰ الحقائق، بعين الشهود ورحم الله المرحوم الشهيد الدكتور شمران إذْ كان يقول: إن هذا البعد في شخصية الإمام هو الذي جعلني أحبه أكثر من أي شخصٍ آخر(١).

كان دائم الطهارة

كان الإمام علىٰ طهارة دائمة، ولم يُشاهد أبداً وهو يرجع إلىٰ غرفته قبل أن يتوضأ، ولقد شاهدته مراراً وهو يتلو الأذكار المستحبة المندوب لتلاوتها أثناء أفعال الوضوء(٢).

وملتزماً بمستحبات الوضوء

كان الإمام ملتزماً بأن يكون علىٰ وضوء باستمرار، كان يجدد وضوءَهُ مراراً قبل الصلاة، وكان تجديده الوضوء في كل مرة يطول بعض الشيء لأنه كان ملتزماً بالعمل بالمستحبات الخاصة بالوضوء(٣).

لم يغفل عن مستحبات الوضوء وهو في المستشفىٰ

لم يكن الإمام يغفل أبداً عن ذكر الله، كان ذكر الله يجري علىٰ لسانِهِ وقلبه في كل أحواله، كان يتلو الدعاء الخاص بكل يوم، كما كان يتلو الأدعية الخاصة بأفعال الوضوء أثناء تجديده له، وكان يلتزم بالتوجه نحو القبلة أثناء الوضوء حتىٰ وهو راقد في المستشفىٰ للعلاج(٤).

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين أسد الله بيان، مجلة (حوزه). العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد هادي الموسوي.

(٣) آية الله الإيزدي النجف آبادي.

(٤) أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور)، ص ٦٣.

الفصل الرابع:

التزامه بالمستحبات وورعه عن المكروهات

يصوم أيام الصيف الطويلة

أقامَ الإمام أربعة عشر عاماً في مدينة النجف الأشرف بعيداً عن أرحامه، متحملاً حرَّ الهواء فيها، صائماً أيامها الطويلة، كانت خادمة بيته تقول شاكية: عندما أذهب ـ يا سيدتي ـ لكي أرجع بطبق الطعام الذي حملته للسيد لا أكاد أرىٰ أنه قد تناول منه شيئاً، إنه لا يتناول إلا مقداراً قليلاً منه.

أجل، كان الإمام يصوم أيام النجف الطويلة في ظل هذه الأوضاع الصعبة[١].

الاجتهاد في التعبد لله

كان سبب التزام الإمام بإلغاءِ لقاءاته في شهر رمضان هو ميله للتفرغ أكثر للدعاء وتلاوة القرآن والاجتهاد في العمل عموماً وإصلاح النفس، وكان يقول: «إن شهر رمضان بحدِّ ذاته هو عملٌ»[٢]!

---

(١) السيدة صديقة المصطفوي (ابنة الإمام) مجلة (سروش)، العدد ٤٧٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٥.

تكثيف العبادات في الشهور الخاصة

كانت للإمام ـ طبق ما ينقله المقربون منه ـ برامج خاصة للعمل في الشهور المتميزة مثل شهر رمضان، فمثلاً كان يمتنع في هذا الشهر عن قراءة الشعر ونظمه والإستماع له، كان يوجد في طريقة حياته تغييراً شاملاً بما يتناسب مع خصوصيات شهر رمضان فكان يقضي أوقاته فيه بتلاوة القرآن والدعاء والأعمال المستحبة الخاصة بهذا الشهر[1].

الالتزام بالمستحبات رغم المشقة

كان الإمام يقومُ بجميع أفعال الوضوء وهو مستقبل القبلة حتىٰ لو لم تكن المغسلة باتجاه القبلة، ففي هذه الحالة كان يأخذ الماء بكفه من المغسلة ثم يغلق الحنفية ويستقبل القبلة ثم يغسل وجهه أو يديه[2].

ورغم الحوادث المفجعة

لم نرَّ من الإمام في أيام استشهاد ولده السيد مصطفىٰ سوىٰ الصبر والصلاة المعنوية، ففي يوم الوفاة نفسه قام ببرنامجه المعتاد في المشي بين الساعة (١٠,١٠ إلىٰ ١١,٣٠) دقيقة، ومع اقتراب أذان الظهر وقف ـ طبق سنته المعتادة ـ مستقبلاً القبلة وأسبغ الوضوء ومشط لحيته وتطيَّب ثم أقام صلاتَهُ[3].

اهتمامه بمستحبات الوضوء

أمعنت النظر يوماً إلىٰ الإمام وهو يتوضأ لمعرفةِ طريقته في الوضوء، فرأيته يضع أولاً إحدىٰ يديه تحت صنبور الماء ثم يفتحه باليد الأخرىٰ بمقدار قليل ثم يغلقه بعد امتلاء كفه بالماء ويصبه علىٰ وجهه، ثم يكرر

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٣.
(٢) الدكتور محمود البروجردي (صهر الامام)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج ٣.
(٣) السيدة فاطمة الطباطبائي، مجلة (ندا)، العدد الأول.

العملية ويغسل وجهه مرتين، ثم يصب ـ بالطريقةِ نفسها كفاً من الماء علىٰ يده اليمنىٰ ويغسلها، وهكذا يفعل مع يده اليسرىٰ وهو يتلو في غضون ذلك الأدعية المستحبة أثناء أفعال الوضوء ويقوم بكل فعلٍ منها وهو يستقبل القبلة في كل مرة(١).

يستقبل القبلة أثناء الوضوء

كان محل المغسلة في بيت الإمام في النجف صغيراً للغاية، فكان يضطر إلىٰ الوقوف في زاوية ضيقة منه ويتحمل مشقة بالغة من أجل أداء أفعال الوضوء وهو مستقبل القبلة(٢).

الإعراض عن المستحبات حرمان للنفس

منذ شبابه، كان الإمام يولي القيام ببعض المستحبات ـ مثل غسل الجمعة وصلاة الجماعة ـ أهمية خاصة، كان يشارك ـ في عهد مرجعية السيد البروجردي ـ رحمه الله ـ في الكثير من صلوات الجماعة رغم أنه كان يومها من الشخصيات الحوزوية البارزة، لكنه كان يرىٰ إقامة الصلاة فرادىٰ مع إمكانية إقامتها جماعةً نوعاً من حرمان النفس من الفيض الإلهي(٣).

التطيب للصلاة

كان الإمام ملتزماً باستعمال الطيب دائماً عند إقامة الصلاة ولعله لم يصلِّ أبداً بدون التعطر بالطيب، حتىٰ عندما كان يصلي فوق سطح منزله في النجف كان يصطحب معه قنينة العطر(٤).

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي (ابنة الإمام).

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي، ملحق صحيفة إطلاعات بمناسبة الذكرىٰ السنوية الأولىٰ لوفاة الإمام.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد المهدي، مجلة (شاهد بانوان)، العدد: ١٦٧.

(٤) الدكتور محمود البروجردي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٣.

لم يترك أي عملٍ مستحب

واظب الإمام علىٰ الاجتهاد في العبادة في أيامه الأخيرة مثلما كان يجتهد فيها أيام شبابه، والتزم بذلك حتىٰ في أيام رقوده في المستشفىٰ، فلم يترك أي مستحب وهو علىٰ سرير المرض، كان يؤدي تعقيبات الصلاة وتلاوة القرآن واستعمال الطيب والتحنك بعمامته وجميع مستحبات الصلاة[١].

ولم يكن يفعل أي عملٍ مكروه

كان الإمام شديد الاهتمام بأداء المستحبات واجتناب المكروهات، فلم يترك أي عمل مستحب ولم يفعل أي عملٍ مكروه، كان يحرص علىٰ القيام بالأعمال المستحبة الواردة قبل الصلاة والتي تضاعف ثوابها مثل التطيب، كما كان يصلي علىٰ تربة كربلاء الحسينية، ورغم أنه كانت له أسناناً صناعية إلا أنه كان يخرجها ويستعمل المسواك قبل الصلاة، كما كان يتختم قبلها أيضاً بخاتم من عقيقٍ يستحب التختم به للصلاة[٢].

الالتزام بالاستعاذة

كان الإمام يتلو ذكر الاستعاذة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» قبل سورة الحمد في صلوات النوافل إضافة إلىٰ الفرائض[٣].

وتسبيحات الصديقة الزهراء(ع)

كان الإمام يتلو ذكر تسبيحات الصديقة الزهراء عليها السلام بعد كل صلاة، وكان يعدها بيده لا بالمسبحة[٤].

---

(١) آية الله السيد محمد الموسوي البجنوردي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٢٠٨.

(٢) السيد خادم (أحد حرس بيت الإمام)، كتاب (في رثاء النور)، ص ٦٥.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي، كما كان الإمام يحسب أذكار تسبيحات الصديقة الزهراء أحياناً بالمسبحة أيضاً.

وتعقيبات الصلوات

كان الإمام يؤدي بعد التسليم والتكبير ثلاث مرات التعقيبات المشتركة للصلوات، فيبدأ أولاً بتسبيحات الزهراء ـ سلام الله عليها ـ وهي: «الله أكبر» ٣٤ مرة، «الحمد لله» ٣٣ مرة، «سبحان الله» ٣٣ مرة، وعادة ما يحسب أعدادها بأصابع يده، ثم يمهد لقراءة سورة الحمد بذكر الاستعاذة «أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم» وكانت تلاوته دعاء الإستعاذة واضحة بالكامل قبل تلاوة سورة الحمد المباركة سواءٌ في صلوات الفرائض أو النوافل ـ في الركعة الأولىٰ بالطبع ـ أو في تعقيبات الصلاة.

ثم يتلو في تعقيباته بعد سورة الحمد آية الكرسي وعدة آيات أخرىٰ أذكرها هنا علىٰ الترتيب:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٧].

ثم يقول: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه».

كانت هذه تعقيباته المشتركة للصلاة، وكان يتلو بعدها في تعقيبات صلاة المغرب الذكر التالي سبع مرات: «بسم الله الرحمٰن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

مداومته علىٰ المستحبات

قال أحد أرحامنا وكان ـ من كبار علماء الحوزة العلمية: «ثمة دعاء يشتمل علىٰ السلام علىٰ الأنبياء والملائكة يُستحب تلاوته بعد صلاة الصبح، وأنا ألتزم به مُنذ حدود (٢٤) عاماً، أي مُنذ أن قال لي سماحة السيد روح الله الخميني: داوم علىٰ تلاوة هذا الدعاء، فأنا أداوم علىٰ تلاوته مُنذ سنين طويلة»[2].

دعائه في التحصن بالدار الإلهية

كان الإمام يقف بعد إقامته صلاتي المغرب والعشاء في ساحة البيت مستقبلاً القبلة وهو يشير بإصبعه باتجاهها ويتلو علىٰ مدىٰ حدود خمس دقائق دعاءً بصوت خافت، وقد سمعتُ من أحد الثقات أن الذكر الذي يردده في هذه الفترة هو: «تحصنتُ بدارٍ سقفها لا إله إلا الله، وسورها محمد رسول الله، وبابها علي ولي الله، وأركانها لا حول ولا قوة إلا بالله»[3].

لا يمكن إقامة الصلاة في منزلكم!!

بعد إطلاق سراح الإمام من أسر الإقامة الجبرية في منطقة قيطرية في طهران، عاد إلىٰ قم وأقام حدود الشهرين في منزلنا الذي يقع مقابل

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (ندا)، العدد الأول.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين أحمد الصابري الهمداني.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٢.

منزله لأن منزله كان خاصاً تقريباً بزواره. وكان في إحدىٰ غرف منزلنا تماثيل صغيرة سوداء، وفي الغرفة الأخرىٰ صورة، فقال لي: لا يمكن إقامة الصلاة في منزلكم! قال ذلك لأنّ من المكروه الصلاة في غرفة فيها تماثيل أو صور. اكتفىٰ الإمام بهذا القول فذهبت وهيأت غرفة مناسبة تخلو من ذلك لكي يصلي فيها[١].

العمل بمستحبات الزيارة

كان الإمام يمسح حذاءَهُ بقطعةِ قماش كلما أراد التوجه لزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام أيام إقامته في النجف الأشرف، وتنقل السيدة زوجته أنه كان يمسح حذاءَه باستمرار، كما كان يصلح وضعه ويمشط لحيته أمام مرآة معلقة في ساحة البيت يتطيب قبل الخروج من المنزل، كان ملتزماً بأداء مستحبات الزيارة[٢].

إذهب للصلاة في مكان آخر

عندما وصلنا إلىٰ الحدود برفقه الإمام وهو يهاجر من العراق إلىٰ الكويت، ذهب الإخوة بجوازات السفر إلىٰ المركز الحدودي بهدف الحصول علىٰ تأشيرة الخروج، وفي غضون ذلك أراد الإمام إقامة الصلاة وكنا جالسين في غرفة مدير (الكمرك) الحدودي العراقي فرأىٰ صورة كبيرة لصدام معلقة علىٰ جدار الغرفة، فخرج منها فوراً وقال: «إذهب إلىٰ مكان آخر لإقامة الصلاة»، فخرجنا ورأينا بناية حديثة بنيت كمحل لاستراحة المسافرين فدخلناها وأقمنا صلاة الجماعة بإمامة الإمام[٣].

يعمل بالآداب الشرعية

قال الإمام يوماً: «ارفعوا هذا البساط من هنا»، وكان في البساط

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي (ابنة الإمام).

(٢) السيدة زهراء الإشراقي (حفيدة الإمام)، مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا الناصري، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٥٨.

نقوشٌ بصور حيوانات فأمر برفعه لكي يصلي لأن من المكروه الصلاة في غرفة فيها صور لإنسان أو حيوان، لقد كان يهتم إلىٰ هذه الدرجة برعاية الآداب الشرعية[1].

يقيم النوافل بحضور القلب

كانت للإمام ـ أيام إقامته في قم في بدايات انتصار الثورة ـ لقاءات عامة بأبناء الشعب تستمر كل يوم من الساعة (٨,٥) صباحاً إلىٰ قبيل الظهر، وكان يلقي عدة خطابات مطولة ويصعد عدة مرات السلالم لكي يقف علىٰ سطح المنزل ويشكر جماهير حزب الله علىٰ عواطفهم الجياشة.

ثم كان يدخل قبيل أذان الظهر غرفته لكي يستريح دقائق قليلة كانت آثار التعب المفرط تظهر واضحة علىٰ محياه، وكنت أقول في نفسي: سيسقط الإمام الآن من شدة التعب! لكنني عندما كنت أدخل الغرفة بعيد ذلك أجده قائماً يصلي نافلة الظهر بتوجهٍ قلبي[2]!

أداء النوافل في مساء يوم فاجعة الفيضية

قبل غروب شمس اليوم الذي شهد وقوع تلك الحادثة في المدرسة الفيضية جاءونا ـ وكنا في بيت الإمام ـ بخبرها وبقيام جلاوزة الشاه بضرب طلبة الحوزة في المدرسة وبأنهم يعزمون علىٰ المجيء إلىٰ منزل الإمام، ولذلك قام المرحوم السيد محمد صادق اللواساني وأغلق باب البيت، فلما عرف الإمام بذلك قام فوراً وفتح الباب وهو يقول: «إنهم يضربون أولادي الطلبة وأنا أغلق علىٰ نفسي باب منزلي؟!».

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٢.

(٢) آية الله بني فضل، نقلاً عن آية الله حسن الصانعي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٤٥.

ثم قام الإمام للصلاة وأقام ـ طبق برنامجه المعتاد في الليالي السابقة ـ صلوات النوافل أيضاً رغم أنه كان من المحتمل مهاجمة بيته في كل لحظة[١].

اهتمامه بالنوافل اليومية

كان الإمام ملتزماً ـ علىٰ ما أتذكر وطبق ما سمعته أيضاً من المقربين منه ـ بعدم ترك النوافل اليومية قدر المستطاع إضافة إلىٰ الالتزام بإقامة الفرائض في أول وقتها[٢].

يتفرغ في الجمعات للطاعات

كان الإمام يخلي برنامجه العملي في يوم الجمعة من الأعمال الأخرىٰ لكي يتفرغ للأعمال العبادية المستحبة في يوم الجمعة، لأنّ وقت نوافل نهار الجمعة تبدأُ من الصباح، فيُستحب أداء (١٤) ركعة بصورة تدريجية تبدأ بأداء ست ركعات، كل ركعتين بتسليم بعد طلوع الشمس، ومثلها وسط النهار، ومثلها قبيل الظهر، وركعتين مع صلاة الظهر، وكان الإمام ملتزماً ـ أيام الجمعة ـ بأداء النوافل من الصباح إلىٰ الظهر بصورةٍ متتابعة[٣].

التزامه بالاستعاذة في الفرائض والنوافل

كان الإمام يلتزم بأداء بعض مستحبات الصلاة في صلوات النوافل أيضاً، فمثلاً كان شديد الالتزام بتلاوة الاستعاذة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» بعد تكبيرة الإحرام في الفرائض والنوافل، أو أنه كان ملتزماً

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (حوزة)، العدد: ٤٥.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي مجلة (حوزه)، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) السيدة زهراء المصطفوي.

بتلاوة سورة التوحيد في النوافل مع أنها ليست شرطاً في صحة النوافل وبالإمكان حذفها[1].

يصلي النوافل وهو يسيرُ

عندما كنت ألازم الإمام ـ أحياناً ـ كنتُ أراه يقوم في وقت معين في كل ليلة وبدونِ استثناء لأداء صلاة الليل، فكان يقيمُ نافلة الليل أولاً ثم نافلة الصبح، فقد كان شديد الالتزام بأداء النوافل، كنا نراه ـ عندما ندخل عليه ظهراً ـ يصلي نافلة الظهر وهي ثمان ركعات كل ركعتين بتسليم، وإذا لم يستطع ـ قبل الظهر ـ أداء النوافل واقفاً أقامها عن جلوس، أو أقامها وهو يسيرُ [إلىٰ المسجد] فمن الجائز أداء النوافل أثناء الحركة. كما كان ملتزماً بأداء نافلة صلاة العصر وهي ثمان ركعات أيضاً، فكان يقيمها وهو واقف أيام الصحة، لكنه الآن يصليها وهو يسير[2].

يؤدي النوافل ويراعي حال المأمومين

كان الإمام ملتزماً بأداء صلوات النافلة بعد الفريضة ولم يكن يغير هذا البرنامج، لكنه كان أحياناً يقول للذين يصلون خلفه: «هل أصلي النافلة؟»، أي أنه يستأذنهم في ذلك، وقد سمعت ذلك منه عدة مرات، فقد كان يقول ـ بلهجةِ المستأذن ـ: «أصلي عدة ركعات نافلة»، وكان أحياناً يصلي نافلتي الظهر والعصر ـ اللتين يستحب أداءهما قبل فريضتي الظهر والعصر ـ إلىٰ ما بعد إقامة هاتين الفريضتين وذلك لكي لا يؤخرنا نحن المأتمين به، وللسبَب نفسه كان يؤخر جميع النوافل إلىٰ ما بعد إقامة الفرائض[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي (حفيد الإمام).
(٢) حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ١، ص ١٤٢.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

يجتهد في العبادات الشاقة

عندما كان الإمام يأتي إلىٰ مدرسة المرحوم آية الله البروجردي في النجف لإقامة صلاتي الظهر والعصر جماعة في شهر رمضان المبارك، كان يصلي أولاً ـ وهو صائم ورغم شدة الحر في تلك الأيام في النجف ـ ثمان ركعات نافلة الظهر، ثم يقيمُ فريضة الظهر مع تلاوة الأذان والإقامة وبصورة طويلة نسبياً. ثم يصلي بعد أداء تعقيبات صلاة الظهر ـ ثمان ركعات هن نافلة العصر، ثم يصلي فريضة العصر مع الأذان والإقامة مثل صلاة الظهر، ثم يؤدي تعقيباتها، ثم يخرج من المدرسة.

ولم يكن الالتزام بهذا البرنامج أمراً يسيراً لمن في عمره وخاصةً في حال الصيام وفي الجو الحار للنجف، فحتىٰ الشباب لم يكن يتيسر لهم التوفيق للقيام بذلك، ورغم ذلك كان الإمام يقوم بهذه العبادات بجدٍّ واجتهاد وإقبال قلبي كامل(١).

كنا نستحي من التنفل عن جلوس

كان الإمام يؤدي عن قيام النوافل التي يصليها أكثر المصلين عن جلوس، ولذا كنا نحن ـ الذين تقل أعمارنا عن عمره الشريف بأربعين أو خمسين عاماً ـ نستحي من أداء النوافل عن جلوس في حضوره(٢).

إقامة نوافل المغرب والعشاء قبل الإفطار

كنت أصلي صلاتي الظهر والعصر في شهر رمضان المبارك ـ كسائر الشهور الأخرىٰ ـ جماعة خلف الإمام في مسجد الشيخ الطوسي في سوق النجف، لكنني كنت أصلي صلاتي المغرب والعشاء خلف آية الله السيد عبد

---

(١) آية الله القديري، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بالذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

(٢) آية الله السيد محمد البجنوردي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٢٠٧.

الأعلىٰ السبزواري لأن الإمام كان ملتزماً بأداء نوافل صلاتي المغرب والعشاء حتىٰ في شهر رمضان ورغم كبر سنه وضعفه ورغم أن شهر رمضان كان يصادف أيام الحر الشديد الطويلة في الصيف، في حين كنا نحن الشباب الذين نتمتع بقدرة أكبر علىٰ المقاومة نرغب في أداء صلاتي المغرب والعشاء بأسرعِ ما يمكن وبدون نوافلهما لكي نتناول إفطارنا[١].

يصلي النوافل في جميع الحالات

كان الإمام يتفرغ للصلاة من الساعة (١١,٣٠) إلىٰ الساعة الواحدة ظهراً. وكلما كنت أفتح الباب من أجل طلب الاستخارة منه أو أحمل إليه مقداراً من الماء أو القطع السكرية التي كانوا يأتوني بها من مكتبه لكي أحملها إليه لكي يباركها؛ كنتُ أجده في حال الصلاة، كان دائماً في حال أداء صلوات النوافل، وهو قائمٌ أو وهو واقف أو وهو مضطجع[٢].

تعالي لإيقاظي من القيلولة

استيقظ الإمام يوماً قبيل الظهر من النوم [القيلولة] وقال لي: «لقد تأخرتُ في الاستيقاظ اليوم، فانتبهي أنتِ لحالي وتعالي لإيقاظي في الساعة الحادية عشرة والنصف». فكنتُ أذهب إليه كل يوم في هذه الساعة، وأترك كل عملٍ في يدي من أجل ذلك لكنني كنت أجده يتوضأ في كل مرة قبل أن أصل إلىٰ غرفته!! وعندما كان يلتفتُ إليّ كنت أقول بخجل: أنتم أمرتم يا سيدي بأن آتي لإيقاظكم! فكان يقول: «لقد أحسنتِ الفعل إذْ جئتِ لإيقاظي»[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ٧.
(٢) السيدة ربابة البافقي (خادمة في بيت الإمام) مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.
(٣) المصدر السابق، ونومة القيلولة نومة قصيرة مستحبة قبل الظهر.

لم يترك غسل الجمعة أبداً.

كان الإمام ملتزماً بغسل الجمعة قبل أذان الظهر ولم يتركه أبداً[(١)].

المقابلة بعد القيام بالمستحبات

قال أحد السادة ـ أيام إقامة الإمام في باريس ـ: إن بعض الأمريكان جاؤوا إلى هنا لإجراءِ مقابلة مع الإمام تبث بصورةٍ مباشرة، وهذا الأمر مؤثر للغاية في تبليغ مواقف الثورة وحركتها لأن أجهزة الإعلام الأوروبية ستقتدي بالأمريكان في إجراء مقابلات مماثلة.

كان ذلك في يوم الجمعة، فدخلتُ علىٰ الإمام وأطلعته علىٰ الأمر فقال: «الآن وقت القيام بالمستحبات وليس وقت إجراء المقابلات»! وقد أدىٰ الأعمال المستحبة وبعد إتمامها قال: «أنا مستعدٌ الآن لإجراء المقابلة»[(٢)].

شديد التورع عن المكروهات

كان الإمام يولي اهتماماً للعمل بالمستحبات واجتناب المكروهات، فمثلاً رغم شدة حرارة الجو في صيف النجف، كان الإمام يصعد إلىٰ غرفة الطابق العلوي من المنزل لكي يأتي بغطاء الرأس (الكلاة) ويضعه علىٰ رأسه قبل أن يذهب إلىٰ بيت الخلاء، ثم عرفت فيما بعد أنه يقوم بذلك لأن دخول بيت الخلاء برأسٍ حاسر مكروه شرعاً، فكان يصعد عشرين أو ثلاثين درجة من أجل اجتناب إرتكاب هذا العمل المكروه[(٣)].

---

(١) الدكتور محمود البروجردي (صهر الإمام)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٣.

(٢) السيدة مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٤.

(٣) السيدة فاطمة الطباطبائي، ملحق صحيفة إطلاعات الخاص بالذكرىٰ السنوية الأولىٰ لوفاة الإمام.

الاهتمام بتعقيبات الصلاة

زرت الإمام قبل وفاته بشهرين أو ثلاثة، فدخلنا غرفته التي يستريح فيها ويتعبد، فوجدناه لا زال يصلي رغم أن الساعة قد أشارت إلىٰ الواحدة بعد الظهر، فسألت السيد أحمد مستغرباً عن تأخر صلاة الإمام إلىٰ هذا الوقت مع حرصه علىٰ إقامة الصلاة في أول وقتها، فأجابني: إنه يقوم بمستحبات الصلاة[1].

يتلو الدعاء قبل كل لقمة

كنتُ أحمل طعام العشاء للإمام، فأضعه في غرفته ثم أخرج لكنني كنت أنظر أحياناً من خارج الغرفة إلىٰ الطعام خشيةً من أن أكون قد نسيت شيئاً لم أحمله له من طعامه، فكنت أراه وهو يتناول الطعام، فكان يأخذ اللقمة بيده ولا يتناولها إلا بعد أن يتلو الدعاء، ثم يتناولها ويأخذ لقمةً أخرىٰ[2].

يذكر الله أثناء المشي

لم يكن الإمام يغفل عن الأذكار والنوافل والمستحبات في أي حالٍ، فكان يمسك بالمسبحة ويتلو الأذكار والزيارات حتىٰ أثناء المشي[3].

ويعمل بآداب النوم

كان الإمام يطفىء المصباح قبل أن ينام ويتلو الأذكار الواردة قبل النوم يبدأها بالبسملة[4].

---

(١) الفريق حرس الثورة محسن الرضائي. مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٢٦١.
(٢) السيدة ربابة البافقي، صحيفة كيهان (١٨/ ١٣٦٨/٤ هـ.ش).
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٤٨.
(٤) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

يختار الأفضل من المستحبات ويداوم عليه

لم يقتصر التزام الإمام في شؤونه الحياتية علىٰ العمل بالواجبات واجتناب المحرمات بل اشتمل علىٰ العمل بالمستحبات أيضاً، والأهم أنه كان يختار من بين المناجات والمستحبات الأحسن والأصلح ويلتزم بالعمل به. فمثلاً كان ملتزماً باستخدام عبارة «بسم الله» لإعطاء الإذن بالدخول عليه أو للقيام بعمل آخر بعد الاستئذان لذلك بدق الباب أو غير ذلك وكان هذا العمل يتكرر بكثرة، والإمام يأذن باستخدام هذه العبارة المباركة بدلاً من كلمة «تفضلوا» المألوفة، وفي هذا الاستخدام استعارة لطيفة تشتمل علىٰ ذكر الله من جهة ومن جهة أخرىٰ علىٰ التذكير بأن يقترن اللقاء بالإمام أو العمل باسم الله تبارك وتعالىٰ[1].

الصلاة علىٰ النبي وآله (ع) كلما ذكروا

كان زوار الإمام يتوافدون تدريجياً علىٰ حسينية جمران وعلىٰ مدىٰ ما يقارب الساعتين في أيام اللقاءات العامة، وكانت أصواتهم ترتفع بالصلاة علىٰ محمد وآله ـ صلوات الله عليهم ـ بين الحين والآخر وتطرق سمع الإمام في غرفته فكان في كل مرة يسمعها يصلي علىٰ النبي وآله، وقد دققت في ملاحظة ذلك فلم أرَهُ ولا مرةً واحدة يسمع تلك الأصوات دون أن يصلي علىٰ النبي وآله ـ صلوات الله عليهم ـ[2].

يصلي ركعتي التحية في كل مسجد يدخله

كان الإمام شديد الالتزام بأداء الشعائر والآداب الدينية، فمثلاً ورد في آداب المسجد استحباب أن يصلي مَن يدخل المسجد ركعتين تعرفان

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٤.

بصلاة تحية المسجد، وقد انتبهت بدقةٍ إلىٰ عملِ الإمام بهذا الاستحباب فوجدته يصلي أولاً ركعتي التحية في كل مسجدٍ يدخله. كان يشارك في صلا الجماعة في مسجد يُعرف بمسجد «كذرقلعه» مأموماً إذا كان السيد الخوانساري حاضراً وإماماً للجماعة في حال غيابه، وكلما دققت في عمل الإمام عند دخوله المسجد وجدت يصلي ركعتين تحية المسجد إضافة إلىٰ النوافل الأخرىٰ[1].

اختار الطريق الأطول تجنباً للمكروه

في أيامِ حضورنا دروس الإمام في قم في عهد مرجعية آية الله السيد البروجردي ـ رحمه الله ـ جاء أحد أصدقاء الإمام من كربلاء، فأعرب الإمام عن رغبته في زيارته، وكان ابن هذا السيد من زملائي في الدراسة فأخذ لنا وقتاً من والده لزيارته. وقد صادف موعد الزيارة هطول الأمطار وكانت الأزقة مغطاة بالطين فلم يكن وضع قم في تلك السنين (٣٦ ـ ١٣٣٧ هـ.ش/ ٥٧ ـ ١٩٥٨م) كوضعها اليوم، فالتنقل يومها كان بالعربات التي تجرها الخيول، وقد ذهبنا بإحدىٰ هذه العربات إلىٰ رأس الزقاق الرئيسي الذي يقع فيه منزل السيد المذكور، وكان ابنه يعرف الأزقة الفرعية الموصلة للمنزل جيداً لذلك اختار طريقاً مختصراً لكي يجنب الإمام المزيد من المشقة بالسير في تلك الأزقة المغطاة بالطين، فسار بنا عبر مسجد كانت له بابان تقع الباب الثانية علىٰ زقاق فرعي قريب جداً من بيت والده، فدخلنا من الباب مروراً بساحة المسجد وخرج بنا من الباب الثانية إلىٰ منزل والده.

وبعد انتهاء الزيارة خرجنا للعودة ولما وصلنا إلىٰ باب المسجد ولما

---

(١) آية الله عباس الإيزدي النجف آبادي. كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٢، ص ٢٩٢.

أردنا الدخول إليه عبرها والخروج من الباب الأولىٰ لاختصار الطريق رعايةً لحال الإمام رفض الإمام ذلك وقال: «لا ينبغي اتخاذ المسجد طريقاً، نذهب عبر الزقاق الطويل»، قلنا: إن الزقاق مليء بالطين والسير فيه يؤذيك، فقال: «لا بأس بذلك»، وسار في طريقه دون أن يلتفت إلينا فاضطررنا لمتابعته.

لقد ترك هذا الموقف العملي عبرة لا تنسىٰ في دهني تكشف شدة اهتمام الإمام باجتناب أي عملٍ مكروه شرعاً[1].

لا أقرأ الآن هذا الشعر

كان الإمام يجتنب المكروهات، فمثلاً كان إذا أراد أن يستشهد ولو بشطرِ بيت من الشعر أثناء كلامه في ليلة الجمعة، اجتنب ذلك وقال: «لا أقرأ الآن هذا الشعر»! وذلك لأن إنشاد الشعر مكروه ليلة الجمعة[2].

المبادرة إلىٰ إفشاء السلام

أستطيع القول بكل جرأة أنني لم ألتقِ الإمام ولا مرةً واحدة في الطريق وقد سبقته في السلام! كنت أحتمل إذا كانت الفاصلة بيننا (١٠ ـ ١٥) متراً أنني لو سلمت عليه فلن يسمع سلامي لذلك كنت أقول لنفسي: سأبادره بالسلام عندما أقترب منه، لكنه كان يبتدأني بالسلام عندما اقترب وقبل أن أهم بالسلام عليه[3].

عجزتُ عن أن أسبقه بالسلام

طوال المدة التي كنتُ ألازم فيها الإمام؛ لم أستطع أن أسبقه

(١) آية الله محمد اليزدي، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٩.
(٢) السيدة فريدة المصطفوي (ابنة الإمام).
(٣) حجة الإسلام والمسلمين مرتضىٰ الصادقي الطهراني.

بالسلام ولا لمرة واحدة، لأنه كان سباقاً في البدء بالسلام[١].

يجتنب الضحك بقهقهة

نادراً ما كان الإمام يضحك، وكان يبتسم بدلاً من ذلك دائماً لأن الضحك مع القهقهة مكروه شرعاً[٢].

وينهىٰ عن المكروهات

كان الإمام ينهانا عنْ المكروهات، فمثلاً إذا ضحكنا بصوتٍ عالٍ قال: «لا تضحكوا بهذه الصورة، فالضحك بصوت عالٍ مكروه شرعاً»[٣].

التزامه بأعمال الشهور والأيام

دخلت علىٰ الإمام في أحد الأيام الأخيرة من سنة ٦٧ هـ.ش، [١٩٨٩م] وهو في غرفته فلاحظته في أذىً، ولذلك جلستُ عنده ساكتاً. ثم قال لي: «أعطني كتاب المفاتيح»، فقمت وجئته بالكتاب، فأخذ يقلب أوراقه رغم صعوبة ذلك عليه، واستمر في ذلك وهو غير مرتاح دون أن يعثر علىٰ ما يريدُهُ، وكانت قد بقيت ساعة لغروب الشمس، فقال لي: «كنت أتصور إلىٰ الآن أن اليوم هو اليوم الأخير من شهر رجب، ولذلك كنت أقوم إلىٰ الآن بأعمال شهر رجبا، وقد عرفت قبل قليل أن اليوم هو اليوم الأول من شهر شعبان ولا أدري ما الذي ينبغي أن أفعله»!

وهنا عرفت سر آذاه، فقد كان يؤدي من الصباح إلىٰ الآن أعمال

---

(١) آية الله السيد عز الدين الزنجاني.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين القرهي، مجلة (إطلاعات هفتكي)، العدد: ٢٤٤٢.
(٣) السيدة فاطمة الطباطبائي مجلة (زن روز)، العدد: ١٢٦٧.

وأدعية شهر رجب، وعندما جاءت الصحف الآن انتبه إلىٰ أن اليوم هو اليوم الأول من شهر شعبان وأن شهر رجب كان (٢٩) يوماً وليس (٣٠) يوماً. لقد استمر يقلب أوراق كتاب مفاتيح الجنان إلىٰ أن عثر علىٰ ما يريد، ثم قال لي: «اقرأوا هذه المناجاة الشعبانية، ففيها الكثير من المطالب العالية». ثم استعد لتلاوة الدعاء[١].

يتلو دعاء كميل وسط الضجيج

كان الإمام شديد الاجتهاد في العمل بالمستحبات وتلاوة الأدعية الخاصة بكل شهر في أوقاتها. دخلت عليه مرةً وكانت السيدة [زوجته] قد عادت من سفرٍ لها قريباً، ولذلك لم ير من المناسب أن يطلب منا التزام الصمت لكي يتلو دعاء كميل، وقد اجتمعنا حول السيدة نحادثها، وقد لاحظت أن الإمام قد وضع كتاب الدعاء أمامه وهو يتلو دعاء كميل وسط الضجيج دون أن يلتفت لما يجري حولَهُ أو يترك الدعاء بسببه[٢].

اهتمامه بصلاة أول الشهر

كنتُ يوماً في خدمةِ الإمام فقال لي: «اخرج إلىٰ الشرفة ودقق النظر ولاحظ هل ترى الهلال». وكانت رؤية هلال الشهر في جمران صعبة بسبب كثر الأشجار العالية في المنطقة، فخرجت ودققت النظر في الأفق لكنني لم أستطع رؤية الهلال، فرجعت إلىٰ الإمام الذي سألني فور دخولي: «هل رأيت الهلال؟»، فأجبت بالنفي، وكان السيد ـ علىٰ ما بدىٰ لي ـ يُريدُ أداء صلاة أول الشهر فقد كان شديد الالتزام بأداء مثل هذه الأعمال المستحبة[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

يأمر بالاستهلال

قال لي الإمام في الليلة الأولىٰ لشهر شعبان: «اذهب إلىٰ المكتب وقُلْ للسيد الأنصاري أن يبعث عدداً من الأشخاص إلى نقطةٍ مرتفعة بهدف رؤية الهلال، واسعَ أنت أيضاً لرؤيته». فذهبت وكانت السماء صافية وقد شوهد الهلال بيسر فعدت للإمام لإخباره بذلك فرأيته واقفاً في الشرفة، ولما أخبرته قال: «أجل لقد رأيته أنا أيضاً»[١].

اجتهدوا في المستحبات من أجله

لقد تعامل الإمام مع قضية استشهاد السيد مصطفىٰ بهدوء وسكينة، فعندما نقلنا له هذا الخبر المؤلم حرك إصبعه بهدوء وقال ثلاث مرات: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، ثم اكتفىٰ بأن قال بعد الاسترجاع: «اجتهدوا في القيام بالأعمال المستحبة من أجله»[٢].

السياسة لم تبعده عن العبادة

في الرسالة الأولىٰ التي بعثها بعد نفيه إلىٰ تركيا؛ طلب الإمام إرسال كتابي مفاتيح الجنان والصحيفة السجادية له الأمر الذي يكشف عن قوة روحه التعبدية السامية، فقد كان يجتنب أن يغفله الاهتمام بالقضايا السياسية والاجتماعية عن العبادة ويوقعه في الانحسار في بعد واحد[٣].

شديد الحب لمناجاة الله

من الأمور التي كان يؤكد عليها كثيراً في دروسه الأخلاقية هو

---

(١) السيد رحيم ميريان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٧٠.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين حميد الروحاني، صحيفة جمهوري إسلامي، (٢٦/٤/١٣٦٨ هـ.ش).

ترغيب الطلبة في الالتزام بتلاوة الأدعية والزيارات، وكان هو شديد الحب لمناجاة الله، ولعل من الممكن القول بأنه قرأ جميع أدعية كتاب مفاتيح الجنان(١).

يقضي أوقاته في تركيا بالصلاة والدعاء والزيارة

سألت السيد الشهيد مصطفىٰ الخميني ـ رحمه الله ـ عما يفعله والده الإمام في تركيا ـ وكان ذلك أيام نفيه فيها ـ فأجاب: إن الإمام يقرأُ جميع أدعية كتاب مفاتيح الجنان ويقضي أوقاته بالصلاة والدعاء وزيارة المعصومين عليهم السلام لا سيما تلاوة زيارة عاشوراء(٢).

يذكر الله أثناء رياضة المشي العلاجية

شاهدنا الإمام مراراً وهو يتلو الأذكار العبادية ويستعين بالمسبحة في عدها، وذلك أثناء قيامه عصراً بممارسة رياضة المشي الضرورية لحفظ سلامته؛ وكانت هذه الرياضة جزءً ثابتاً في برنامجه اليومي يقوم بها بمعدل (٤٠ ـ ٦٠) دقيقة كل يوم، وكان يقوم أثناء ممارسته لها، بسماع الأخبار من الإذاعة حيناً، وحيناً يقرأ الصحف، ثم منعه الأطباء من القراءة أثناء المشي فكان يكتفي بذكر الله تبارك وتعالىٰ(٣).

يذكر الله ويجيب علىٰ الأسئلة

كنتُ أزور الإمامَ مرةً كل شهر أيام إقامته في منطقةِ «دربند» في طهران، وقد جئتُ لزيارته مرةً فقالوا لي: لا توجد في برنامجه لقاءات هذا اليوم، لكن السيد أحمد لاحظ أنني قد جئتُ لزيارته من أصفهان

---

(١) آية الله الإمامي الكاشاني.
(٢) آية الله الإمامي الكاشاني.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، صحيفة رسالت (٩/٣/١٣٧٢ هـ.ش).

ولذلك دخل عليه وأخبره بقدومي، فوافق على استقبالي رغم أنه كان في حالةِ العبادة وذكر الله، دخلت عليه وسلمت فردَّ السلام، لاحظت أن سجادة الصلاة مفروشة، وهو يتمشى في الغرفة ويتلو الأذكار أثناء ذلك، فأخذت أعرضُ عليه أسئلتي باختصار وكان يجيبني بالإشارة ـ باليد ـ تارة وأخرى بعبارات مختصرة مثل: نعم، أو كلا[1].

أذكار خاصة قبل أوقات الصلاة

عندما كان الإمام مقيماً في النجف، كان ملتزماً بأخذ المسبحة بيده قبل نصف ساعة من أذان الظهر، وكذلك قبل نصف ساعة من أذان المغرب، فيتوجه إلى ساحة منزله الصغيرة لكي يمشي فيها بسرعة وهو يتلو ذكراً معيناً لم أعرف ما هو لأنه كان يتلوه بصوتٍ خافت وقد خجلت من أن أسأله عنه[2].

أوقات مخصصة للأدعية

في الأوقات التي خصصها الإمام لتلاوة الأدعية مثل دعاء كميل. كان يُقبل على تلاوة دعائِهِ دون أن يلتفت إلى من جاء إليه وأي ضيف حلَّ في المنزل وهل يوجد في غرفته أحد، غاية الأمر أنه كان يقول لنا إذا كنا في غرفته: «تأذنون لي بتلاوة الدعاء؟» فكنا نقول: تفضلوا رجاءً بتلاوته يا سيدي ونحن نصغي ونستفيد[3].

عمق روح التعبد التسليمي في الإمام

لم تكن بعض صفات الإمام واضحة للجميع، لكن بعضها الآخر كان بإمكان أي شخصٍ أن يتعرف عليه، ومن هذا النوع شدة التزامه بالعبادات

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد كمال فقيه الإيماني.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الناصري.
(٣) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (شاهد بانوان)، العدد: ١٤٩.

والمستحبات، وقد كان السيد مصطفىٰ يقول: رغم أن الإمام مجتهدٌ وعالم ثوري، إلا أنه يشبه العجائز في الالتزام التعبدي بالأمور العبادية فلا يبدي رأياً اجتهادياً تجاهها، وكان ملتزماً بأداء الأعمال المستحبة[١].

وصيته بالاجتهاد في العبادة أيام الشباب

زرتُ الإمام في اليوم الأول من شهر شعبان سنة ٦٧ ١٣ هـ.ش، [١٩٨٩م]، فوجدت كتاب مفاتيح الجنان في يده وهو يستعد لتلاوة الأدعية الخاصة بشهر شعبان، وعندما أردت تقبيل يده للاستئذان للخروج قال لي: «قمْ بما تريد القيام به وأنت شاب، فإذا بلغت سن الشيخوخة فإن ما ستقدر علىٰ القيام به هو النوم والأنين»[٢].

الالتزام بالأدعية والأذكار علىٰ وفق المأمور به

كان الإمام ملتزماً بتلاوة الأدعية والأذكار طبق العدد المذكور في كتاب مفاتيح الجنان، وقد رأيته مراراً وهو ممسكٌ بكتاب المفاتيح بيد وبالمسبحة باليد الأخرىٰ وهو يردد الأذكار طبق العدد المذكور في الكتاب[٣].

كثير الأنس بكتاب مفاتيح الجنان

كان الإمام شديد الأنس بكتاب مفاتيح الجنان كثير الاستفادة منه، ولذلك كان جلد نسخته من هذا الكتاب يَتمزق مرة كل بضعة أشهر، فكنا نضطر لتجليدها أو شراء نسخة أخرىٰ له[٤].

---

(١) آية الله عباس خاتم اليزدي.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.
(٤) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

الفصل الخامس:

قيامه في الليل وتهجده في الأسحار

المواظبة على صلاة الليل

كان الإلتزام والاهتمام بصلاة الجماعة ونافلة الليل من المعالم المهمة لمرحلة دراسة الإمام للعلوم الدينية[1].

كان مجتهداً في إقامتها مُنذ شبابه

لم يترك الإمام صلاة الليل طوال المدة التي كنتُ ملازماً لخدمته، وينقل السادة الذين كانوا ملازمين له قبلي من زملائِهِ في الدراسة أو الذين كانوا يشاركونه الإقامة في غرفةٍ واحدةٍ في المدارس الدينية، ينقلون أنه كان مجتهداً في إقامة صلاة الليل مُنذ أيام شبابه الأولىٰ عندما كان منهمكاً بدراسة العلوم الدينية[2].

السيد روح الله من المتهجدين

كان اهتمام الإمام بالتهجد والعبادة أمراً مشهوراً بين أهل العلم

(١) آية الله السيد صادق اللواساني، صحيفة كيهان (١٦/١/١٣٥٩ هـ.ش).
(٢) آية الله غلام رضا الرضواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٣٠.

سواء من فضلاء الحوزة أو من طلبتها الجدد، وكان الجميع يقولون: إن السيد روح الله الخميني من المتهجدين المتعبدين[1].

يجتنب أن يشعر به أحدٌ وهو يقوم الليل

يقول أحد أرحام الإمام الذي كان معه مُنذ أن كان عمر الإمام (١٥) عاماً: كنا معاً في خمين وعمر الإمام (١٥) عاماً، وكان الإمام يستعين بمصباح زيتي صغير للذهاب إلىٰ الطرف الآخر من المنزل لكي يقيم صلاة اللّيل دون أن يوقظ أحداً.

وتقول السيدة زوجة الإمام: لم يحدث إلىٰ الآن، ولا لمرة واحدة أن أستيقظ أحد من النوم بسبب قيام السيد لصلاة الليل، لأنه لم يكن يوقد أي مصباح أثناء قيامه، لا مصباح الغرفة ولا مصباح الممر ولا حتىٰ مصباح محل الوضوء، بل كان يضع قطعةً من الإسفنج تحت صنبور الماء لكي لا يوقظ صوت صب الماء أحداً وهو يتوضأ لصلاة الليل[2].

يقيم صلاة الليل في ساعةٍ ثابتة

قال أحد أصدقاء والدي ـ رحمه الله ـ وكان مقارباً له في العمر: كنا نقيم أيام الشباب مع الإمام في مكان واحد، وكان السيد الخميني يومها في مقتبل الشباب، وكنت أستغرب من أنه كان يستيقظ ـ ورغم صغر سنه ـ في ساعة معينة ثابتة قبل آذان الفجر من أجل إقامة صلاة الليل، وكنتُ أنا أيضاً ملتزماً بصلاة الليل لكن استيقاظي لإقامتها كان بسبب استيقاظه هو لإقامتها[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين أحمد الصابري الهمداني، المصدر السابق، ص ٢٧١.

(٢) السيدة نعيمة الإشراقي (حفيدة الإمام)، مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين علي أكبر المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ١٥٣.

يخلو في بستانٍ لصلاة الليل

قبل انتفاضة (١٥) خرداد ١٣٤٢ هـ.ش، ٥ حزيران [١٩٦٣م]، كان الإمام يخرج في بعض الأسحار إلىٰ بستان يقع بالقرب من منزله ويقيم صلاة الليل فيه، وقد مررت ليلةً قبل أذان الفجر علىٰ هذا البستان فسمعتُ صوت بكاء وتضرع شخصٍ فاقتربت من المحل فوجدت رجلاً ساجداً وهو يناجي الله بتضرع وبكاء ثم لاحظت الدموع تغطي طرفي وجهه، منعني الحياء من التقدم أكثر، فوقفت إلىٰ جوار البستان منتظراً خروج هذا السيد لكي أتعرف علىٰ هويته، وبعد انتهاء صلاته قام وخرج فلما أمعنت النظر عرفتُ أنه السيد الخميني[١].

يتهجد لله بحضور قلب لا يُوصف

هطلت الثلوج بغزارة علىٰ قم في إحدى السنين وبلغ ارتفاعها حدود خمسة إلىٰ ستة أذرع، وقد أدىٰ ذوبانها إلىٰ حدوث سيل خرّب نصف المدينة، في تلك السنة وفي ظل هذه الأوضاع الجوية الصعبة كان السيد الخميني يخرج من مدرسة دار الشفاء ويدخل المدرسة الفيضية ويكسر بكل صعوبة الثلج المتجمد أعلى حوض الماء فيها لكي يتوضأ منه، ثم كان يذهب بعد إسباغ الوضوء إلىٰ محل التدريس في المدرسة حيث يكون الظلام مخيماً فيه ويعمد إلىٰ التهجد والعبادة في حالةٍ خاصة من الإقبال والتوجه لا أستطيع وصفها. ويبقىٰ علىٰ هذه الحالة الطيبة إلىٰ أول أذان الفجر وعندها يتوجه إلىٰ مسجد «بالاسر» ويقيم صلاة الفجر جماعة خلف الشيخ الميرزا جواد الملكي، ثم يرجع إلىٰ المدرسة لمتابعة مباحثاته العملية.

أستطيع القول أنه قلَّ نظيره في العبادة والتهجد من بين زملائِهِ إنْ لم أقل أنه لا نظير له في ذلك[٢]!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٢.

(٢) آية الله الخوانساري، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

يتورع عما يحرمه من قيام الليل

سمعت أحد الأصدقاء القدماء يقول: امتاز الإمام عن جميع أقرانه بخصلتين: الأولىٰ أنه لم يكن يشترك في المجالس التي تُرتكب فيها الغيبة بل كان ينهىٰ عن الغيبة بكل حزم؛ والثانية شدة التزامه بصلاة الليل[١].

لم يترك أبداً صلاة الليل

يتفق الجميع علىٰ أن الإمام لم يترك صلاة الليل مُنذ أيام المدرسة[٢].

وحتىٰ في طريق السفر

رافقنا الإمام في أسفار عدة أيام شبابنا، والله يعلم بعمق الروح الأبوية العطوفة التي كان يعاملنا بها ونحن نرافقه في تلك الزيارة إلىٰ مشهد، لا زلت أشعر بالخجل كلما تذكرت الأيام التي حالفنا فيها توفيق مرافقته في تلك الزيارة. في تلك الأيام كانت العساكر الأميركية والإنجليزية والروسية تحتلُ أجزاءً من إيران، لذلك فعندما رجعنا من مدينة مشهد أوقف الروس السيارة بهدف تفتيشها، فنزلنا جميعاً، ثم توجه الإمام لإقامةِ نافلة الليل التي لم يتركها أبداً منذ بلوغه سن التكليف الشرعي[٣].

علىٰ مدىٰ سبعين عاماً

قضية إقامة الإمام لصلاة الليل متواترة، لقد التزم بها علىٰ مدىٰ سبعين عاماً[٤].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٣.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٦٠.
(٣) آية الله الشهيد الصدوقي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج ٤.
(٤) آية الله الفاضل اللنكراني.

لم تغفله أيام العرس عن التهجد في الأسحار

قال السيد الحاج مصطفىٰ الخميني ـ رحمه الله ـ: من المألوف أن الإنسان يبتعد بعض الشيء عن برامجه الحياتية العادية من القراءة والدراسة وأمثالهما في الأيام الأولىٰ لزواجه، أما الإمام فقد استمر بعد زواجه علىٰ برنامجه المعتاد، فكان يتناول طعام عشاءِه بعد عودته من صلاة الجماعة ثم ينام مبكراً لكي يستيقظ آخر الليل لإقامة نافلة الليل والتهجد[١].

يتحرىٰ الإخلاص لله في قيام الليل

كان الإمام ينزلُ أيام زيارته لكربلاء في بيتٍ وضعه تحت تصرفه أحد الإيرانيين المقيمين في الكويت، وكان ينزل فيه أيضاً عددٌ من الطلبة، فكان الإمام يقوم في الأسحار لصلاة الليل بطريقةٍ هادئةٍ للغاية بحيث لا يوقظ أياً منهم حتىٰ في أيام الصيف عندما كانوا ينامون في ساحة البيت.

لقد كنت ملازماً لخدمته عدة سنوات دون أن أشعر به أثناء قيامِهِ لصلاة الليل لكنني كنتُ علىٰ يقين أنه يقوم لأدائها بصورة خفية لا يُشعر بذلك أحداً، فقد كنت أستيقظ أحياناً أثناء قيامه لصلاة الليل فأراه يتحرىٰ الهدوء الكامل في تحركه لكي لا يوقظ أحداً[٢].

التهجد الليلي في باريس

أتذكر أنه كانت توجد في محل إقامة الإمام في باريس غرفتان صغيرتان كنتُ أنام في إحداهما، وفي السحر كنت أرىٰ الإمام يقومُ بغاية

(١) آية الله الشهيد المحلاتي، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ١٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي القرهي.

الهدوء دون إحداث أي صوت ويمشي مثل الظل حقاً ثم يتوضأ ويقيم نافلة الليل التي كان ملتزماً بها وهو في باريس أيضاً، يقول بعض أفراد عائلته والمقربين منه: سعينا لمعرفة الوقت الذي يقوم فيه الإمام لصلاة الليل هنا ـ في باريس ـ لكننا لم نستطع ذلك لأنه كان يقيمها بهدوء دون أن يشعر بذلك أحداً[١].

يتوجه بإقبال علىٰ العبادة والمناجاة

قال المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي: امتدت صداقتي للإمام أربعين سنة وقد بتنا معاً الكثير من الليالي فلم أره يترك صلاة الليل أبداً، كان يستيقظ دائماً قبل الفجر ويتوجه بإقبالٍ علىٰ العبادة والمناجاة[٢].

شديد التضرع والبكاء في تهجده

كان الإمام ذاكراً لله تعالىٰ في كل عملٍ وعلىٰ كل حالٍ، ولم يَنقطع أبداً عن الذكر والدعاء والبكاء والمناجاة والتضرع لله تعالىٰ في الأسحار، لقد صُورت لحظات من أيامه الأخيرة ولكنها لم تعرض عبر التلفاز بالكامل، ولو عُرضت هذه الأفلام المصورة بالكامل لرأيتم كيف كان يمسك بلحيته المباركة وهو يبكي بحرقةٍ أثناء مناجاته لله تعالىٰ[٣].

يتهجد بنشاط في أصعب الأزمات

أُشيع في قم بعد ليلتين من وقوع فاجعة المدرسة الفيضية أن قوات

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ١، ص ١٤٢.

(٢) آية الله عباس خاتم اليزدي، ملحق خاص لصحيفة سلام بمناسبة الذكرىٰ السنوية الرابعة لوفاة الإمام.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا التوسلي.

الشاه الخاصة قد تحركت من طهران باتجاه قم بهدف مهاجمة بيت الإمام في قم واغتياله، وقد روج الحكم الملكي هذه الإشاعة بنفسه بهدف بث الرعب في أوساط الأهالي، وقد ألحّ العشرات علىٰ الإمام أن يغيّر مكانه في تلك الليلة، وقد سمعتُ أن المرحوم الشيخ القدوسي أرسل زوجته إلىٰ بيت الإمام لكي تنقل له هذا الطلب، نقل الشيخ الإشراقي ـ رحمه الله ـ أن الإمام قال حينئذ: «اذهبوا جميعاً هذه الليلة فلا أحب أن يُصاب أيٌ منكم بأذىً من أجلي».

وأضاف الشيخ الإشراقي: لم يبق معه أحد سواي والشيخ القرهي، ولم أنم أنا إلىٰ الصباح، أما الإمام فقد نام بدون أي قلقٍ ثم استيقظ في موعده المعتاد لصلاة الليل وأقبل بنشاطٍ علىٰ العبادة[١].

يقيم نافلة الليل ليلة اعتقاله وهو في السيارة

لم يترك الإمام صلاة الليل حتىٰ في الليلة التي اعتقلوه فيها فقد أقامها وهو في السيارة التي نقلوه بها من قم إلىٰ طهران، وقد قال لي أحد الشرطة الذين رافقوا الإمام ولعل اسمه الرائد «عصار»: لقد أثرت فينا صلاة الإمام بقوةٍ جعلت أحدنا يجهش بالبكاء بصورةٍ متصلةٍ إلىٰ أن وصلنا إلىٰ طهران[٢]!

قام بعد نومة قصيرة للتهجد رغم التعب

في الساعة العاشرة من مساء يوم ١٦/١/١٣٤٣ هـ.ش، [٥/٤/١٩٦٤م] رجع الإمام إلىٰ قم [بعد إطلاق سراحه]، وقد استمر تدفق الأهالي علىٰ منزله لزيارته إلىٰ الساعة الثانية عشرة والنصف إذْ أقنعوهم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٦.

بالتفرق بعد طول سعي، وقد نقل الذين باتوا في منزله في تلك الليلة أنه لم ينم سوىٰ ساعتين استيقظ بعدهما للتهجد[1].

لم يمت أحد، إنه بكاء السيد في تضرعه!

روىٰ أحد علماء طهران ـ وكان ذلك قبل سنة ١٣٤١ هـ.ش، [١٩٦٢م]: حللتُ ضيفاً علىٰ المرحوم السيد مصطفىٰ في إحدىٰ الليالي، وقد قضينا شطراً طويلاً من الليل في البحث والأحاديث العلمية، ثم نمنا ولكن بعد فترة قصيرة من نومنا استيقظت علىٰ صوت بكاء ونحيب، فأيقظت السيد مصطفىٰ وقلت: يبدو أن أحد جيرانكم قد توفي وأهله يبكون لأجله، فأصغىٰ السيد مصطفىٰ للصوت ثم قال: كلا، إنه صوت بكاء سماحة السيد (وكان السيد مصطفىٰ يذكر الإمام بهذا الوصف)؛ فهذا وقت إقامته لصلاة الليل والتهجد والتضرع لله[2].

يتململ في تهجده تململ الحزين

حدثني يوماً الشيخ المسعودي ـ الذي كان يسكنُ منزلاً مجاوراً لمنزل الإمام ـ قال: سمعت في إحدىٰ الليالي صوت بكاءٍ حزينٍ للغاية، فقلت: لعله صوت رجل مبتلىً بأزمةٍ شديدة، فخرجت من المنزل متتبعاً الصوت ووصلت إلىٰ خلف منزل الإمام فوجدت شيئاً وكأنه عباءة مفروشة علىٰ الأرض، ثم لاحظت أن الصوت يأتي من جهة العباءة، ثم عرفت أنه الإمام يتضرع ويبكي وهو يناجي ربه[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ١.

(٢) آية الله بني فضل، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام الخميني.

(٣) آية الله الحائري الشيرازي، مجلة (جهاد)، العدد: ٣٥.

يتهجد في الأسحار رغم المرض

قبل أن أتشرف بزيارةِ النجف التقيت ـ في قم ـ شخصاً كان قد زار النجف والتقىٰ الإمام فحدثني قائلاً: عندما ذهبنا إلىٰ النجف كنا نتردد علىٰ منزل الإمام بكثرة، وكانت من الفقرات الثابتة في برنامجه اليومي أنه كان يجلس في قسم «البراني» من بيته بعد ساعتين ونصف من غروب الشمس لكي يستقبل مَن يرغب في لقائِهِ أو في زيارتِهِ لحاجات شتىٰ، ثم يقوم متوجهاً لزيارةِ حرم أمير المؤمنين عليه السلام بعد ثلاث ساعات بالضبط من غروب الشمس، وكان ملتزماً بذلك لا يتخلف عنه إلا أن تقع حادثة طارئة.

وفي إحدىٰ الليالي لم يستطع الإمام التشرف بزيارةِ الحرم العلوي لمرضٍ أصابه، وكانت درجة حرارته عالية جداً، فذهبوا لاستدعاء طبيب لمعالجته لكنهم لم يعثروا علىٰ طبيبٍ إلا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل فرجوه أن يرافقهم في الذهاب إلىٰ الإمام لفحصه.

ولما دخلنا بيت الإمام برفقةِ الطبيب كنا نتوقع أن نجده نائماً بسبب مرضه لكننا عندما دخلنا غرفته بعد دق الباب للإستئذان رأيناه جالساً علىٰ سجادة الصلاة وهو يؤدي نافلة الليل رغم الحُمىٰ التي أصابته!!

صبرنا بانتظار إتمامه الصلاة، وبعد أن أتمها فحصه الطبيب فوجد أن درجة حرارته قد بلغت (٤٢) درجة ومثل هذه الحمىٰ كفيلة بإضعاف حتىٰ الأقوياء والشباب وجعلهم عاجزين عن الوقوف علىٰ أقدامهم وأداء صلاتهم الواجبة فضلاً عن النوافل! لكن الإمام ـ رغم ذلك ـ قام ببرنامجه العبادي المعتاد، وذلك ببركة عمق حبه لله تعالىٰ ورسوخ روح التعبد له عز وجل في قلبه[١].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي.

يقيمُ نافلة الليل علىٰ كل حال

أتذكرُ أن الإمام أُصيب بآلام حادة في الظهر مرتين أو ثلاث عندما كان في قم كانت تجعله يبقىٰ عاجزاً عن التحرك سبعة أو ثمانية أيام، وقد أُصيب بذلك مرة أخرىٰ في النجف استمرت (٢٥) يوماً فاضطروا إلىٰ استدعاء طبيب كويتي من بغداد لمعالجته، ولكنه رغم ذلك لم يترك لا في قم ولا في النجف إقامة صلاة الليل في تلك الأزمات الصحية الحادة، ومعلوم أن من الممكن إقامة نافلة الليل عن جلوس بل وعن اضطجاع أيضاً، وعلىٰ أي حال فإن الإمام كان شديد الالتزام بإقامة نافلة الليل(١).

يقومُ في الساعة الثالثة سحراً

أدخل الإمام إلىٰ المستشفىٰ للعلاج إثر أزمةٍ قلبية أصابته سنة ١٣٦٥ هـ.ش، [١٩٨٦م]، ثم عاد إلىٰ المنزل بعد تحسن نسبي لصحته. وفي إحدىٰ الليالي انتبهت ـ وكنت إلىٰ جواره ـ إلىٰ أنه قام في الساعة الثالثة سحراً لأداء صلاة الليل وهو في تلك الحالة المرضية الصعبة التي لم يستطع معها مسح رجله وهو يتوضأ إلا بعد أن استند علىٰ كتفي، لكنه لم يترك نافلة الليلة رغم ذلك(٢).

ويتهجدُ لله في الظلمة

روىٰ أحد العلماء قائلاً: كنتُ نائماً في إحدىٰ ليالي شهر رمضان علىٰ سطح المنزل في النجف، وكان منزل الإمام صغيراً لا تتجاوز مساحته (٤٥) متراً مربعاً، فانتبهت لأسمع صوت زمزمةٍ ثم عرفت أن السيد كان يقيم نافلة الليل في الظلمة وقد رفع طرفه إلىٰ السماء وهو

---

(١) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي.
(٢) السيد رحيم ميريان.

يبكي بتضرعٍ، وكان برنامجه العبادي إحياء ليالي شهر رمضان المبارك إلىٰ الصباح بالصلاة والدعاء[1].

يناجي ربه بالمناجاة الشعبانية

كان الإمام ينهض قبل ساعة من أذان الفجر للتهجد ومناجاة الله، وكنت نائماً في إحدىٰ ليالي شهر شعبان بالقرب منه فاستيقظت علىٰ صوت بكائِهِ أثناء التهجد، الأمر الذي جعلني أرتجف بقوةٍ! لقد شاهدت عياناً كيف كان الإمام يتلو بتضرع لله المناجاة الشعبانية التي كان ملتزماً بمناجاةِ الله بها[2].

صلاة الليل في سحر مغادرته العراق

كان الوضع في منزل الإمام في الليلة التي تقرر مغادرته العراق في صباحها ـ جديرٌ بالمشاهدة حقاً، فقد كانت حالة الاضطراب تسيطر علىٰ والدتي وأختي وحسين ابن أخي وزوجتي وزوجة أخي، وأنا أيضاً كان كل ذهني متوجه للإمام، أما الإمام نفسه فقد نام في الوقت المعين لنومه كما في الليالي السابقة، ونهض طبق وقته المعتاد ـ قبل ساعة ونصف من أذان الفجر ـ وأقام نافلة الليل[3]!!

يعد العدة للاستيقاظ للتهجد السحري

عندما عزمنا علىٰ مغادرة العراق إلىٰ الكويت؛ تحركنا في الساعة الخامسة صباحاً أي بين الطلوعين لكي لا ينتشر خبر مغادرة الإمام للنجف بسرعة، وكان عمر الإمام يومذاك (٨٠) عاماً، عندما وصلنا إلىٰ الحدود

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٥٤.
(٢) السيد رحيم ميريان.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، موسوعة (كوثر)، ج ١، ص ٤٣٤.

الكويتية لم يسمحوا لنا بالدخول، فرجعنا إلىٰ الحدود العراقية وهناك تعاملوا مع الإمام بأسوأ صورةٍ ممكنةٍ فلم يعطونا حتىٰ غرفة يستريح فيها الإمام، ولذلك اضطر إلىٰ فرش عباءته جوار غرفة خربةٍ واضطجع عليها.

وفي الساعة الحادية عشرة أو الثانية عشرة ليلاً وصل الأذن من بغداد بالسماحِ لنا بالعودة إلىٰ البصرة، فرجعنا إليها ووصلنا في الساعة الواحدة أو الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، وبالتالي لم ينم الإمام إلا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل إذْ استغرق تهيئةُ مكان لنومِهِ حدود ساعة، ولم يطل الأمر كثيراً حتىٰ دق جرس الساعة المنبهة، وقد نظرت إلىٰ الساعة فوجدت عقاربها تشير إلىٰ الرابعة سحراً، ورأيت الإمام وقد نهض لإقامة صلاة الليل! أجل فهو ورغم كبّر سنه ورغم أنه لم ينم إلىٰ الساعة الثانية بعد منتصف الليل ـ لم ينس أن يوقت الساعة لكي يستيقظ لإقامة نافلة الليل[١].

ينهض في الوقت المحدد لتهجده

كان الإمام ـ أيام إقامته في باريس ـ يتوجه للنوم في الساعة (١١) مساءً، ويستيقظ في تمام الساعة (٣) سحراً لإقامة صلاة الليل، وكنت أنام خارج الغرفة التي كان ينام فيها، وبالقرب من بابها وذلك لمهمةٍ كُلفت بها ضمن إجراءات حراسته. وكانت غرفته تشرف علىٰ ساحة المنزل ولذلك كنتُ قلقة علىٰ سلامته، ولذلك كنت أنام هناك دفعاً للمخاطر المحتملة، وقد كنت أسمع صوت مناجاته أثناء تهجده السحري الذي كان يقوم إليه في تمام الساعة (٣) سحراً فلم أتذكر أنه قام قبل هذا الموعد بخمسٍ دقائق أو بعده بخمس دقائق[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

(٢) السيدة مرضية الحديدجي.

في الليلة الأولىٰ لوصولِهِ باريس

في الليلة الأولىٰ لوصولنا إلىٰ باريس، نهض الإمام كعادته لإقامةِ نافلة الليل، وفي الصباح استدعانا وقال: «لقد طال جلوسي في انتظار ظهور علائم الفجر هنا فلم تظهر»! فقلت: إن أذان الفجر يتأخر هنا بمقدار ساعتين ونصف عن أذان الفجر في إيران، وبمقدار ساعتين عن أذان الفجر في النجف!

لقد نهض الإمام لنافلةِ الليل في وقته المعتاد في النجف وهو يسبق ما يتناسب مع أفق باريس بساعتين»[(١)].

يقيم نافلة الليل علىٰ متن الطائرة

أقام الإمام صلاة الليل علىٰ متن الطائرة التي أقلته من باريس إلىٰ طهران، وأتذكر أنه كان يضع علبة الإبرة المغناطيسية لمعرفة اتجاه القبلة باستمرار لكن مؤشرها لم يكن يتحرك، فسألنا قائد الطائرة عن سبب ذلك، فأخبرنا أن الإبرة المغناطيسية لا تعمل في الطائرة، فسأله الإمام عن جهة مكة المكرمة فأشار إلىٰ جهتها، فصلىٰ نافلة الليل بهذا الاتجاه[(٢)].

ويختلي في طابقها العلوي للتهجد

عندما تحركت بنا الطائرة من باريس إلىٰ طهران جلس الإمام مدةً في طابقها السفلي ثم صعد إلىٰ طابقها العلوي للاستراحة، ثم جاء مضيفوا الطائرة وبينوا جهة القبلة ثم عادوا مرة أو مرتين وأخبروا عن انحراف جهتها إلىٰ اليسار أو اليمين بسبب تغيير مسار الطائرة، فخطر في

(١) حجة الإسلام والمسلمين فردوس بور، صحيفة رسالت (١٤/ ٤/ ١٣٦٨ هـ.ش).
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

ذهني أن أسأل عما يقوم به الإمام، فعلمتُ أنه قام للصلاة والعبادة بعد فترةٍ وجيزةٍ من الاستراحة[1].

رأيتُ الدموع تغطي وجهه

قال أحد أصحاب الإمام الذين رافقوه في رحلة العودة من باريس إلىٰ طهران، لقد خصصوا الطابق العلوي من الطائرة للإمام إجلالاً له ولكي يستريح فيه دون أن يزاحمه أحد، فتجرأت علىٰ الذهاب إلىٰ الطابق العلوي لكي أرىٰ ما يفعله الإمام، فلما صعدتُ وجدته مقبلاً علىٰ أداء نافلة الليل وقد غطت الدموع وجهه[2].

وهي تحكي حبَّه لله

نام الجميع في الطابق السفلي من الطائرة التي أقلتهم برفقةِ الإمام من باريس إلىٰ طهران، أما هو فقد كان يقيم صلاة الليل في الطابق العلوي، ولو أمعنتم النظر إلىٰ وجهه لرأيتم أثار الدموع علىٰ وجنتيه وهي تحكي بكاءَهُ وتضرعه في الأسحار وهو يتهجد لربه ويناجيه[3].

هذه سيرته في كل ليلة

أقام الإمام نافلة الليل علىٰ متن الطائرة التي عدنا بها إلىٰ طهران، وكان يبكي في تضرعه لله أثناء ذلك، الأمر الذي تعجب منه مضيفي طائرة الخطوط الجوية الفرنسية، فسألوني ـ بالإشارة ـ: هل ثمة أمر أحزن الإمام، فأجبتهم ـ بالإشارة أيضاً ـ: إن هذه هي سيرته في كل ليلة[4]!

---

(١) الدكتور حسن الحبيبي، صحيفة إطلاعات (١٩/ ٧/ ١٣٦٠ هـ.ش).
(٢) حجة الإسلام والمسلمين مهدي إمام الجمراني، مجلة (حضور)، العدد: ٣.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٤٨.
(٤) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٦.

قام بسكينة للوضوء

في طريق عودته من فرنسا إلىٰ إيران، قام الإمام ـ بسكينته التي يتميز بها ـ وتوضأ وصعد إلىٰ الطابق العلوي في الطائرة حيث أقام نافلة الليل[١].

وأقام النافلة بكل طمأنينة

كانت حالة السكينة تطفح علىٰ ملامح الإمام وهو في داخل الطائرة التي عادت به من باريس إلىٰ طهران، فلم يظهر عليه أدنىٰ اضطراب، وقد أقام في تلك الليلة أيضاً بكل طمأنينة نافلة الليلة وصلاة الفجر ـ قبل التحليق ـ طبق برنامجه المعتاد[٢].

نافلة الليل في سيارة الإسعاف وبين الأرض والسماء!

أقام الإمام نافلة الليل وهو مضطجع في السيارة التي نقلته ليلاً من قم إلىٰ مستشفىٰ القلب في طهران للعلاج، وأستطيع الإدعاء أن الإمام هو الإنسان الوحيد الذي أقام صلاة الليل بين السماء والأرض، فقد أقامها في الطائرة التي عادت به إلىٰ إيران[٣].

يقوم بآداب الاستعداد للقاء الله في الأسحار

إن من أفضل ساعات عمري هي تلك الساعات التي كنت أشاهد الإمام ـ أيام ملازمتي لخدمته في مدرسة علوي ـ وهو يقوم في جوف الأسحار للوضوء والتهجد والعبادة ثم إقامة صلاة الفجر، إنني من عائلةٍ علمائية، ولكنني لم أرَ أبداً عالماً مثل الإمام في دقته ونظمه بحيث يهتم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين هادي الغفاري، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ١٨٣.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.
(٣) آية الله حسن اللاهوتي، مجلة (زن روز)، العدد: ٧٧٤.

في جوف الليل بترتيب عمامته علىٰ رأسه وتمشيط لحيته استعداداً للصلاة[1].

لا تصده الأزمان عن لقائِهِ السَحَري

ذهب عددٌ من الإخوة ليلة الثاني والعشرين من بهمن إلىٰ الإمام وطلبوا منه بإلحاح أن يغادر محل إقامته في مدرسة علوي في تلك الليلة ويتوجه إلىٰ مكان آمنٍ، لكنه رفض هذا الاقتراح بسكينةٍ وطمأنينة. وأتذكرُ أن الشيخ الخلخالي قال يومها: لقد قررت أن أقضي هذه الليلة عند باب غرفة الإمام لكي أكون أول من يضحي بروحه لو وقعت له أيةُ حادثة ـ لا سمح الله ـ.

والأهم من ذلك هو أن ألفت انتباهكم إلىٰ ما قام به الإمام في تلك الليلة التي شهدت أشد الساعات تأزماً واضطراباً، لقد قام بما كان يقوم في الليالي السابقة من نافلة الليل وغيرها وقضىٰ الليل بكل سكينة وطمأنينة[2].

النافلة في السجن والمنفىٰ

مُنذ خمسين عاماً والإمام لم يترك نافلة الليل في صحةٍ كان أو مرضٍ، في سجنٍ أو خارجه، في المنفىٰ وغيره، حتىٰ وهو راقد علىٰ سرير المرض في مستشفىٰ القلب. أصابت الإمام وعكة صحية في قم، فأمر الأطباء بنقله إلىٰ طهران، وكان الجو بارداً للغاية يومها والثلوج تهطل باستمرار وقد تجمدت الثلوج في الطرق بكثافة ولذلك بقي الإمام عدة ساعات في سيارة الإسعاف، لكنه رغم ذلك لم يترك نافلة الليل حتىٰ في تلك الليلة فقد أقامها فور نقله إلىٰ مستشفىٰ القلب[3].

---

(١) السيد أحمد ناطق النوري، صحيفة كيهان، العدد: ١١٧٩٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران)، العدد: ٨٣.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٤٨.

تابع تهجده دون قلق

في سحر إحدىٰ الليالي جاؤوا بخبر يقول: إن مؤامرة انقلاب عسكري ستنفذ وشيكاً، فدخل السيد أحمد بصورةٍ عاجلة علىٰ الإمام لكي ينقل له هذا الخبر فوجده يصلي نافلة الليل؛ وهو العمل الذي كان يلتزم بالقيام به في كل ليلة في هذا الوقت، فوقف مدة طويلة منتظراً والإمام غارق في مناجاة الله والتضرع إليه تعالىٰ! وعندما اطلعه السيد أحمد علىٰ نبأ المؤامرة أجابه بسكينته الثابتة وطمأنينته المعهودة: «لا بأس، ليس ثمة ما يدعو للقلق، إذهب مطمئن البال»! ثم تابع إقامة نافلة الليل والتهجد(١)!

يستيقظ قبل ساعة ونصف من الفجر

يتوجه الإمام للنوم في الساعة الحادية عشر والنصف إلىٰ الثانية عشر من كل ليلة، ويستيقظ قبل ساعة ونصف من طلوع الفجر وأذان الصبح، مستعيناً بساعة صغيرة ذات جرس منبه، وصلاة صبحه لا يمكن وصفها بالبيان فهي مما يدرك بالعيان والمشاهدة، يبكي في الصلاة ويناجي ربه ويتضرع له، تقول والدتي أنها شاهدة علىٰ أن الإمام لم يترك صلاة الليل مُنذ كان عمره (٢٨) عاماً، أي منذ زواجهما، فيما يشهد زملاءُهُ الذين كانوا يشاركونه الإقامة في غرفة واحدة في المدرسة الدينية أنه لم يترك نافلة الليل مُنذ بداية دراسته العلوم الدينية(٢).

عمق تضرعه لله في الأسحار

اضطررت بعد منتصف إحدىٰ ليالي شهر رمضان إلىٰ المرور ـ لأمر

(١) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٢.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

معين ـ من أمام غرفة الإمام فأنتبهتُ إلىٰ أنه يتهجد ويناجي الله ويتضرع إليه ويبكي بحرقةٍ فأثّر فيّ بشدة وعمق ما رأيته من خضوعه وتضرعه لله عز وجل[1].

لذة العبادة في أيام الشباب

قبل مرض الإمام الأخير؛ كان أحد الإخوة الحرس ينام خلف باب غرفته، فسألته يوماً عن مشاهداته خلال الليالي التي قضاها للحراسة في هذا المكان فقال: كان الإمام يستيقظ عادة قبل أذان الفجر بساعتين، وفي إحدىٰ الليالي انتبهت إليه وهو يبكي بصوت عال فبكيتُ لبكائِهِ. وعندما خرج لتجديد الوضوء انتبه لوجودي فقال لي: «يا فلان، اعرف نعمة الشباب ما دمت شاباً واعبد الله، فلذة العبادة هي في أيام الشباب، وإذا شاخ الإنسان يضعف عن العبادة وعن الإقبال عليها وإن رغب في ذلك»[2].

شدة اهتمامه بالاستيقاظ في السحر

قضيتُ الكثير من الليالي ملازماً لخدمةِ الإمام إلىٰ الصباح، كان يوصينا بإيقاظه في ساعة معينة ويُؤقت ـ مع ذلك ـ الساعة المنبهة، كما كان يستيقظ ـ ولا تستغربوا ـ قبل أن تحين الساعة المعينة خمس أو ست مراتٍ خلال الساعات الخمس أو الست التي ينامها، وينظر في كل مرة إلىٰ الساعة ثم يعاود النوم!

كنا نرغبُ في رعاية حاله، لذلك لم نكن نذهب لإيقاظه إلا قبل دقيقتين من الموعد المقرر، فكنا نجده ـ وقبل أن نصل إليه ـ قد قام

---

(١) أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور)، ص ٦٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٥.

لأداء نافلة الليل، وقد شاهدنا عياناً كيف كان يتضرع لله تعالىٰ وهو يناجيه ويدعوه، لم نكن نطيق تحمل مشاهدة بكاءِه، فكنا نخرج والشعور بالخجل يسيطر علينا ونحن نقارن حالَ الإمام بحالنا[1]!

يقرن نافلة الليل بنوافل أخرىٰ

كان الإمام يقيم نافلة الليل كل ليلة دون استثناء، ومن أجل ذلك كان يستيقظ كل سحرٍ قبل ساعتين من أذان الفجر، فيصلي نافلة الليل، وإذا اتسع الوقت له قرنها بصلوات مستحبة أخرىٰ[2].

لا يغفل عنها حتىٰ إذا تأخر في النوم

مُنذ سنين طويلة لم يترك الإمام صلاة الليل حتىٰ في أيامِ مرضه، كان ينهض لإقامتها قبل طلوع الفجر حتىٰ في الليالي التي ينامَ فيها في وقتٍ متأخر[3].

بكاء الشوق في تهجده

حدثنا أحد الإخوة كان ملازماً لخدمة الإمام فقال: حالفني التوفيق يوماً لقضاء ليلةً كاملة في خدمة الإمام بسبب عدم وجود أحدٍ من أعضاء مكتبه، وقد سمعت بكاءه بصوت عالٍ وهو يتضرع لله أثناء إقامته صلاة الليل[4].

لا يُشعر بقيامه للتهجدِ أحداً

فيما يرتبط بمعرفتي بهذه الشخصية المرموقة في عموم العالم الإسلامي، أذكر أنني لم أرَهُ يترك صلاة الليل ولا لليلةً واحدة. ولقد

---

(١) السيد مصطفىٰ كفاش زادة.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٢.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني، مجلة (آينده سازان)، العدد: ١١.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني.

حللت ضيفاً عليه في النجف الأشرف فكان يقوم في السحر ويتهيأ لإقامة نافلة الليل بطريقةٍ لا تجعل أحداً من أعضاء بيته يشعر بقيامه مثلما لم أكن أنا ضيفه أشعر بقيامِهِ[1].

إن كنتُ قد حصلت علىٰ شيءٍ فهو من بركات الأسحار

كان للإمام التزامٌ خاصٌ بصلاة الليل، وقد نقل عنه نجله السيد مصطفىٰ ـ رحمه الله ـ قوله يوماً: «إنْ كنتُ قد حصلت علىٰ شيء، فهو من بركة التهجد في الأسحار»، وقد سمعت بنفسي أنه كان يوصي بعض تلامذته منهم سماحة الشيخ مجتبىٰ الطهراني قائلاً: «لا تضيعوا التهجد في الأسحار».

وكانت سيرته علىٰ مدىٰ سنين طويلة أن ينهض قبل أذان الفجر بساعةٍ أو أكثر وبعد الشاي ثم يقبل بنشاطٍ علىٰ العبادة إلىٰ طلوع الشمس، وعند ذلك ينام قليلاً ثم يتناول إفطاره، وقد سمعتُ من جميع المقربين منه أنهم لا يتذكرون أن الإمام قد ترك صلاة الليل ولا مرةً واحدةً[2].

بعد استشهاد نجله

سمعت عبر واسطة واحدة أن زوجة الإمام قالت: إن بكاء الإمام أثناء تهجده في الأسحار كان بصوتٍ خافتٍ للغاية، وقد بت قرب الإمام عدة ليالٍ فلم أسمعه يبكي أثناء عبادته السحرية بصوتٍ عالٍ، أجل كان بكاءُهُ في تهجده السحري بعد استشهاد ولده السيد مصطفىٰ أطول مما كان عليه قبل ذلك[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، صحيفة جمهوري إسلامي (١٣٦٨/٣/٢٩ هـ.ش).

(٢) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

يتجنب إزعاج أحد

قالت السيدة زوجة الإمام: مُنذ بدء حياتنا المشتركة كان الإمام ينهض لصلاة الليل كل ليلة ولكن دون أن يسبب أدنىٰ إزعاج لأحد، كان يسعىٰ إلىٰ أن لا يسبب لي ولا للأولاد أي إزعاج، ولا أتذكر أن أيّاً منا قد استيقظ من نومه أثناء قيام الإمام لصلاة الليل اللهم إلا أن نكون قد استيقظنا من تلقاء أنفسنا، كما كان يحرص إذا سافرنا علىٰ أن يتحرك ـ أثناء قيامه للوضوء وإقامة نافلة الليل ـ بهدوء كامل لكي لا يوقظ أحداً[1].

لا يستبدل بصلاة الليل أي لذة أخرىٰ

المرة الأولىٰ التي رأيت فيها الإمام كانت بعد زواجي [بولده السيد أحمد] بمدةٍ فقد كان عمر ابني يومها تسعة شهور، وسبب عدم رؤيتي لسماحته قبل ذلك هو أن السيد أحمد كان ممنوعاً من الخروج من إيران مدة، وبعد إزالة هذا المنع سافرنا إلىٰ العراق عبر لبنان وسوريا، لكي نحظىٰ بلقائِهِ؛ أنا للمرة الأولىٰ، والسيد أحمد بعد فراقٍ استمر عدة سنين. عندما وصلنا إلىٰ منزله في النجف الأشرف، طرقنا الباب، ففتحها لنا بنفسه لأن الآخرين كانوا نائمين فقد وصلنا قبل ساعةٍ من أذان الفجر.

لقد فرح كثيراً بوصولنا، وهذا أمرٌ طبيعي بحكم طول سني الفراق وبحكم العاطفة الجياشة التي يتميز بها الإمام، ولكنه رغم ذلك لم يجلس معنا إلا دقائق قليلة حتىٰ قال: «ينبغي لي أن أذهب»!! وكانت السيدة زوجته قد استيقظت، لكنني تعجبت من قلة المدة التي جلس فيها معنا رغم ما ظهر عليه من فرح وسرور لقدومنا عليه، فسألت السيد أحمد باستغراب: أين

(١) السيد مصطفىٰ كفاش زادة.

يذهب السيد؟ فأجابني: هذا هو وقت إقامته لصلاة الليل. وعندها أدركتُ أن الإمام لا يستبدل بلذة نافلة الليل أي شيء آخر[1].

يتجنب سماعنا بكائِهِ السحري

عندما كنت في [منزل الإمام في] النجف، كان الإمام ينهض في الأسحار وهو يحرصُ علىٰ عدم إيقاظنا لأننا كنا ننام علىٰ سطح المنزل، كان يخلط صوته بأصوات المناجاة المنبعثة من مكبرات الصوت في حرم أمير المؤمنين عليه السلام لكي لا نشعر بصوت بكائِهِ[2].

يخلط صوت بكائِهِ بصوت مكبرات الحرم العلوي

عندما شخّصت بنفسي ما كان يقوم به السيد، كنت قليلة النوم للغاية إذْ كنتُ أستيقظ وأبقىٰ يقظة عدة ساعات في جوف الليل ولذلك شاهدتُ مراراً قيامه لصلاة الليل لكنني لم أكن أعرف ما يقوم به بحكم صغر سني، كنا ننام جميعاً في ساحة البيت، فكنتُ أراه يقوم ويتوضّى للصلاة، كنت أسأل نفسي: لماذا يبكي السيد في الليل كل هذه المدة؟ كنت أتصور ـ بسبب صغر سني ـ أنه يبكي بسبب أذىً أصابه أو بسبب مشكلة عرضت له في النهار!

كنت أرىٰ الدموع تغطي وجهه، كنت أرىٰ ذلك في الكثير من الأسحار خاصة في الليالي المقمرة وكان ذلك يثير استغرابي الشديد!

وعندما ذهبت إلىٰ النجف، كنت أستيقظُ في الأسحار أيضاً إذ كان لديّ يومها طفل صغيرٌ، فكنتُ أرىٰ الإمام يصلي في غرفته التي كانت تقع مقابل غرفتنا، وكنتُ أشعر بأنه كان يتعمد أن يخلط صوت بكائِهِ بأصوات المناجاة

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي، مجلة (ندا)، العدد الأول.

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

المرتفعة عبر مكبرات الصوت في حرم أمير المؤمنين عليه السلام أي يرفع صوته بالبكاء عند ارتفاع صوت المناجاة من مكبرات الصوت تلك ويخفض صوته إذا انخفض صوت المكبرات، وكل ذلك لكي لا نسمع ـ نحن النساء والأطفال صوت بكائِهِ، لكنني كنت أسمعه، لأنني كنت أستيقظ بسبب استيقاظ طفلي[1].

ويسير بهدوء لكي لا يوقظ أحداً

كان الإمام يجتنب إيقاد أي مصباح في المنزل عند قيامه لأداء نافلة الليل، ولذلك كان يستخدم مصباحاً يدوياً صغيراً لا ينير أكثر من بقعةٍ صغيرة أمام قدميه، كما كان يسير بهدوءٍ لكي لا يوقظ الآخرين[2].

لم تمرَّ عليه ليلة دون تهجد

لقد كنت ألازم الإمام كثيراً، في قم عندما كنتُ طفلة، وفي مدينة النجف الأشرف بعد أن نفوه إليها حيث زرته فيها سبع مرات كنت أبقىٰ عنده كل مرة عدة شهورٍ، ثم لازمته عندما عاد إلىٰ طهران أثناء إقامته في مدرسة علوي والآن أيضاً حيث أنا في خدمته، ولذلك فقد قضيت الكثير من الليالي إلىٰ جواره وطوال جميع هذه الفترات، لم تمر عليّ ولا ليلة واحدة أجده فيها لم يستيقظ لإقامةِ نافلة الليل[3].

لم يترك تهجده السحري أبداً

لم تمر عليّ ولا ليلةٌ واحدة أبقىٰ فيها مع الوالد دون أن أشعر به ينهض بعد نومةٍ قصيرة ثم يقوم للتهجد فأسمع تضرعه ومناجاته لله

---

(١) السيدة صديقة المصطفوي، مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.
(٢) الدكتور محمود البروجردي (صهر الإمام)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٣.
(٣) السيدة زهراء المصطفوي.

تعالىٰ، الله يعلم بذلك وبأن الإمام لم يترك صلاة الليل أبداً[١].

يلف الساعة المنبهة

عندما كانت والدتي تسافر كنت أبات عند الإمام بسبب سابقة الأزمة القلبية التي أصابته، فكان يلف الساعة المنبهة ـ التي كان يوقتها لإيقاظه لصلاة الليل ـ بقطعةِ قماش ويضعها في زاوية من الغرفة بعيدة عني لكي لا توقظني عندما يدق جرسها لإيقاظه هو دوني[٢]!

نبكي لبكائِهِ

لقد كان بكاء الإمام وتضرعه ـ في صلاة الليل التي كان يقيمها بالأسحار ـ شديداً إلىٰ درجة تدفع كل مَن يسمعه إلىٰ البكاء دونما اختيار[٣].

الإمام يحب المتهجدين في الأسحار

كان الإمام شديد الحب للمؤمنين لا يؤثر علىٰ حبهم له كونهم من أرحامه أو من الغرباء عنه، فمثلاً عندما عاد إلىٰ قم بعد إطلاق سراحه من الإقامة الجبرية في منطقة قيطرية في طهران، عمل في منزله شاب اسمه «علي المشهدي» عمره عشرون سنة وبضع سنوات، وكان يتولىٰ مهمة توزيع الشاي علىٰ زوار الإمام في بيت الاستقبال، وقد سمعت الإمام مراراً يقول: «إنني أحب علياً المشهدي كثيراً، وأحرص علىٰ رعايته أيضاً». وكان ينقل لنا بعض الأمور المتعلقة به، فمثلاً قال لي يوماً: «أتعلمين ماذا قال لي علي المشهدي اليوم؟»، قلت: وماذا قال؟ قال: «لقد قلت له اليوم: لماذا توزع الشاي بطريقةٍ سيئةٍ للغاية؟! أنت لا

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (شهد بانوان)، العدد: ١٤٨.

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٦.

تقدم الشاي لبعض الزوار والضيوف، ولا توزع الشاي علىٰ الحاضرين بصورةٍ مرتبة! فأجابني: إنني أقدم الشاي بصورةٍ مرتبة وجيدة في غيابكم فإذا حضرتم يصير حماركم حماراً!! يضطرب حالي عند حضوركم فلا أدري ما أفعل حينئذٍ!».

لقد نقل الإمام هذه القضية وهو يبتسم، ثم قال: «إنني أحب علي المشهدي كثيراً»! وقد سألته يوماً: كثيرون يأتون إلىٰ هنا فلماذا تبدون حبكم لعلي المشهدي بالذات؟ فقال: «عندما أستيقظ في الأسحار أجده منشغلاً بصلاة الليل والاستغاثة والتضرع والبكاء والمناجاة مع الله تبارك وتعالىٰ، ومن أجل ذلك أحبّه كثيراً»[١].

تهجده وتجليات شدة حبه لله

أتذكرُ جيداً أنني عندما كنتُ أحظىٰ أحياناً بتوفيق الصلاة خلف الإمام في آخر شهر رمضان المبارك، قبل وفاته كنت ألاحظ فور دخولي غرفته التغير متجلياً علىٰ طلعته الكريمة وهو يجهش بالبكاء والدموع تنهمر من عينيه بغزارة بحيث أن المنديل لم يكن يكفي لتجفيفهما ولذلك فقد كان يضع منشفة إلىٰ جانبه، كان الإمام يعيش هذه الحالة في الأسحار، وهي تعبّر حقاً عن تجليات حبّه لله تعالىٰ[٢].

يوصل النافلة بفريضة الفجر

لم يترك الإمام صلاة الليل أبداً وكان يوصلها باستمرار بفريضة الفجر[٣].

يستيقظ للتهجد رغم الأدوية المنومة

(١) السيدة زهراء المصطفوي.

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي.

(٣) الدكتور مسعود بورمقدس، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٦.

كان الإمام ينهض كل ليلة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل لإقامة نافلة الليل، وقد التزم بذلك حتىٰ في الأيام التي كان يتلقىٰ خلالها العلاج في المستشفىٰ حيث كان يستيقظ في الساعة نفسها ويسأل عن وقت نافلة الليل رغم أنه كان يُعطىٰ أدوية منومة يقتضيها العلاج[1].

عباداته مفعمة بالإخلاص والحب لله

كان واضحاً أن أهم قضيةٍ يهتم به الإمام وهو يقاسي أصعب مراحل المرض هو القيام بالعبادة لله تعالىٰ، وكان اهتمامه بذلك بصورة لا يمكن توضيحها بالكلمات لكن مشاهدة هذه الحالة يمكن أن تشكل أعظم درس وأجمل خاطرةٍ يحملها ذهن الإنسان، كانت حالته تلك مفعمة بالإخلاص والحب لله تعالىٰ، كان يتهيأ للعبادة ـ ورغم شدة متاعبه المرضية ـ بالعمل بجميع الآداب التي ينبغي مراعاتها للظهور أمام الناس، وكان يقوم بذلك بكل دقةٍ ورغبة قلبية، ولكل ما يمكن أن يُقال بهذا الشأن هو أقل بكثير مما كان يرىٰ الإنسان منه فهذا ما لا يمكن بيانه باللسان. لقد كان يتهيأ ـ رغم تعبه وآلامه ـ لأداء نافلة الليل ويستدعي مَن حوله لتوفير مقدمات ذلك في الوقت نفسه الذي اعتاده بدنه علىٰ مدىٰ سنين طويلة لأداء هذه الصلاة؛ وقد قام بذلك حتىٰ في الليالي التي تلت إجراء العملية الجراحية الأخيرة له الأمر الذي كان يثير تعجبنا حقاً، ولم نكن نجد له تفسيراً سوىٰ شدة حبه وإخلاصه لله تعالىٰ، فلا يمكن أن يوجد مثل الإنجذاب القوي لصلاة الليل والتهيؤ لها بهذه الدقة، سوىٰ رسوخ الحب والإخلاص لله تعالىٰ.

إن رؤية الإمام وهو يستعد للعبادة بارتداء ملابسه البيضاء ووضع

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مهدي إمام الجمراني، صحيفة جمهوري إسلامي الملحق الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام الخميني.

العمامة علىٰ رأسِهِ بدقة وسائر المقدمات الأخرىٰ، كل ذلك يمثل خواطر عزيزة لا تنسىٰ بل إن رؤية طلعته الملكوتية في كل لحظة لا يمكن أن تُنسىٰ[١].

نافلة الليل في حال الإغماء

كنت واقفاً عند سرير الإمام في الساعة الثانية بعد منتصف الليل أراقب وضعه، فلاحظتُ شفتيه وقد بدأتا تتحركان ـ بذكر الله ـ في هذه الساعة بالضبط والتي اعتاد فيها إقامة نافلة الليل، لقد أقام الإمام صلاة الليل حتىٰ وهو في تلك الحالة وفي الساعة نفسها دون تقديم أو تأخير ولا لحظة[٢]!!

اللهم اقبلني في جوارك

كان الإمام يبكي ويتضرع لله ويقول: «اللهم اقبلني في جوارك»، وذلك في الصلاة نفسها التي أقامها الإمام في ذلك السحر [والتي بُث عبر التلفاز فيلماً مصوراً عن بعض مقاطعها]، لقد شاهد الذين كانوا خلف أجهزة التصوير هذا المشهد بالكامل[٣].

لم يخش سوىٰ الله

كنا نشاهد ـ نحن الملازمون للإمام ـ تضرعه وبكاءَهُ ومناجاته لله في الأسحار حتىٰ في الليلة التي نقلناه للمستشفىٰ لإجراء العملية الجراحية في اليوم التالي، فقد استيقظ علىٰ وفق برنامجه المعتاد وأقام نافلة الليل وقد تم تصوير ذلك عبر كاميرا مخفية، وتم عرض الفيلم عبر التلفاز

---

(١) الدكتور منوجهر الدوائي، مجلة (اطلاعات هفتكي)، العدد: ٢٤٤٢.

(٢) الدكتور كلانتر المعتمدي، المصدر السابق.

(٣) السيدة زهراء الإشراقي (حفيدة الإمام)، مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.

باستثناء قسم منه حذف لمصلحة معينة، وهو القسم الذي يُصور حالته وهو يبكي بحرقة ويتضرع لله جل جلاله، وإنني أرجو أن يُبث هذا القسم أيضاً لشعبنا العزيز لكي يعرف عياناً أن هذا الزعيم الجليل الذي أخرج من قلبه كل خوفٍ وتحدىٰ وحده العالم الإستكباري برمته دون أن يخشىٰ أحداً؛ كيف يقف في الأسحار متضرعاً لله وهو يرتعش من خشيته ويبكي بحرقةٍ والدموع تنهمر من عينيه بغزارة!

كنا نشاهده عن قرب وهو في هذه الحالة الروحانية الخاصة من التضرع عندما كنا نضطر لأن نكون علىٰ مقربةٍ منه في هذه الأوقات السحرية لأسباب ترتبط بمهامنا العلاجية ولكن دون أن يشعر بنا[1].

يقيم عباداته في المرض بنشاطٍ أقوىٰ

لم يترك الإمام عباداتِهِ الخاصة حتىٰ وهو راقد في المستشفىٰ للعلاج، بل كان يؤديها بنشاطٍ وإقبال وتوجه أشد وأقوىٰ، يقول أحد المقربين منه: دخلتُ غرفة الإمام في المستشفىٰ قبل أذان الفجر بفترةٍ فوجدته في حالةٍ عجيبة، فقد بكىٰ حتىٰ تبلل وجهه النوراني بالكامل وكانت الدموع لا زالت تجري علىٰ وجنتيه، لقد كان يتضرع لله بحالة أثرت فيّ بعمق، وعندما انتبه لوجودي، جفف وجهه بمنشفةٍ كانت علىٰ كتفه[2].

يتهجد مع إيصال الأنبوب الطبي

وضع أنبوب طبي خاص في المجاري التنفسية للإمام أيام علاجه في المستشفىٰ وإجراء العملية الجراحية له، وهذا الأنبوب لا يسمح للذي يُوصل به أن يتكلم، وقد أقام الإمام صلاتي الظهر والعصر وهو علىٰ

(١) الدكتور بورمقدس، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٦.
(٢) الدكتور إيرج فاضل، صحيفة إطلاعات (٢٨/٣/١٣٦٨ هـ.ش).

هذه الحالة ورغم صعوبتها لم يترك صلاة الليل أيضاً[١].

المرة الأولىٰ التي يتهجد فيها في غرفة منارة

أصاب الإمام ضعف شديدٌ في الساعة (١٠) من عشية يوم إجراء العملية له، فاضطروا وصل كيس الدم في يده، وقد نام علىٰ هذه الحالة في الساعة (١١) مساءً، ثم ذهبت وأيقظته في ساعة إقامته لصلاة الليل، فقام وتوضأ ثم أقام نافلة الليل كاملة وأنبوب كيس الدم موصول بيده وقد عرض التلفزيون فيلماً عن مقطع منها لا يتجاوز خمسها، وكانت الليلة الأولىٰ التي يقيم فيها نافلة الليل ومصابيح الغرفة مضاءة[٢]!!

لم يترك تهجده السحري حتىٰ في آخر أسحاره

إن ما أفتخر به هو أنني لازمت الإمام مُنذ دخول الحوزة إلىٰ أن دفنوا جسده الطاهر في مقبرة «جنة الزهراء عليها السلام»، وقد عرفته عن قرب متحرراً عن كل القيود المادية، وأستطيع القول بكل ثقة أنه لم يترك تهجده السحري طوال (٦٠) عاماً، أي إلىٰ آخر حياته، كان يؤدي الصلاة دائماً في أول وقتها أيام شبابه وبعدها، وكان يستيقظ قبل أذان الفجر بساعتين ويتلو القرآن[٣].

---

(١) الدكتور إيرج فاضل، صحيفة إطلاعات.

(٢) السيد مصطفىٰ كفاش زادة، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩١.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا التوسلي.

الفصل السادس:

نماذج من كراماته

رعاية خاصة له من أجداده المعصومين (ع)

رأيت ـ قبل زواجي بالإمام ـ عدة أحلام مباركة عرفت منها أن هذا الزواج مُقَدرٌ، والرؤيا الأخيرة التي حسمت ترددي هي أنني رأيت ـ في المنام ـ الرسول الأعظمﷺ وأمير المؤمنينعليه السلام والإمام الحسنعليه السلام مجتمعين في بيت صغير هو البيت نفسه الذي استأجره الإمام فيما بعد لزواجه! فقد كانت غرفه علىٰ الهيئة والصفات نفسها التي رأيتها في هذه الرؤيا، بل وحتىٰ الستائر التي اشتروها لي فيما بعد هي بشكلِ الستائر التي رأيتها في رؤياي تلك!!

رأيتُ النبي الأكرمﷺ والإمام الحسن وأمير المؤمنينعليهما السلام جالسين في الجانب الآخر من البيت أي غرفة الرجال، وفي هذا الجانب أي الغرفة التي صارت «غرفة العروس» كنت أجلس أنا وإلىٰ جانبي امرأةٌ طاعنة في السن وهي ترتدي عباءة منقطة بنقاطٍ صغيرة من النوع الذي يطلق عليه اسم «شادورلكي»، لم أكن أعرف هذه المرأة النحيفة، وكانت تجلس إلىٰ جانبي خلف الباب، كانت في الغرفة نافذة زجاجية كنت أنظر عبرها إلىٰ الموجودين في الغرفة الأخرىٰ، فسألت هذه المرأة: مَن هم

هؤلاء؟ فقالت: ذاك الذي يجلس في الجهةِ المقابلة ويرتدي عمامة سوداء هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وذاك الرجل الذي يرتدي القلنسوة الخضراء (وكان خدام الحرم العلوي في النجف يرتدون يوم ذاك مثل هذه القلنسوة، وهي تشتمل على قسمين كلاه أحمر ملفوف بشالٍ أخضر) هو أمير المؤمنين عليه السلام وكان يجلس على الجانب الآخر شاب يرتدي عمامة سوداء قالت تلك المرأة عنه أنه الإمام الحسن عليه السلام .

وعندما أخبرتني بهويتهم عليهم السلام غمرني السرور وأنا أقول: هذا النبي وهذا أمير المؤمنين ـ صلى الله عليهما وآلهما ـ!! فقالت تلك المرأة الطاعنة في السن: ولكنكِ لا تحبينهم! فقلت: يا ويلي! أنا لا أحبهم؟! كلا إنني أحبهم. ثم قلت: إنني أحبهم جميعاً، فهم نبيي وأئمتي، ذاك إمامي الثاني وهذا إمامي الأول. فقالت المرأة: لكنكِ لا تحبينهم، فكررت قولي ثم استيقظت من نومي وأنا منزعجة بسبب سرعة استيقاظي!

ثم حدثتُ في الصباح جدتي برؤياي فقالت: يا بنيتي إن رؤياك تُبيِّن أنا هذا السيد هو سيد حقيقي، وأنكِ قد آذيتِ النبي والأئمة، لا حيلةَ لكِ هذا هو قَدرَك وهذا هو التقدير لك[1]!

رأينا فجأةً ماءً جارياً توضأ منه لنافلة الليل!

رافقنا الإمام في أسفارٍ عدة أيام شبابنا، والله يعلمُ بعمقِ الروح الأبوية العطوفة التي كان يعاملنا بها في تلك الزيارة إلى مشهد، لا زلت أشعر بالخجل كلما تذكرت الأيام التي حالفنا فيها توفيق مرافقته في تلك الزيارة. في تلك الأيام كانت العساكر الأميركية والإنجليزية والروسية

(١) السيدة خديجة الثقفي (زوجة الإمام)، مجلة (ندا)، العدد: ١٢، لم توافق السيدة خديجة في بداية الأمر على الزواج بالإمام لأنها كانت تعيش في طهران ولم تكن ترغب في الانتقال إلى مدينة قم حيث كان يسكن الإمام، ولكن موقفها الرافض هذا قد تغيّر بعد أن شاهدت هذه الرؤيا. (المؤلف).

تحتلُ أجزاءً من إيران، لذلك فعندما رجعنا من مدينة مشهد أوقفَ الروس السيارة بهدف تفتيشها، فنزلنا جميعاً، ثم توجه الإمام لإقامةِ نافلة الليل التي لم يتركها أبداً مُنذ بلوغه سن التكليف الشرعي، ولكنا كنا في وسط الطريق ولم يكن ثمة ماءٍ في تلك الصحراء، وفجأةً رأينا ماءً جارياً، فشمَّر الإمام عن ساعديه وتوضأ! ولم نعرف فيما بعد أنه كان يوجد ماءٌ من قبل أو لم يكن ثمة ماء أصلاً! وعلىٰ أي حالٍ فقد رأينا في هذا السفر كرامة للإمام[1].

رؤيا للإمام وكرامة يصدقها الواقع

عقد اجتماع في قم باسم هيئة مدرسي الحوزة شارك فيه كبار العلماء والفضلاء في الحوزة، وجرىٰ البحث وتبادل الآراء بشأن إصدار بيان للسادة العلماء وطبعه وتوزيعه في أرجاء البلاد، وقد تم اتخاذ قرار بهذا الشأن، ولكن بعض المشاركين في الاجتماع كانوا يعتقدون أن الإمام يتحرك بحالةٍ ثورية شديدة وقد أعربوا عن قلقهم تجاه احتمال أن لا يوافقه بقية المراجع علىٰ ذلك، وقد صرح بعضهم بذلك ولذلك قال بعض الحاضرين: من الأفضل أن يذهب أحدنا للسيد الخميني ويطلعه علىٰ هذه المخاوف ويأتينا بجوابه.

قال الشهيد السيد محمد رضا السعيدي: ذهبتُ أنا ونقلت للسيد الخميني الأمر المذكور فقال لي: «لقد رأيتُ في عالم المنام ناراً موقدة قد أحاطت بكل إيران التي كنت أراها بشكل الخريطة الجغرافية، فصرخت: هلموا لتقديم العون لكي نُطفأ هذه النار! ولكن لم يأتِ أحد، فخلعتُ عبائتي وبقيت أضربُ بها النار وأصب الماء عليها إلىٰ أن استطعتُ إخمادها بعد تحمل مشقة شديدة».

---

(١) آية الله الشهيد الصدوقي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج ٤.

أضاف الشهيد السعيدي: ثم تابع سماحة السيد حديثه قائلاً: «لقد فسرت هذه الرؤيا علىٰ النحو التالي: إن هذه الفتنة ستستمر ولن تخمد بيسر، لقد تأججت نارٌ سيَنتشر لهيبها في جميع أرجاء البلد، وعليّ أنا وحدي أن أطفئها، فمَن شاء من السادة أن يلتحق بي فليتحق ومَن لم يشأ فليتجنب الإلتحاق بي»[1].

خاطبني في اليقظة بالجملة نفسها التي سمعتها منه في الرؤيا!

روىٰ والدي ـ رحمه الله ـ قائلاً: رأيت ليلة في عالم المنام ـ وكان ذلك قبل فاجعة (١٥) خرداد أن ثمة شجرة كبيرة جداً قد استقرت علىٰ الكرة الأرضية وقد تشابكت أغصانها الكثيرة وارتفعت إلىٰ عنان السماء فلا يمكن مشاهدة أعاليها إلا بمشقةٍ بالغةٍ، ورأيت أسفل هذه الشجرة كبار العلماء ـ وبينهم الإمام ـ يدورون حولها بالتناوب ويحرسونها. ثم تابعت طريقي للحصول علىٰ الطعام ولما رجعت وجدت الشجرة وقد تلطخت بالدماء التي جرت علىٰ أغصانها مثلما تجري من اليد الجريحة وقد ضمدوا هذه الأغصان بالمناديل، فذهبت ـ وقد سيطر عليّ القلق والأذىٰ ـ إلىٰ الإمام الذي كان يجلس علىٰ كرسي قد انقلب! فأعربت له عن قلقي وآذاي مما أرىٰ، وعندما رأىٰ الإمام ما أنا فيه من أذىً وانفعالٍ وضع يَدهُ علىٰ كتفي بكل تواضع وسكينةٍ وقال: «يا شيخ محمود، لا تقلق، إنهم كانوا يريدون قطع هذه الشجرة من جذورها ولكن الله لم يشأ ذلك، هذه الجروح ليست مهمة، ستلتئم، فلا تقلق».

ثم استيقظت من النوم، وبعد مدةٍ مديدة وقعت حادثة (١٥) خرداد ثم اعتقل الإمام وفرضت الإقامة الجبرية عليه في منطقة قيطرية؛ وبعد إطلاق

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين علي الدواني، كتاب (الإمام الخميني في مرآة الذكريات)، ص ١٣٥.

سراحه تشرفت بزيارته برفقةِ مجموعةٍ من العلماء وكان ذلك قبيل الظهر فقال: «ابقوا لتناول طعام الظهيرة معنا»، فاستجبنا لدعوته. وبعد لحظات إلتفت إليّ الإمام ووضع يده علىٰ كتفي ـ بالحالة نفسها التي رأيتها في رؤياي تلك ـ وقد فعل ذلك وأنا لم أعرب له عن آذاي بسبب اعتقاله إثر حادثة (١٥) خرداد، وكذلك لم أحدثه أصلاً برؤيا! لقد وضع يده علىٰ كتفي بالحالةِ نفسها التي رأيتها في منامي ثم خاطبني بالجملة نفسها التي قالها لي في تلك الرؤيا! قال لي في اليقظة: «يا شيخ محمود، لا تقلق، إنهم كانوا يريدون قطع هذه الشجرة من جذورها ولكن الله لم يشأ ذلك...»[١].

وهبني خاتمَهُ فور أن تمنيت ذلك في قلبي

أخذت أفواج محبي الإمام تتدفق علىٰ منزله في قم لزيارته إثر عودته إليها بعد رفع الإقامة الجبرية التي فُرضت عليه في منطقةِ قيطرية في طهران، فأصبح منزله محلاً للقاء مختلف صنوف الأهالي والعلماء به، وكان يجلس في إحدىٰ الغرف ويتفقد أحوال زائريه، وقد جئتُ أنا أيضاً من الأهواز إلىٰ قم وتشرفتُ بزيارته، وبعد أن قبلتُ يدَهُ، جلستُ في زاوية الغرفة، وكانت عيني قد وقعت وأنا أقبلُ يده علىٰ خاتم جميلٍ فيها أعجبني، فقلت في نفسي: يا حبذا لو يهديني الإمام هذا الخاتم! ولم تمضّ إلا هنيئة علىٰ هذه الخاطرة التي خطرت في ذهني حتىٰ أشار إلي بيده متلطفاً أن أقترب منه، فلما تقدمتُ إليه، خلع الخاتم من يده وأعطاه لي! ولا زلت أحتفظ به إلىٰ اليوم كتذكار من الإمام[٢].

كرامةٌ وتأييد إلهي له

عندما بدأ الإمام التدريس في حوزة النجف، ازدحم محل إلقائِهِ

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين أحمد سالك الكاشاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد الحسين إمام.

الدرس بعددٍ كبير من الطلبة، فصبرنا قليلاً عن المشاركة فيه إلىٰ أن انقطع عن حضور الدرس الطلبة الذين كانوا يحضرون لمجرد التعبير عن تأييدهم للإمام، فلم يبق إلا الفضلاء القادرون علىٰ استيعاب المباحث العالية التي كان يلقيها الإمام في درسه. وقد كنتُ عازماً علىٰ حضور درسه لكنني تفاءلتُ بالقرآن مجرد تفاؤلٍ بهذا الشأن فخرجت الآية الكريمة ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾، وقد كان ذلك من عجائب الإتفاقات وقد أخبرت الإخوة بذلك فتعجبوا هم أيضاً[1].

ثاني شخصية عالمية

روىٰ والدي ـ رحمه الله ـ قال: عندما جاء الإمام إلىٰ النجف، رأيتُ فيما يرىٰ النائم أنني في مسجد الخضراء والإمام الصادقعليه السلام جالس علىٰ المنبر وهو يتحدث، وأثناء ذلك دخل المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ الخميني، وبمجرد دخوله قام الإمامعليه السلام ووقف علىٰ المنبر وقال: «جاء نجل ثاني شخصية عالمية»[2]!!

حذارِ من أن تقيس الإمام بغيره

كانت تربطني علاقة بشخصٍ في النجف اسمه الحاج السيد رشيد وكان لديه محل لبيع الوسائل المنزلية يقع في الزقاق الذي يقع فيه منزل الإمام، كنت أتردد علىٰ محله وأجلس عنده، فكان كلما مر الإمام من أمام محله تحدث عنه بإعجاب وتمجيد، وكان يقول بعبارات خاصة: يا فلان، انتبه ولا تنظر إلىٰ الإمام نظرتك إلىٰ باقي العلماء والمراجع، لا تقارنه بهم، فهو يختلف عنهم! إنه سيعود يوماً إلىٰ إيران ويخرج الملك منها ويمسك بزمام الأمور فيها[3].

---

(١) آية الله محمد هادي معرفت.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد مرتضىٰ الموسوي الأردبيلي الأبركوهي.

(٣) آية الله السيد أحمد النجفي.

سيعود أبوك ويتسلم زمام جميع الأمور

كان يعيش في قم رجل من أهل بروجرد اسمه «المشهدي رجب»، كان يقوم بفرش البسط للصلاة، وكان نيرَ القلب للغاية وصاحب كرامات، وعندما عرف الناس بحاله اضطر إلىٰ ترك قم إلىٰ مسجد جمكران وبقي يعيش متخفياً هناك، وقد ذهبت ليلة إلىٰ جمكران لزيارته برفقةِ المرحوم الحاج السيد مصطفى، وقد أخبر مسبقاً عن وفاة السيد مصطفىٰ في هذا اللقاء وبحضوره ثم قال له: إن والدكم سيعود إلىٰ إيران ويتسلم زمام جميع الأمور!

لقد تحدث المشهدي رجب عن هذا المضمون بعباراته العامية العادية، وقد أدار المرحوم السيد مصطفىٰ وجهه علامةً علىٰ عدم القبول لهذا الكلام فقال له المشهدي رجب: إنك لا تقبل هذا الكلام والسبب هو أنك ستموت قبل تحققه عملياً وبالسكتةِ القلبية!

وقد أشار في تلك الليلة حتىٰ إلىٰ سنة وفاة السيد مصطفىٰ الأمر الذي أثار تعجبنا خاصة بعد أن تحقق عملياً كل ما أخبر عنه[1]!!

اللقاء العجيب بين الإمام وآية الله السيد علي القاضي

كان المرحوم آية الله الشيخ عباس القوجاني ـ وهو والد زوجتي ـ كان يعرف مسبقاً ـ وهو في النجف ـ ببعض القضايا التي وقعت للإمام وقد أخبرني بها قبل وقوعها، وقد سألته يومها: من أين عرفتم بهذه الأمور؟ فروىٰ لي الحادثة التالية، قال: كنا ملازمين للمرحوم آية الله الحاج السيد علي القاضي ـ وهو الأستاذ الأخلاقي لمجموعة من الأعاظم مثل الشيخ بهجت، المرحوم القوجاني، والمرحوم السيد

---

(١) آية الله السيد أحمد النجفي.

الميلاني وغيرهم ـ كنا نذهبُ إليه كل يومٍ ونستفيد من محضره، وقد جاء يوماً اثنان من تلامذته الملازمين لحضور درسه وقالوا له: إن سماحة السيد الحاج آغا روح الله الخميني (وكان الإمام يومها يُعرف بهذا اللقب) قد جاء إلىٰ النجف وهو يرغب في زيارتكم.

فرحنا كثيراً عندما سمعنا هذا الخبر، لأن هذا اللقاء سيكون سبباً لتعريف أستاذنا (القاضي) لحوزة قم كما أننا كنا من تلاميذ الإمام أيضاً وكان من المهم لنا أن نعرف تأييد شخصية مثل المرحوم القاضي له.

حلَّ موعد اللقاء وجاء الإمام، وكنا جالسين في مكتبة السيد القاضي، فلما دخل سلَّمَ علىٰ السيد القاضي، وكانت سنة السيد القاضي القيام لكل مَن يدخل عليه، ويدعو بعضهم إلىٰ الجلوس في مكانٍ خاص، لكنه لم يفعل ذلك مع الإمام ولم يدعُهُ للجلوس في مكان بارز، وقد جلس الإمام بكل أدب عند باب الغرفة!

لقد تأذىٰ طلبة الإمام الذين حضروا هذا اللقاء من عدم قيام المرحوم السيد القاضي لهذا الرجل الجليل والعالم الفاضل والصالح القادم من حوزة قم، وقد دخل أيضاً الطالبان اللذان عرّفا الإمام للسيد القاضي وجلسا في مكانهما المعتاد. مضت أكثر من ساعة من هذا اللقاء في صمتٍ كامل! فلم يتحدث أحدٌ بشيءٍ، جلس الإمام مطرقاً إلىٰ الأرض طوال هذه المدة وهو ينظر إلىٰ يده، وهكذا كان حال السيد القاضي جلس مطرقاً إلىٰ الأرض أيضاً!

وبعد مدة رفع المرحوم القاضي رأسَهُ فجأةً والتفت إلي وقال: سماحة الشيخ الحاج عباس! إجلب ذلك الكتاب! كنتُ أعرف جيداً جميع الكتب الموجودة في مكتبته فقد قدمت له بعضها ما يقارب المائة مرة أو يزيد، وقد تعرفتُ علىٰ الضروري من مطالبها، بمجرد أن قال: إجلب ذلك الكتاب، تحركت يدي دون اختيار مني نحو كتاب لم أرَهُ من

قبل في المكتبة! كما أنني لم أسأل السيد القاضي: أي كتاب تقصدون؟ أو مثلاً أين هو؟ هل هو في الجانب الأيمن من المكتبة أم الجانب الأيسر أم في الطابق العلوي؟! لقد تحركت يدي بغير إرادتي ووقعت علىٰ ذلك الكتاب!!

عندما جلبت الكتاب قال لي السيد القاضي: افتحه، قلت: أي صفحة منه يا سيدي؟ قال: أي صفحةٍ كانت!! فتحتُ الكتاب دون تعيين فوجدته مكتوباً باللغة الفارسية فزاد تعجبي، لقد لازمت المرحوم القاضي عدة سنين لكنني لم أرَّ هذا الكتاب ولم أرَّ حتىٰ جلدَهُ ولا مرة واحدة!!

عندما فتحتُ الكتاب وقع نظري علىٰ عنوان «حكاية» مكتوب في أول الصفحة، قلتُ: مكتوبٌ في الصفحة عنوان «حكاية» يا سيدي، فقال: لا بأس، اقرأْ!

كان مضمون الحكاية هو: كانت توجدُ مملكة يحكمها سلطان وقد جرها إلىٰ الدمار الديني بسبب ما كان يفعله فيها هو وعائلته من فسقٍ وفجور ومعاصٍ، فشاع الفساد في جميع أرجائها. فانتفض ضده عالمٌ جليل ورجل روحاني إلهي، نصحه في البداية بكل وسيلة ممكنة فلم ينفعه النصح ولذلك اضطر إلىٰ أن يصعد من إجراءاته ضده الأمر الذي أثار السلطان فاعتقل ذلك العالم الديني وسجنه ثم نفاه إلىٰ أحد الممالك المجاورة بقي فيها مدة ثم نفاه إلىٰ مملكةٍ أخرىٰ فيها عتبات مقدسة، وقد عاش فيها مدة إلىٰ أن شاءت إرادة الله أن يعيده إلىٰ مملكته الأولىٰ وأن يهرب منها ذلك السلطان ويموتُ خارجها، وأن يحكمها ذلك العالم الجليل وأن تتحول ـ تدريجيّاً ـ إلىٰ مدينةٍ فاضلةٍ وأن لا يتطرق إليها الفساد إلىٰ ظهور حضرة بقية الله المهدي ـ عجل الله فرجه ـ.

إلىٰ هنا انتهت الحكاية فقلت للسيد القاضي: لقد انتهت الحكاية يا سيدي، وتوجد بعدها حكاية أخرىٰ، فقال: يكفي ما قرأتَهُ، اغلق

الكتاب وأرجعه إلىٰ مكانه. ففعلتُ. وكنا لا زلنا جميعاً في أذىٰ من عدم قيام السيد القاضي للإمام، وقد ازداد تعجبنا من سلوكه اللاحق وقلنا في أنفسنا: لماذا يأمرُ بقراءة حكاية في حضور سماحة السيد الحاج آغا روح الله بدلاً من أن يحدثه بمطلبٍ عرفاني أو فلسفي أو علمي يحمله معه كهدية لحوزة قم! والنقطة المهمة للغاية حادثة اجتماع السيد القاضي بالإمام، هي أن الشخصين المذكورين اللذين رافقتهما الإمام إلىٰ الزيارة، كانا قد انزعجا كثيراً من طريقة تعامل السيد القاضي مع الإمام، ولذلك فقد سألا الإمام بعد أن خرجوا: كيف وجدت السيد القاضي؟ أجاب الإمام علىٰ هذا السؤال ـ وبدون أن يظهر أبسط أشكال الإنزعاج ولو بالإشارة باليد أو العين ـ بأن قال ثلاث مرات: لقد وجدته عظيماً جداً، أعظم مما كنت أتصور!

هذا الجواب يكشف حقيقةَ أن الإمام كان قد تخلىٰ من أي أثر لهوىٰ النفس في وجوده، لأن رد الفعل الطبيعي تجاه هذه الطريقة في التعامل من كل مَن كانت له ما كانت للإمام من مكانة علمية في حوزة قم، هو أن يهز يده أو رأسه ـ علىٰ الأقل ـ كإشارةٍ يريد بها أن يقول: لا يهمني مثل هذا التعامل! أما الإمام فلم تترك عليه حركات السيد القاضي (وهي بلا شك حركات محسوبة ولعل هدف السيد القاضي منها هو امتحان ومعرفة القوة الروحية والمعنوية للإمام)؛ لم تترك عليه أي أثر يَجعل النفس تدفعه إلىٰ اتخاذ رد فعل تجاهها، ولا يخفى أن السيطرة علىٰ النفس في مثل هذه الحالة يحتاج إلىٰ قوة معنوية عالية للغاية

إن الإمام لم يكتف بعدم الرد بالمثل علىٰ الطريقة الظاهرية للسيد القاضي في التعامل معه، بل وعمد إلىٰ التصريح بعظمة مقامه وقد شعرنا ـ من خلال ملاحظة جميع تقاسيم وجهه وحالة عينه ـ أنه ما قاله بشأن السيد القاضي صادر عن قناعة قلبية وعن صدق كامل؛ علىٰ النقيض مما

هو حالنا فكل وجودنا قائم علىٰ المجاملات الواهية والمتكلفة، في حين قتل الإمام في نفسه كل هذه الحالات النفسانية المرضية.

لقد وقعت هذه الحادثة وهذا الاجتماع قبل قضية حادثة (١٥) خرداد وما بعدها. لقد عاد الإمام إلىٰ إيران وقم، وكان يذكر السيد القاضي بالكثير من التجليل والاحترام في جواب كل مَن يسأله عنه من فضلاء الحوزة وطلبتها، وكان يقول عنه: «يوجد في النجف أشخاص يجب الإنتفاع من بركات وجودهم كثيراً».

ثم إن المرحوم الشيخ القوجاني كان يقول بشأن وقوع كل حادثةٍ من الحوادث التي كانت تقع في مسيرة الثورة: هذه الحادثة كانت مذكورة في تلك الحكاية! ثم كان يكرر القول: إن السيد الحاج آغا روح الله سيرجع إلىٰ إيران حتماً ويمسك بزمام أمورها وستتحق بقية الأشياء حتماً ولا ريب في ذلك!

ولذلك كان الشيخ القوجاني من أوائل الذين جاؤوا إلىٰ إيران ـ بعد عودة الإمام وانتصار الثورة ـ وبايع الإمام[١].

هذه الحوادث ستقع، وسيتضح لك الأمر لاحقاً

قبل مجيء الإمام إلىٰ النجف رأيتُ في عالم المنام أن إيران تشهد اضطراباً وحرباً خاصة في خوزستان حيث أن جميع رؤوس نخيلها قد قُطعت أو حرقت، وأن أحد أرحامي قد استشهد في هذه الحرب التي طالت كثيراً ولكنها انتهت بانتصار إيران، وطوال هذه الرؤيا كنت أتصور أن الحرب هي بين سيد الشهداء عليه السلام وبين أعدائِهِ، وعندما انتهت الحرب سألت: أين سيدي الإمام الحسين عليه السلام؟ فأشاروا إلىٰ الطابق

(١) آية الله السيد أحمد النجفي.

العلوي في إحدىٰ المباني فيها غرفتان إحداهما في الجهة اليمنىٰ والأخرىٰ في الجهة اليسرىٰ، فذهبتُ إلىٰ حيث أشاروا وتشرفتُ بزيارة سيد الشهداء والسلام عليه. وعندها انتبهت من نومي.

وبعد مجيء الإمام إلىٰ النجف حدثته بهذه الرؤيا، فابتسم وقال: «هذه الحوادث ستقع»! فسألته: وكيف يا سيدي؟ قال: «سيتضح الأمرُ لك لاحقاً»، فألححت عليه طالباً التوضيح، فقال: «أخبرك بقضيةٍ ولكن يجب أن لا تتحدث بها لأحدٍ ما دمت حيّاً.

عندما كنتُ في خدمة المرحوم والدك في قم، كنت شديد الحب والتعلق به حتىٰ أنني كنتُ ـ تقريباً ـ أقرب الناس إليه، وهو أيضاً لم يكن يراني من غير المؤهلين لحفظ الأسرار، وقد بيّنَ لي يوماً مسيرة الحركة والعمل، ولكن لا زال الوقت مبكراً بالنسبة لزمان بدء هذه المسيرة، ولكنها ستبدأ»!

لم يبق كلام الإمام هذا في ذهني إلىٰ زمان وقوع الثورة وما بعدها وكذلك بعد نشوب الحرب بين إيران والعراق، بل كنت قد نسيته بالكامل، وطوال سني الحرب ذهبت مراراً للجبهات وقمتُ بخدمات متواضعة فيها، وقد وقع بصري ذات يوم علىٰ أشجار النخيل وقد قطعت رؤوس بعضها واحترق بعضها الآخر وعندها تذكرت الرؤيا التي رأيتها وكلام الإمام بشأنها! فقد كان ما شاهدته في اليقظة شبيهاً بالكامل تقريباً بما كنتُ قد رأيته في تلك الرؤيا، وجرت الأوضاع تقريباً علىٰ وفق ما رأيته فيها. ثم استشهد أخي الشيخ مهدي في شهر «أُردبيهشت» من سنة ١٣٦٣ [هـ.ش، مايس ١٩٨٤م]، وعندها تذكرتُ قول الإمام لي من أن جميع الحوادث التي رأيتها في رؤياي تلك ستتحقق[١].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين نصر الله الشاه آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٢٦١.

يتوسطُ لدىٰ صاحب الزمان (عج) من أجل أحد أنصاره

في أحد أيام سنة ٥٣ أو ٥٤ ١٣ هـ.ش، [٧٤ أو ١٩٧٥م] شدوا علىٰ عينيّ عصابة ـ وأنا في السجن ـ وأخضعوني عدة مرات لدورة استجواب طويلة وشاقة تواصلت لعدة أيام، وفي إحدىٰ ليالي تلك الفترة كانت حالتي صعبة للغاية، فرأيتُ في المنام مجلس تدريس الإمام وهو جالس علىٰ المنبر يلقي درسه بحضور عدد كبير من العلماء، وأثناء ذلك دخل سيد جليل قام الإمام وهو علىٰ المنبر إجلالاً له ثم قال ثلاث مرات «الأمان، الأمان، الأمان يا صاحب الزمان»، فعرفت أن هذا السيد القدسي هو إمام العصر ـ عجل الله فرجه ـ.

وفي صباح ذلك اليوم تغيّر فجأة أسلوب استجوابي وزالت عني تلك الشدة. وقد قال أحد الصالحين يومها: إن الإمام قد أخذ لك الأمان. أي توسط لدىٰ إمام العصر ـ عجل الله تعالى فرجه ـ فأوجد هذا التغيير والفرج(١)

لا أرىٰ مصلحة في إبقاء هذا المقطع من البيان

أصدر الإمامُ بياناً عن الانتفاضة الطلابية التي وقعت في شهر آذرماه سنة ٤٩ ١٣ هـ.ش، [ديسمبر من سنة ١٩٧٠م]، وقد أمرَّ بمناسبة حلول موسم الحج بترجمة البيان إلىٰ العربية وطبعه وإرساله إلىٰ مكة، وقبل إكمال طباعته استدعاني الإمام بصورةٍ عاجلة وقال: «لا أرىٰ من الصالح إبقاء المقطع الذي ينتقد أساس النظام الملكي في الحكم في هذا البيان، لأن من المحتمل أن يسبب ذلك مشاكل للذين يوزعون هذا البيان في موسم الحج، قد يعتقلهم النظام الملكي الحاكم في الحجاز ويعرضهم لخطر الموت، فقد يضرب أعناقهم بتهمةِ معارضة النظام الملكي، لذلك احذفوا المقطع الذي ينتقد الملكية من البيان».

---

(١) آية الله الحائري الشيرازي، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٨٩.

لكنني ألححت على الإمام كثيراً بشأن إبقاء هذا المقطع المهم في البيان، فرفض لكنه وعدني بأن يصرح ـ في فرصةٍ أخرى ـ عن رأيه بشأن الملكية. أما المقطع الذي أمر بحذفه فهو: إن الإسلام يعارضُ الملكية من الأساس، وكل مَن يدرس سيرة رسول الله ﷺ يستنتج بوضوح أن الإسلام جاء لتدمير قصور الظلم الملكي، إن النظام الملكي في الحكم هو أقذر وأخزىٰ مصاديق الرجعية[1].

بقاء هذه العبارة يؤدي إلىٰ ذبح إخوتنا

كتب الإمام بياناً في سنة (٥٠ ـ ١٣٥١ هـ.ش، ٧١ ـ ١٩٧٢م) بمناسبة الإحتفالات التي كان نظام الشاه قد قرر إقامتها في إيران بمناسبة مرور (٢٥٠٠) عاماً علىٰ حكم الملكية فيها. وقد تقرر إخفاء نسخ هذت البيان ـ بعد طبعه ـ بطريقةٍ خاصة ونقلها إلىٰ السعودية عبر سوريا، وفي منتصف الليل طلب الإمام البيان وحذف منه عبارة وردت فيه تقول: «إن النظام الملكي هو أبشع أنظمة الحكم، ولم يكن فيه شيء من مصاديق الإنسجام مع أنظمة الحكم الإسلامي حتىٰ في زمن النبي الأكرم ﷺ».

وقد سألوا الإمام عن سبب حذفه لهذه العبارة فقال: «إن بقاءها يؤدي إلىٰ قطع رقاب إخوتنا وهم في الحجاز»!

ثم تم توزيع نسخ هذا البيان علىٰ نطاقٍ واسع في مكة والمدينة ومنىٰ، وقد اعتقلوني إثر ذلك وسجنوني، ثم جاؤوا بنسخةٍ من البيان وقد وضعوا خطوطاً حمراء تحت العبارات التي تهاجم أميركا والحكومات العربية، فانتبهت إلىٰ مقصود الإمام وقلت: لو لم يحذف الإمام تلك العبارة لقتلونا بلا شك[2]!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٤.

خذوا وثيقة من غيري بقبضِ هذه الأموال

جاء أحد التجار الإيرانيين زائراً للنجف وهو يحمل مبالغ ضخمة من الحقوق الشرعية بهدف تسليمها للإمام، وكانت الحكومة الإيرانية علىٰ علم بنيته، كما كانت تعتقل في تلك الأيام مَن يذهب للقاء الإمام ويسلِّمه الحقوق الشرعية من الزوار الإيرانيين. وقد التقىٰ هذا التاجر بالإمام وقدم له تلك المبالغ وقال: هذه من الحقوق الشرعية جئتُ من إيران لتسليمها لسماحتكم بهدف إنفاقها علىٰ الحوزة العلمية. لكن الإمام رفض استلامها فألحّ التاجر قائلاً: لقد جئتُ بها من مكانٍ بعيد خصيصاً لتسليمها لسماحتكم، فقال الإمام: «ليس من صالحكم أن أستلم أنا منكم هذه الأموال، إذهبوا بها إلىٰ أحد المراجع وسلموها له وخذوا منه وثيقةً باستلامها»!

ولم ينفع إلحاح التاجر في إقناع الإمام باستلام هذه الحقوق فاضطر إلىٰ الذهاب إلىٰ بيت مرجع آخر وسلمه الأموال وأخذ منه وثيقة الاستلام.

ولما رجع إلىٰ إيران اعتقلته سلطات نظام الشاه عند الحدود بتهمةِ حمل مبالغ ضخمة للإمام في النجف وهذا ما أنكره بقوة وقال: إنني لم أسلمه ولا شاهياً واحداً له، لقد سلمت أموال الحقوق الشرعية إلىٰ غيره. وأخرج وثيقة الاستلام الممهورة بخاتم المرجع الآخر وقدمها لهم!

ولو كان الإمام قد استلم الأموال منه وأعطاه وثيقة بذلك، فلعله كان تعرض للسجن والبقاء فيه إلىٰ آخر عمره إضافةً إلىٰ تعريضه للتعذيب[1].

---

(١) آية الله الشيخ الشهيد الصدوقي. المصدر السابق.

سيطولُ سفركم هذه المرة

حاصر البعثيون منزل الإمام في النجف في سنة ١٣٥٧ هـ.ش، [١٩٧٨م] ومنعوا اتصال الأهالي به، وذلك بهدف إجباره علىٰ الخروج من النجف. وفي تلك الأيام بعث ياسر عرفات رسالة إلىٰ الإمام الذي كتب له رسالة جوابية كان من الضروري أن يحملها إليه شخصٌ يسافر من أجل ذلك إلىٰ لبنان، وقد تقرر أن أسافر أنا إلىٰ لبنان فيما يرتبط بهجرة الإمام إليها وذلك لدراسة مدىٰ مناسبة الأوضاع في سوريا لإقامته فيها، ولما اكتمل إعداد رسالة الإمام إلىٰ عرفات سلموها لي، ثم دخلت علىٰ الإمام لتوديعه وكان جالساً وحده علىٰ ما أتذكر، فقلتُ لسماحته: إنني عازمٌ علىٰ السفر اليوم إلىٰ سوريا ولبنان. وكنا كلما أردنا السفر دخلنا عليه لتوديعه وتقبيل يده، فكان يدعو لنا عادة، ولكنه هذه المرة ابتسم وقال: «يبدو أن سفركم هذه المرة سيكون طويلاً»! قلت: كلا، سأسلمُ رسالتكم وأعود بعد يومين أو ثلاثة. فلم يعلق بشيءٍ علىٰ قولي. وكانت إشارته إلىٰ طول سفري لا سابقة لها من بين سفراتي السابقة.

وعلىٰ أي حالٍ توجهنا إلىٰ بغداد برفقةِ أخينا الشيخ فردوسي بور، وكان من المقرر أن يأتي السيد الدعائي أيضاً ويسلمنا بعض الوثائق نحملها معنا إلىٰ سوريا. وعندما وصلنا المطار سلمت حقيبتي إلىٰ المسؤولين عن شحن الحقائب في الطائرة، وجلسنا بانتظار ساعة الإقلاع، لكننا لاحظنا ـ مُنذ البداية ـ أن وضع المطار غير عادي، فجميع المسؤولين الأمنيين كانوا يرتدون يومها ملابس مدنية لكنه كان واضحاً أنهم من أعضاء منظمة الأمن العراقية، ثم جاء أحدهم وقال: مَن المسافر منكم، قلتُ: أنا، قال: تعالَ معي، فقمتُ وأخذ بطاقة الطائرة مني وأمر بإرجاع حقيبتي من الطائرة، ثم أفرغوها وأخرجوا ما فيها أوراق، ثم اصطحبني إلىٰ الطبقة الثانية لمبنىٰ المطار حيث يقع فيها

مركز منظمة الأمن الخاص بالمطار. جلسنا هناك وتحدثوا معي حدود الساعة ثم جاؤوا بجواز سفري ومعه ورقة أمروني بتوقيعها، فسألتهم: ما هذه؟ قالوا: إقرأها بنفسك، فقرأت المكتوب فيها فوجدتها تتضمن تعهداً بعدم دخولي الأراضي العراقية مرةً أخرىٰ وإلىٰ الأبد! وأن مخالفة هذا التعهد تستتبع التعرض للعقاب القانوني!!

لقد رفضت أولاً توقيع هذا التعهد بكل حيلة لكنهم أجبروني علىٰ توقيعه في النهاية وعندها انتبهت فجأةً إلىٰ مغزىٰ قول الإمام لي: «يبدو أن سفركم هذه المرة سيكون طويلاً»[1].

أرىٰ أنّ السيد خوئينها سيرجع!

عزمتُ في إحدىٰ السنين علىٰ الذهاب للحج، وكان ممثل الإمام في الحج يومها حجة الإسلام والمسلمين السيد خوئينها، وقد نقل السيد أحمد ـ قبل السفر للحج ـ أن الإمام قال: «أرىٰ أن السيد خوئينها سيرجع»[2]!

وعندما كنا في المدينة هاجم جلاوزة النظام السعودي مقر بعثة الإمام ليلاً وبوحشية، ولم تنفع المفاوضات في التوصل إلىٰ إتفاق، فنقلونا ـ بالتالي ـ مع جميع أعضاء البعثة في الساعة الواحدة من ظهيرة اليوم التالي إلىٰ المطار ومنه بواسطة طائرة عسكرية إلىٰ مطار جدة حيث عدنا علىٰ متن طائرة كانت قد أُعدت للإقلاع مسبقاً إلىٰ مشهد ومنها إلىٰ طهران[3]!!

وجدتُ الإمام مطلعاً علىٰ ما مرَّ بي!

رأينا ـ خلال سني ملازمتنا لخدمة الإمام ـ أشياءً يمكن أن نسميها

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي.

(٢) يقصد ـ رضوان الله عليه ـ أنه سيرجع قبل أداء مناسك الحج وهذا ما تحقق بالفعل. [المترجم].

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران)، العدد: ٨٦.

كرامات، منها ما رواه أحد علماء أصفهان قال: جئت بمبلغ من المال إلىٰ الشام ومنها إلىٰ بغداد ـ وكان إدخال الأموال إلىٰ العراق يومها صعباً للغاية ـ فلاحظت في المطار أنهم يفتشون بدقةٍ كل مكان، ولذلك سيطر عليّ الاضطراب وعدم الإرتياح، وعندها توسلتُ بالإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام وقلتُ: لقد جئتُ بهذا المال لولدكم يا سيدي، فأنقذنِي مما أنا فيه.

وإثر ذلك مباشرة جاء شخص من موظفي الحكومة العراقية وناداني وأخرجني من القاعة دون تفتيش! وعندما وصلت النجف ثم دخلتُ علىٰ الإمام سلمتُ عليه فابتسم وقال: «لقد حدثت لك مشكلة في المطار وتوسلت بالإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام ـ»!! فوجدته مطلعاً علىٰ ما مرَّ بي[1]!

علمتُ أنه ولا شك مرتبطٌ بعالم آخر!

وصلت للإمام يوماً رسالة من أحد وكلائِهِ في أفغانستان، فقال لي «اسألوا عن عنوانه لكي أبعث له بالجواب»، وكان الإمام يومها في النجف وكانت الحكومة الطاغوتية تمنع عبور نسخ الرسالة العملية الفقهية للإمام عبر الحدود وحتىٰ بواسطة البريد؛ ولذلك اتّفقنا مع المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي علىٰ إرسالِ شخصٍ عبر الطريق البحري دون اطلاع أحد علىٰ ذلك حتىٰ الإمام لأننا كنا نعلم أنه لن يسمح لنا بإرسال نسخ رسالته العملية إلىٰ أفغانستان، فلم يكن من الذين يرضون بإرسال رسالته العملية لأحد.

ثم قال لي ثانية: «أسأل عن عنوان هذا السيد لكي أبعث له الرسالة الجوابية»، فقلت: لا حاجة لذلك، يوجد مسافرٌ إلىٰ أفغانستان، نبعثها معه، فقال: «لا ترسلوا الرسائل العملية، هذا العمل غير جائز»، ثم قال

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا السجادي الأصفهاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.

وقد ظهر عليه عدم الارتياح: «يفعلون كل ما يشاؤون دون أن يخبروني»!! ثم دخل إلىٰ بيت العائلة من منزله.

عندها علمت أنه ولا شك مرتبطٌ بعالم آخر، لأنه لم يكن يعرف بالأمر غيري وغير المرحوم الشيخ الخلخالي(١).

أخفىٰ الإمام يده خلاف عادته!

من الذكريات التي أحملها عن سني الإقامة في النجف الأشرف هي المرتبطة بالليالي التي كان الزوار الإيرانيون يلتقون بالإمام في الحرم العلوي، لقد كانوا يزدحمون عليه لتقبيل يديه وحتىٰ رجليه، ولكن السيد لم يكن يسمح لأحدٍ بتقيل رجليه بل وكانت محاولة بعضهم القيام بذلك تؤذيه كثيراً.

وبسبب ازدحام الزوار الإيرانيين عليه في الحرم لتقبيل يديه كنا نقف بالقرب منه نراقب الوضع تحسباً لأي حادثة، وفي إحدىٰ الليالي، وبعد أن أتمَّ الإمام تلاوة الزيارة وهو مستقبلٌ للوجه المبارك لأمير المؤمنين عليه السلام توجه إلىٰ جهة الرأس الشريف لتلاوة الزيارة الثانية، فسرتُ أمامه وسار بعض الإخوة خلفه، وعندها لاحظتُ أن أحد الأشخاص يصرُّ علىٰ أخذ يد الإمام من الخلف وتقبيلها، فأخفىٰ الإمام ـ خلاف عادته ـ يديه تحت عباءَتَهُ وأسرع في سيره إلىٰ جهة الرأس الشريف.

وقد عرفنا بعد مدة استناداً إلىٰ تقارير وصلتنا أن بعض أعضاء منظمة الأمن الشاهنشاهي (السافاك) قد كلفوا بمهمةِ إيذاء الإمام وإلحاق الأذىٰ به بحجة أخذ يده من الخلف لتقبيلها! ولكن الإمام ببصيرته النافذة وببركة اللطف الإلهي عرف حقيقة الأمر، فلم يسمح لأحد بأخذ يده حتىٰ الذين سعوا لذلك من الجهة الأمامية(٢).

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين القرهي، المصدر السابق، ج ١.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا رحمت.

استغرب الجميع من عدم ذهابه للحرم في تلك الليلة

كان الإمامُ ملتزماً بالدخول إلىٰ قسم الاستقبال في منزله «البراني» بعد ساعتين ونصف بالضبط من غروب الشمس حيث كان يجلس فيه للقاءات العامة ثم يقوم بعد نصف ساعة لزيارة الحرم العلوي الطاهر، وكان هذا برنامجه اليومي الثابت باستثناء بعض الليالي الخاصة، ولكن في حالةٍ فريدة قام الإمام من مجلسه في البراني في الوقت المحدد لزيارة الحرم ودخل بيت العائلة بدلاً من الذهاب للحرم!!

استغرب الحاضرون من ذلك، لأنه كان يبدو في صحةٍ جيدة ولا يمنعه عادة من الذهاب للحرم إلا المرض الشديد! لم يعثر حتىٰ المقربون للإمام عن تفسير لامتناعه عن الذهاب للحرم كعادته، إلىٰ أن حلَّ اليوم التالي وعرفوا بأن السفير الإيراني في بغداد قد جاء إلىٰ النجف ودخل الحرم العلوي في الساعة نفسها التي التزم الإمام بالتشرف فيها بزيارة الحرم العلوي، وقد أقيمت مراسم لكي يُقدم السفير سجادة كهديةٍ من الشاه للحرم!

لقد زال الاستغراب من عدم توجه الإمام للزيارة في تلك الساعة، عندما اتضح أن عملاء الشاه ـ الذين كانوا يعلمون بثبات الموعد اليومي لدخول الإمام حرم أمير المؤمنين عليه السلام قد اختاروا هذا الموعد بالذات لإجراء هذه المراسم وتصويرها والإمام حاضرٌ في الحرم، وهدفهم الحقيقي تنفيذ مؤامرة إعلامية خبيثة ضد الإمام[١].

قولوا له أن يخلع عمامته ثم يدخل!

خلال أيام إقامة الإمام في باريس، أعدَّ الأعداء خطة لاغتيال

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

الإمام، وقالوا لأحد عملائهم من المتسترين بالزي العلمائي: أنت معمم ويُمكنك وضع المسدس في عمامتك والدخول علىٰ الخميني واغتياله!

وعندما جاء هذا الشيخ إلىٰ محل إقامة الإمام وطلب لقائِهِ، دخلوا علىٰ الإمام وقالوا له: جاء أحد العلماء وهو يطلب اللقاء بسماحتكم، فأجاب: «قولوا له أن يخلع عمامته أولاً ثم يدخل»!!

وبذلك تم إحباط إحدىٰ المؤامرات الخطيرة للمنافقين[1].

سنعود معاً إن شاء الله

عندما أعلن الإمام عزمَهُ علىٰ العودة إلىٰ إيران من باريس، أعلن النظام الشاهنشاهي عن إغلاق المطارات الإيرانية، وكنت أنا أيضاً عازماً علىٰ العودة إلىٰ إيران فلم أستطع فدخلت علىٰ الإمام الذي سألني: «ألم تذهب إلىٰ إيران بعد؟!» قلت: مطار طهران مغلق، قال: «ماذا تريد أن تفعل؟»، قلت: إسمحوا لي بالذهاب عن طريق البلدان العربية ومنها إلىٰ إيران عبر الطريق البري لكي أوصل بيانكم. فقالوا: «إبقَ هنا سنعود معاً إن شاء الله»!

لقد قال الإمام ذلك في وقتٍ أعلن النظام الشاهنشاهي أنه لن يسمح له بالدخول إلىٰ إيران أبداً[2]!!

لا تذهبوا الآن، هنا منزلكم

اشتريت بطاقة للعودة إلىٰ إيران بعد مدة من الإقامة في باريس، وكان موعد إقلاع الطائرة هو الساعة الثالثة بعد الظهر، ولكن آية الله الشيخ الإشراقي ـ رحمه الله ـ قال لي: لقد أخبرتُ الإمام بعزمكم علىٰ

---

(١) مجلة (أميد إنقلاب)، العدد: ١٣٨.

(٢) السيد حبيب الله العسكرأولادي.

العودة إلىٰ إيران فطلب رؤيتكم. وإثر ذلك دخلت علىٰ الإمام فسألني: «هل تريدون العودة؟» قلت: نعم، فقال: «لا تذهبوا الآن، ابقوا هنا، هنا منزلكم»!

أطعتُ أمره ولم أذهب، وفي مساء اليوم نفسه سمعت في نشرة أخبار الساعة الثانية عشر مساءً خبراً عن محاصرة بيت في شارع «آبادانا ونيلوفر» في طهران واعتقال مَن فيه بتهمةِ المشاركة في النشاطات الثورية. وكان هذا المنزل هو منزلي! كانت لي فيه حصة النصف ولإخواني النصف الآخر، وكنا قد وضعناه قبل ذلك التأريخ بعام تحت تصرف مجموعة من الإخوة الثوريين بهدف إخفاء الأسلحة وطبع البيانات وغيرها من النشاطات الثورية[١]!

هل يمكن أن يخبرني إمام الزمان (عج) بما لا يصدقه الواقع؟!

كنتُ يوماً في منزل الشيخ الفاضل اللنكراني من أساتذة الحوزة العلمية في قم وكان عنده أيضاً أحد علماء مشهد الفضلاء وقد نقل عن أحد أصدقائِهِ أنه قال: زرت الإمام في النجف الأشرف وجرىٰ الحديث عن الأوضاع في إيران فقلت لسماحته: ما هذا الذي تقولونه عن لزوم إخراج الشاه من إيران؟! إن من غير الممكن إخراج مستأجر من البيت الذي يستأجره، فكيف تريدون إخراج ملك البلد؟!

سكت الإمام ولم يجبني فتصورت أنه لم يسمعني فأعدت عليه قولي، وعندها انفعل وقال: «ما الذي تقوله يا فلان؟ هل يمكن أن يخبرني بقية الله إمام الزمان صلوات الله عليه بما لا يصدقه الواقع ـ نستجير بالله من ذلك ـ، الشاه يجب أن يخرج»[٢]!

---

(١) السيد مصطفىٰ كفاش زادة.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الكوثري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ١٢٥.

لعل هذا الحكم قد صدر من ناحية إمام الزمان (عج)

في يوم (٢٢) بهمن [١١/ ٢/ ١٩٧٩م] أمر الإمام أبناء الشعب بالخروج إلىٰ الشوارع ونقض مقررات الحكم العسكري إعلاناً لرفضه لها، فأخبروا آية الله الطالقاني ـ رحمه الله ـ بذلك وكنت حاضراً في منزله فاتصل عبر الهاتف بالإمام في مدرسة علوي وظل يتحدث معه ساعة أو نصف ساعة، وكان الإخوة خارج الغرفة وهم يسمعون آية الله الطالقاني يكرر القول للإمام: إنكم يا سيدي لم تكونوا في إيران في الأعوام السابقة، إن هذا الحكم خبيث للغاية لا يتورع عن شيءٍ ولا يرحم صغيراً ولا كبيراً، إلغوا ما حكمتم به من الخروج للشوارع...

كان السيد الطالقاني يكرر باستمرار توضيحاته بشأن خباثة النظام الشاهنشاهي وإجراميته بهدف ثني الإمام عن قراره وحكمه بلزوم خروج الأهالي إلىٰ الشوارع. ثم التفت الإخوة أن السيد الطالقاني قد وضع سماعة الهاتف فجأةً، وجلس في زاوية من الغرفة وقد ظهر عليه تأثرٌ شديد! فدخلوا عليه وهم يتصورون أن الإمام قد كلمه بلهجةٍ عنيفةٍ مثلاً ونهاه عن التدخل في الأمر ولذلك ألحوا علىٰ آية الله الطالقاني لأن يخبرهم بما جرىٰ فقال ـ رحمه الله ـ: لم يقبل الإمام كل ما قلته له بهذا الشأن ولما رأىٰ إلحاحي وعدم اقتناعي قال لي: «أيها السيد الطالقاني، لعل هذا الحكم قد صدر من ناحية إمام الزمان»! ولما سمعتُ منه هذه الجملة ارتعشت يدي فودعته لأنني لم أعد قادراً علىٰ الردِّ عليه(١).

سيُعلن الإمام بعد لحظات ما يجب أن نقوم به

قبل أن يكتب الإمام بيانه بشأن نقض حالة الحكم العسكري التي أعلنها النظام الشاهنشاهي في يوم (٢١) بهمن؛ دخل إحدىٰ الغرف،

---

(١) السيد محمود مرتضائي فر.

وجاء الشهيد المطهري ـ رحمه الله ـ وقال: سيعلن الإمام بعد لحظات ما يجب علينا القيام به، وبعد دقائق عاد الشهيد المطهري وقال: يقول الإمام: «إلىٰ أن أتم كتابة البيان اذهبوا وأعلنوا رفض الخضوع لإعلان الحكم العسكري، وأنّ علىٰ الجماهير الخروج إلىٰ الشوارع وإسقاط حالة الحكم العسكري قبل البدء بتنفيذها»[١].

لهذا السيد ارتباط معنوي بجهاتٍ أخرىٰ

عندما اتخذ الإمام قرار كسر حالة الحكم العسكري ومقررات الطوارىء، كان المرحوم آية الله الطالقاني في مكانٍ آخر، وقد روىٰ لنا الذين كانوا قرب السيد الطالقاني في ذلك الوقت أنه كان يبكي وهو يقولُ عبر الهاتف: قولوا للإمام أن يجتنب هذا الإجراء لكي لا تغرق طهران وإيران في بحر الدماء أما الإمام فقد قال بحزم: «قولوا لسماحته: كلا سيُنفذ هذا الإجراء». ثم وضع السيد الطالقاني سماعة الهاتف وقال ـ وهو يبكي ـ: أما أن نكونَ نحن لا نفهم شيئاً وإما أن يكون لهذا السيد ارتباطٌ معنويٌ وروحانيٌ بجهاتٍ أخرىٰ[٢].

رؤيا تلهمه حادثة استشهاد البهشتي

رأىٰ الإمام رؤيا في منامه قبل استشهاد الدكتور البهشتي ألهم بها بوقوع مثل هذه الحادثة للشهيد البهشتي، لقد كنا قد قررنا الذهاب في منتصف شهر شعبان إلىٰ أصفهان لزيارة والدة السيد البهشتي، لكن السيد ذهب يوماً قبل سفرنا إلىٰ الإمام، ولما عاد من لقائِهِ كان التغيّر والأذىٰ بادياً عليه، فسألته عن سبب ذلك فقال: لقد أوصاني الإمام بأن لا أسافر الآن وأن أشدد المحافظة علىٰ نفسي، لأنه رأىٰ رؤيا ترتبط بي.

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الكروبي، مجلة (أميد انقلاب)، العدد: ١٠٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين علي أكبر ناطق النوري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٢٨٠.

سألته بإلحاح عن هذه الرؤيا لكنه لم يفصح عنها، ولا أدري لماذا، لعله كان يرىٰ مصلحة في عدم الإفصاح عن ذلك. وفي يوم إقامة مجلس الفاتحة علىٰ روحه بعد استشهاده جاءت السيدة زوجة الإمام إلىٰ منزلنا فسألتها عن رؤيا الإمام فقالت: لقد رأى الإمام في منامه أن عباءته محترقة، ولذلك أوصىٰ السيد الهشتي بأن يشدد المحافظة علىٰ نفسه وقال: «أنت عباءتي التي احترقت في تلك الرؤيا»[1]!

لم نجد للإمام أثراً!!

كنا نبقىٰ في بعض الليالي بالقرب من الإمام لمراقبة حالته الصحية بسبب مرضه القلبي، وقد مررنا عليه ليلةً في الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل فلم نجده في غرفته. خرجت من الغرفة بسرعة وناديت أحد أفراد عائلته وقلتُ له: أنتم أعرف بغرف المنزل فابحثوا عن الإمام فيها، فذهب وفتش جميع الغرف ثم عاد وقال: لم أجد الإمام في أي منها! فازداد تعجبنا من ذلك وقلنا: وكيف يمكن أن لا يكون الإمام موجوداً في المنزل، إنه موجود هنا ولا ريب ولكنكم لم تروه، فقال الشخص المشار إليه وبكل ثقة: لقد فتشت كل مكانٍ بدقةٍ ولم أجده!!

ثم اضطررت أن أنادي سيدة أخرىٰ من عائلة الإمام للغرض نفسه، ففتشت بدقةٍ كل زاوية في المنزل حتى بيت الخلاء، لكنها عادت بالجواب نفسه: الإمام غير موجود!! ولقد أثار فينا هذا الأمر المزيد من التعجب مع شيءٍ من الخوف، فأين يمكن أن يكون قد ذهب الإمام في هذا الوقت من السحر، أردت إخبار السيد أحمد بالأمر فأخبروني أنه سافر إلىٰ قم، فازداد قلقي، فطلبت للمرة الرابعة من الشخص الأول أن يعاود البحث عن الإمام بدقةٍ، فذهب ليجد الإمام جالساً علىٰ حافة

(١) السيدة زوجة آية الله الشهيد البهشتي، مجلة (زن روز)، العدد: ٨٧١.

سريره!! فغرق في التعجب مما يرىٰ! وعندما عاد وأخبرني بما رأىٰ ذهبت مسرعاً إلىٰ غرفته فدخلتُ عليه لأراه مبتسماً!!

ولم نعرف إلىٰ اليوم الجواب علىٰ هذا السؤال: أين قضىٰ الإمام تلك الدقائق[1]؟!

انقطع اتصالنا بالإمام وفقدناه!!

كان قلب الإمام يخضع علىٰ مدىٰ الساعة لمراقبةٍ طبية خاصة بواسطة جهاز له اتصال لاسلكي بغرفةِ المراقبة حيث كان يوجد دائماً طبيبان وممرضان علىٰ أهبة الاستعداد لإتخاذ اللازم لو تعرض قلب الإمام لأزمةٍ طارئة. وذات يوم اتصل الأطباء عبر الهاتف وقالوا لي: لقد انقطع اتصالنا بقلب الإمام (وكانت هذه ظاهرة غير عادية)، فابحث عنه وأخبرنا أين هو؟ ذهبتُ إلىٰ غرفته فلم أجده فيها، ثم ذهبت إلىٰ الأماكن التي يتمشى فيها عادةً، فلم أجده أيضاً، اتصلت بالمكتب حيث رفع السماعة أحد أحفاده فسألته: هل جاء السيد إلىٰ المكتب؟ فأجاب بالنفي، ثم طلبت من الحاج عيسىٰ أن يبحث عنه، فبحث في كل مكانٍ دون جدوى. وعندها عدت إلىٰ غرفته مرةً أخرىٰ فوجدته واقفاً في غرفته وهو ينظر إلىٰ السماء! وإثر ذلك اتصل الأطباء وقالوا: لقد عاد الإرتباط بجهاز المراقبة!!

الإمام: قولوا لي أنتم ما هو واجبي؟!

روىٰ لنا أحد الإخوة كان يخدم في بيت الإمام فقال: حالفني مرةً توفيقُ ملازمة الإمام ليلةً كاملة بسبب عدم وجود أحد من أعضاء المكتب مَن يبقىٰ عنده فيها. وفي سحر تلك الليلة شاهدته يستيقظ لصلاة الليل، وكنت أسمع

---

(١) الدكتور بور مقدس.

(٢) السيد رحيم ميريان.

ـ من خلف باب غرفته ـ صوت تضرع وبكائِهِ بصوتٍ عالٍ وبحرقة وهو يناجي ربَّهُ. وبعد أن أتمَّ صلاته شعرتُ بأنه يتحدثُ مع شخصٍ!!

تعجبتُ كثيراً من ذلك، لأنه لم يكن يوجد غيره في غرفته، قرّبت أذني من باب الغرفة ـ وكان مغلقاً ـ وألصقتها بها وأصغيتُ بدقة لكي أسمعَ ما يقولَهُ، فسمعته يقول مرتين وبكل تواضع: «قولوا أنتم الآن، ما هو واجبي وما الذي يجب عليَّ أن أقوم به»!!

عندما سمعت هذه الكلمات أسرعتُ بالذهاب إلىٰ الزاوية التي يمكن منها رؤية مَن في داخل غرفة الإمام عبر نافذتها لكنني كلما سعيت إلىٰ الإلتفات إلىٰ النافذة لكي أرىٰ مَن في الغرفة لم أستطع القيام بذلك!

لقد شعرت وكأن شخصاً قد أمسكَ برقبتي وبقوة منعتني بالكامل عن إدارةِ رأسي باتجاه النافذة ورؤية ما في الغرفة!!

ولما يئستُ ـ بعد كثرة محاولاتي ـ من قدرتي علىٰ الإلتفات برأسي لرؤية مَن في غرفة الإمام رجعت إلىٰ مكاني السابق. وفي الصباح دخلتُ علىٰ الإمام وأخبرته بما جرىٰ لي في الليلة الماضية، فقال لي: «لا يحق لكم التحقيق والتفتيش في مثل هذه الحالات عندما تبقون هنا»!

وبعد مدة روىٰ أخٌ آخر من العاملين في بيت الإمام أنه كان في سحر أحد الليالي إلىٰ جوار غرفة الإمام الذي كان منشغلاً بالعبادة والتهجد السحري، فرأىٰ هذا الأخ نوراً شديدَ التألق والتوهج يشع من جهة نافذة غرفة الإمام، فسعىٰ بكل حيلة النظر لغرفة الإمام من جهةِ نافذتها لكنه لم يستطع أن يرىٰ شيئاً[1]!!

وصول الأخبار للإمام بلا وسائل!

كانت الأخبار تصل الإمام بدون واسطة ينقلها له وقبل أن تصلنا

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني.

نحن! لقد كان الإمام ينبه مسؤولي الدفتر إلىٰ بعض القضايا التي لم يطلعوا هم عليها ولم تنشر في أي صحيفة أو تقرير من التقارير الخاصة، والنماذجُ علىٰ ذلك كثيرة. فمثلاً في يومٍ من أيام شهر رمضان أيام إقامته في قم وكانت لقاءاته متوقفة ولم يكن يستقبل أحداً، خرج فجأةً إلىٰ قسم «البراني» وقال: «يبدو أن شخصاً يأتي إلىٰ هنا منذ ثلاثةِ أيام لمراجعتي في أمر وأنتم تمنعونه من الدخول»!!

فلما حققنا في الأمر عرفنا أن امرأة تراجع المكتب مُنذ ثلاثة أيام طالبةً لقاء الإمام لحل اختلاف وقع بينها وبين زوجها! ولم نعرف إلىٰ اليوم كيف عرف الإمام بأمر هذه المراجعة[1]!!

عليك برعاية هذه العلوية!

حظيتُ ـ بتوسطِ أحد الإخوة ـ بافتخار أن يكون الإمام هو المجري لعقد زواجي، وعندما ذهبنا ـ أنا وزوجتي وأبوها ـ إلىٰ بيت الإمام لإجراء العقد، أخذ الإمام كالمعتاد طرف وكيل الزوجة فيما أخذ الشيخ التوسلي طرف الوكالة عني، وبعد إجراء العقد قال الإمام لزوجتي وقد أخذت يده لتقبيلها: «كوني طيعة له»، ثم التفت إليّ، وقال: «عليك برعاية هذه العلوية»!

لقد اشتد تعجبنا يومها ـ ونحن ننظر إلىٰ وجهه النوراني البشوش ـ من كيفية معرفة الإمام بانتماء زوجتي إلىٰ ذرية رسول الله ﷺ[2]!!

علمه المسبق باستشهاد الأشرفي الأصفهاني

كان الإمام يكنّ مودة خاصة للشهيد الأشرفي الأصفهاني، وقد عانقه

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٥٠.
(٢) السيد محمد الأغاني.

في آخرِ لقاءٍ يجمعهما، وهذا ما لم يكن يفعله في السابق أبداً! وقد قال لي الشيخ الأشرفي بعد خروجه من لقاء الإمام: لقد أدركتُ من طريق تعامل الإمام معي هذه المرة أن هذا هو لقائي الأخير به. وقد استشهد الشيخ الأشرفي بعد يوم واحد من هذا اللقاء[1]!!

لنلتقط معاً صورة تذكارية

قال آية الله الشهيد الأشرفي الأصفهاني قبل استشهاده: لقد نظر لي الإمام خلال زيارتي له هذه المرة بطريقةٍ خاصة وقال لي: «لنلتقط معاً صورةً تذكارية»[2]!

استجابة دعائِهِ

حالفني مرةً توفيق زيارة الإمام وتقبيل يده، وقد قلتُ لسماحته بعد السلام عليه: إن المقاتلين في فوج «كربلاء الأهواز» يسلمون عليكم ويسألونكم الدعاء، فقال بلهجةٍ مفعمةٍ بالرأفة مقرونة بابتسامةٍ خاصة: «ليحفظكم الله ـ إن شاء الله ـ».

ويجب اعتبار هذا الدعاء من كراماته حقاً! لأننا كنا مرابطين في مدينة «ماووت» العراقية وهي تقع في أسفل الوادي وكانت القوات العراقية توجه صوبنا نيران أسلحتها بكثافة من المرتفعات المحيطة بالمدينة، لكننا ـ والله يشهد ـ لم نخسر ـ ببركة دعاء الإمام ـ سوىٰ عدد قليل من الشهداء والجرحىٰ علىٰ طول عدة شهورٍ بقينا خلالها في المنطقة، رغم أن العدو كان يسعىٰ بتكثيف قصفه لنا باستمرار إلىٰ إلحاق أكبر الخسائر بنا وإجبارنا علىٰ ترك مواقعنا[3]!!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد الأشرفي الأصفهاني، صحيفة كيهان (٢٣/ ٧/ ١٣٦٤ هـ.ش).
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأديب، صحيفة كيهان (٢٢/٧/١٣٦٨ هـ.ش).
(٣) السيد مهدي شريف نيا.

اطمئنوا من أن الإنتصار حليفكم

زرت بيت الإمام ـ برفقةِ الأخ محسن الرضائي وعدد من مسؤولي وقادة حرس الثورة ـ لتقديم التعازي بمناسبة الذكرىٰ السنوية لوفاته إلىٰ ولده المذكور به السيد أحمد الخميني، وقد بكينا جميعاً وبحرقة لفراق هذا العزيز الراحل خلال هذا اللقاء، وقد قال الأخ محسن الرضائي يومها وهو يبكي بحزنٍ عميق: كان الإمام ـ بروحه المطمئنة وبعظمته الروحية ـ هو الذي يتصدىٰ لمساعدتنا ويحل مشاكلنا، كلما واجهنا مشكلة في الحرب والعمليات العسكرية. وأشار الأخ الرضائي إلىٰ نموذج ذلك، وهو أن العراق قامَ قبل عمليات «الفتح المبين» بهجوم إجهاضي أثارَ قلقاً شديداً وتردداً قوياً لدىٰ القادة الميدانيين تجاه البدء بهذه العمليات، وأضاف الأخ الرضائي قائلاً: أتيت إلىٰ طهران بواسطة طائرة مقاتلة من طراز (أف ٥) ولم تستغرق الرحلة أكثر من عشر دقائق وكان الهدف هو معرفة ما يجب علينا القيام به، وقد استقبلنا الإمام رغم أن الوقت كان مساءً ورغم عدم وجود موعد مسبق للقاء، عرضنا عليه المشكلة وقلنا: من المحتمل أن العراق قد عرف بعزمنا علىٰ شن هذه العمليات. لكنه قال ـ بكل سكينة وأمل وثقة ـ: «كونوا علىٰ اطمئنان من أن الانتصار سيكون حليفكم في هذه العمليات. تحركوا ولا تسمحوا لأي تردد أن يجد طريقاً لنفوسكم»!

ثم قال الأخ الرضائي: نحن في الواقع مدينون في الإنتصارات العظيمة التي حققتها عمليات «الفتح المبين» إلىٰ القوة المعنوية العالية التي بعثها الإمام ـ بروحه الواثقة ـ في القادة وفي جند الإسلام[1].

بركة استجابة دعائِهِ

أعطاني أحد الإخوة مبلغاً كبيراً من المال كحقوق شرعية لكي

---

(١) السيد غلام علي الرجائي، كتاب (شريك الصلوات).

أوصلها إلىٰ الإمام، كخمسٍ شرعي كان بذمته. وعادة ما يقوم الذين بذمتهم مبالغ كبيرة من الحقوق الشرعية لا يستطيعون دفعها مرةً واحدة؛ بمداولتها لكي يدفعونها تدريجياً، ولكن هذا الأخ دفعها لي كوجبةٍ واحدة وكان مديناً بمبلغ كبيرٍ ولذلك قال لي: اطلبوا من السيد أن يدعو لي.

وعندما تشرفت بزيارة الإمام ونقلت له قضية صاحبنا قال: «أسأل الله أن يوفقه لكي يستطيع تسديد ديونه خلال سنة». فقلت: يا سيدي أدعو الله بدعاءٍ له، أنتم تدعون له بتسديد ديونه! فقال: «هذا الدعاء هو دعاءٌ له»!

ولما نقلتُ ما جرىٰ مع الإمام لهذا الأخ قال: صدق الإمام، هذا الدعاء هو دعاءٌ لي! لقد كانت ديونه من الضخامة إلىٰ درجة لم يكن يرجو معها أن يقدر علىٰ تسديدها علىٰ مدىٰ ثلاث أو أربع سنين أخرىٰ! ولكن أوضاعه المادية تحسنت فجأة وتوفق للحج في السنة الأخرىٰ، وكان يقول دائماً: إني علىٰ يقين من أن هذا التحسن هو ببركة دعاء الإمام، إنني لم أكن أرجو أن أقدر علىٰ تسديد هذا المبلغ في سنة كاملة، لكن وضعي في العمل والكسب قد تحسن ولله الحمد وإنني عازمٌ علىٰ الحج ثانية في هذا العام أيضاً. ولم يقتصر الأمر علىٰ أن هذا الأخ قد تمكن من تسديد جميع ديونه بل إنه قد حسب أرباح عمله وقدم في رأس تلك السنة ضعف ما قدمه في سابقتها من الخمس الشرعي(١).

ستصعد بنفسك إن شاء الله

كلفنا في أوائل سنة ١٣٦٠ هـ.ش، [١٩٨١م] بمهمةٍ عسكرية هي أن نهاجم بثمان قاذفات جوية القوات العراقية المحتشدة بالقرب من منطقة شوش، وقد تصدت لنا المضادات الجوية العراقية بنيران مكثفة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ١، ص ١٤٨.

جداً الأمر الذي أدىٰ ـ مع الأسف ـ إلىٰ إصابة إحدىٰ طائراتنا بصواريخها، وكان الشهيد الخضرائي يقود هذه الطائرة، وقد تمكّنا ـ بجهود مكثفة ومضنية ـ من أن نسوق طائرته إلىٰ داخل أراضينا وقد قذف بنفسه منها في أطراف مرتفعات «خرم آباد». وبعد تنفيذ هذه المهمة ذهبنا ـ وكنا ستة عشر طياراً بيننا الشهيد الخضرائي شاركنا في تنفيذ عدة عمليات عسكرية مهمة ـ إلىٰ زيارة الإمام في جمران، وعندما دخلنا عليه كان جالساً في الشرفة عند السياج وإلىٰ جوار الباب المؤدية إلىٰ حسينية جمران، وقد توالينا علىٰ السلام عليه وتقبيل يده بترتيب الأدوار التي قمنا بها في تلك العملية، وعندما اقترب الشهيد الخضرائي ـ وكانت يده مشدودة بالجص بسبب كسر أصابها عندما هبط بالمظلة من طائرته ـ من الإمام، سأله: «ما الذي أصاب يدك؟» أجاب: لقد سقطتُ وانكسرت. فقال الإمام بداهة: «ستصعد بنفسك إن شاء الله»! فقبّل الشهيد الخضرائي يدَّ الإمام وهو يبكي ثم خرجنا.

وبعد أسبوع من هذا اللقاء عُيِّن الشهيد الخضرائي قائداً للقاعدة الجوية الثالثة وكان ذلك بعد فرار بني صدر الخائن من البلد، ثم استشهد الأخ الخضرائي بعد مدةٍ فشاهدتُ بعيني تحقق ما قاله الإمام بشأنه[1].

نهانا عن السفر للحج

عزمنا في إحدىٰ السنين علىٰ الحج برفقةِ (١٢) شخصاً من الأصدقاء، وفي ليلة استعدادنا للسفر جاؤنا برسالة شفهية من الإمام تنهانا عن السفر في هذا العالم، فأطعنا أمر الإمام المفاجيء ولم نحج في تلك السنة التي شهد فيها موسمُ الحج وقوع حريق عظيم في خيام الحجاج[2].

---

(١) نقلاً عن أحد طياري القوة الجوية الإيرانية، مجلة (أرمغان)، العدد: ١١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا السجادي الأصفهاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.

بيان موسم الحج الذي حيّر الجميع

في سنة ١٣٦٦ هـ.ش، [١٤٠٧ هـ.ق] أصدر الإمام كعادته في كل عام بياناً موجهاً لضيوف الرحمن بمناسبة موسم الحج، وقد ذهبنا للحج في تلك السنة ولاحظنا مُنذ بداية وصولنا إلىٰ مطار جدة وإلى يوم إقامة المسيرة في المدينة المنورة أن تعامل الحكومة السعودية وموظفينا جيدٌ للغاية وكنا راضين منه كثيراً فلم نكن نتوقع أن تعامل الحكومة السعودية إيران والإيرانيين بمثل هذا التعامل الطيب! ولذلك توقع جميع الإخوة العاملين في بعثةِ الحج أننا سنشهد هذا العام واحداً من أعظم مواسم الحج، ولكن بيان الإمام كان يشيرُ إلىٰ شيءٍ آخر!

يروي السيد أحمد نجل الإمام أن حالةً من التعجب والحيرة قد سيطرت عليه عندما لاحظ الآية الكريمة التي افتتح بها الإمام بيانه والمقدمة التي اختارها له، فقد دعا الحجاج فيها إلىٰ الشهادة والهجرة علىٰ وفق السيرة الحسينية! يقول السيد أحمد: عندما قرأت البيان صعب عليّ كثيراً الاقتناع بهذه المقدمة، ثم عرضته علىٰ السيد الأنصاري فكان رأيه مثل رأيي، فدخلتُ علىٰ الإمام وقلت: إن ما أقوله يا سيدي لا يعبّر عن اعتقادي وحدي بل عن اعتقاد باقي الإخوة أيضاً، نحن نعتقد أن الآية التي تصدرت البيان ومقدمته لا تناسب أبداً موسم الحج ومناسكه! فأجابني الإمام: «ابعثوا هذا البيان بأسرع ما يمكن إلىٰ وسائل الإعلام وإلىٰ الحجاج الإيرانيين في المدينة»!!

وعندما وصلنا البيان قرأناه ـ أنا والشيخ الكروبي ـ علىٰ جميع الإخوة المسؤولين في البعثة، وقد استغربنا نحن أيضاً منه ولم نعرف أي وجه لاختيار هذه الآية الكريمة لبيان بمناسبة الحج، ولذلك اتصلنا هاتفياً من المدينة ببيت الإمام فقال لنا السيد أحمد: لقد قلتُ للإمام مثل قولكم هذا لكنه قال: «ابعثوا البيان مصدراً بهذه الآية وهذه المقدمة»!!

لقد صدر هذا البيان في اليوم الأول من شهر ذي الحجة في حين أن فاجعة مكة الدامية وقعت في اليوم السادس منه، وهذه القضية تؤكد أكثر وأكثر سمو المرتبة العرفانية للإمام وهي من معجزاته التي قلّ نظيرها[1].

الاستشفاء بيده من مرض الجيوب الأنفية!

حالفني التوفيق في سنة ١٣٦٨ هـ.ش، [١٩٨٩م] للفوز بزيارة الإمام وتقبيل يده، وذلك بتوسط آية الله الشيخ يوسف الصانعي. وقفتُ ـ وقد غمرني الشوق ـ خلف جدار الساحة الصغيرة لبيت الإمام في صف القادمين للسلام عليه وتقبيل يده، وكنت أقترب خطوة خطوة من تحقق أمنيتي العتيدة، كنت أرىٰ الذين يرجعون من السلام عليه وتقبيل يده وقد جرت دموع الشوق من عيونهم، قلتُ لأحدهم ـ وكان مستمراً في البكاء ـ: لا مسوغَ للبكاء أثناء زيارة الإمام! فأجابني: إن هيبة هذا الرجل العظيم تجعل الإنسان يذهل عن نفسه ويفقد السيطرة علىٰ مشاعره، ليس الأمر بيدي ولا أستطيع منع دموعي من أن تنهمر!

ثم دخلتُ شيئاً فشيئاً ساحة البيت وتقدمت إلىٰ الأمام بمشقة وسط الزائرين لكي أرىٰ طلعة الإمام النورانية وما أن وقع بصري عليها انقلب حالي بالكامل وجرت الدموع من مقلتي دون اختيار، فمسحتها بهدوء لكي لا ينتبه الآخرون إلىٰ بكائي ولكن الجميع كانوا يبكون مثلي!

كان الإمام جالساً علىٰ درجة الشرفة وقد وضع يده علىٰ السياج الحديدي، كنتُ متوجهاً إليه بكل وجودي وأنا أقضي ألذ لحظات حياتي فقد شعرتُ وكأني في محضر رسول الله ﷺ وعندما وصلتُ النوبةُ إليّ أخذتُ يده الكريمة ـ وكانت لطيفة ودافئة للغاية ـ ومسحت بها ـ بحرصٍ ـ وجهي وشممتها وقبلتُها.

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مهدي إمام الجمراني.

كانتْ تلك اللحظات تمر بسرعةٍ، فسمعتُ وكأن هاتفاً يهمس في أذني: يا فلان، أنت مصاب مُنذ أمد طويل بمرض الجيوب الأنفية المزمن، وتعاني منه آلاماً مبرحة وقد عجز الأطباء عن معالجتك فأطلب الشفاء الآن فقد حانت الفرصة لذلك»!

عندها مسحت جبهتي ووجهي بتلك اليد الكريمة وقلتُ: اللهم إني أقسمُ عليك بعظمةِ وكرامة هذا السيد من أولاد النبيﷺ أن تشفيني!

ومُنذ ذلك الحين زالت عني بالكامل ـ ببركة وكرامة هذا العبد المخلص للخالق والمحبوب عند الخلق ولله الحمد ـ آلام مرض الجيوب الأنفية ولم يُشاهِد فيّ أي أثر منه بعد هذا اللقاء فنسيت موعد إجراء العملية الجراحية الذي كنتُ قد أخذتُهُ من الطبيب[١]!!

شفيتُ بدعائِهِ من القرحة المعدية

لي صديق اسمه السيد عرب وهو من قدماء الطلبة الأصفهانيين في الحوزة ومن محبي الإمام. كان يعاني علىٰ مدىٰ (١٥) عاماً من مرض القرحة في معدته وإلىٰ درجةٍ كانت تمنعه من الصوم فلم يكن يطيق الجوع أبداً، وقد قال له الأطباء أن من الضروري إجراء عملية جراحية له. وبعد انتصار الثورة وعودة الإمام إلىٰ طهران ومنها إلىٰ قم، قال لي هذا السيد يوماً: لقد زرت الإمام مرةً وطلبت منه الدعاء دون أن أقول له شيئاً!! لكنني نويت أن يشفيني الله تبارك وتعالىٰ لكي أستطيع الصوم في هذا العام.

وفي سنة ١٣٦٣ هـ.ش، [١٩٨٤م] سافرتُ إلىٰ مدينة مشهد

(١) الشهيد قاسم علي الكبيري، صحيفة سلام، (١٥/٨/١٣٧٣ هـ.ش).

المقدسة للزيارة فرأيت السيد عرب هناك فقال لي: لقد وفقني الله للصوم في العامين الماضيين، فمنذُ زيارتي للإمام وطلبي الشفاء ودعائِهِ لي شفيت من مرضي بالكامل[1].

صلة الإمام أرجعت لي سلامتي

أهدينا للإمام ـ في بدايات انتصار الثورة ـ ديواناً ضمّ مجموعة من القصائد نظمها الإخوة في جمعية منشدي الأشعار الدينية وتم طبعها في كتاب مشترك. وقد استدعوني يوماً إلىٰ مكتب الإمام بعد انتقاله إلىٰ طهران، وعندما راجعت المكتب قالوا لي: لقد قال الإمام: «إنني لا أستطيع الإعراب عن تقديري لشعراء الجمعية بتقديم صلة لهم، إن صلتهم علىٰ الإمام الحسين عليه السلام ـ».

وإلىٰ جانب ذلك أعطاني الإمام مقداراً من المال لتقسيمه بين الشعراء، وكان مبلغُ هذه الصلة (١٢٧) ألف تومان، والله يشهد أن عدد هؤلاء الشعراء كان (١٢٧) شاعراً بالضبط لكننا لم نكتب للإمام مع هديتنا رسالةً ولم نذكر له بأي طريقة أبداً عددنا! ورغم ذلك وصلتنا عطية الإمام بحيث يكون لكلٍ منا ألف تومان! وقد وضعت في ظروفٍ ورقية مستقلة ووزعت علىٰ الشعراء.

وكان أحدهم مريضاً فلم يستطع المجيء لاستلام صلته فذهبت إليه بنفسي وقدمت له الظرف، فسألني: ما هذا؟ قلت: صلةٌ من الإمام. وعندها أجهش بالبكاء وقال: إننا لسنا أهلاً لهذه الصلة، ثم أخذ الظرف وقبله. وبعد أسبوع حضر في اجتماعنا الأسبوعي وطلب أن يتحدث، ثم ذهب إلىٰ خلف المنصة وقال:

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا السجادي الأصفهاني في كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٢٣١.

لم تكن لدي قدرةٌ علىٰ النظر والمشي لكي أحضر الاجتماع الأسبوعي، لكنني أقولُ لكم إنني راجعتُ خمسة أطباء أيام مرضي، فأجمعوا أنني مصابٌ بمرض «سرطان الدم» وأن عليّ أن أسافر للعلاج خارج إيران، لكنني لم أكن أملك هذا المبلغ.

وعندما وصلتني هذه «الألف تومان» من الإمام أعطيت قسماً منها لأحد الإخوان كان عازماً علىٰ السفر للزيارة وطلبت منه أن يشتري لي بها كفناً. ثم اشتريتُ ببقية المبلغ دواءً من الصيدلية. تناولت مقداراً من الدواء، ونمتُ في تلك الليلة بكل راحة خلافاً لما كان عليه حالي في الليالي السابقة، إذْ لم أكن أستطيع النوم إلىٰ الصباح! ثم راجعت الطبيب في صباح اليوم التالي وقلت له: أشعر بتحسنٍ كبيرٍ في حالتي الصحية! ففحصني وقال: يجب أخذ بعض التحاليل والصور الطبية لكم. وقد أُخذ لي ذلك ورآه اليوم خمسةُ أطباء فأجمعوا أن دمي سالمٌ من كل مرضٍ!!

لقد جئتُ اليوم إلىٰ هنا لكي أخبركم بأن صلة الإمام هذه هي التي أرجعت إليّ سلامتي[1]!

سيشفىٰ إن شاء الله، قل لوالديه أن لا يقلقا

كان لأحد أصدقائنا طفلٌ مريضٌ يعاني من آلام في قدميه ولا يستطيع المشي، وكان حاله يؤذي أباه كثيراً، وكان الأب يعلم أن بعض الأطفال يحملون إلىٰ الإمام ليمسح بيده المباركة علىٰ رؤوسهم وكان في بدايات إقامة الإمام في جمران حيث كانت زيارته أيسر: فقال لي هذا السيد يوماً: إن ابننا معوق ولا يستطيع المشي، وقد راجعنا الأطباء دون جدوىٰ، فإذا كان ممكناً خذوه إلىٰ الإمام.

---

(١) السيد محمد علي المرداني.

حملت الطفل ـ وكان عمره حدود ثلاث سنين ـ عصر أحد الأيام إلىٰ الإمام وأخبرته بحاله، فمسح بيده علىٰ رأسه وقبله ودعا الله له وقال: «سيشفىٰ إن شاء الله، قل لوالديه أن لا يقلقا». قلت: إن والده يعمل في إحدىٰ المؤسسات الحكومية. فقال: «لا، لا يقلقا، تتحسن صحته إن شاء الله».

ثم حملتُ الطفل وخرجت من عنده، وكان الطفل يضحك بعد أن مسح الإمام بيده علىٰ رأسه، هذا ما رأيته بنفسي، ثم أخذه والده الذي تجمعت الدموع في عينيه وشكرني، وكانت والدة الطفل واقفة إلىٰ جانبي وقد ظهرت عليها ملامح السرور.

ولي أنا أيضاً ولدٌ كان مبتلىً بمرضٍ خبيث وكان شفاءُهُ ببركةِ دعاء الإمام أيضاً، لا أشك في ذلك أبداً، فقد اشتد به المرض حتىٰ أشرف علىٰ الموت ثم نجا من الموت ببركةِ دعاء الإمام، وكان الأطباء قد قالوا لي إن هذا المرض مهلك لا نجاة منه. وقد سافرت بولدي قبل عامين لمعالجته في باريس، فرأيت هناك الصديق المذكور ـ وهو الآن سفير إيران في سويسرا أو إنجلترا ـ وقد جاء إلىٰ باريس لأمرٍ، ورأيت معه طفلاً ابن خمس أو ست سنين وهو يركض ويضحك ويتحدث بالفرنسية والإنجليزية، فقال لي: هل تعرف هذا الطفل أيها الشيخ الثقفي؟ قلت: لا، قال: إنه الطفل الذي حملته بنفسك إلىٰ الإمام بقصد الإستشفاء! فقلت متعجباً: أحقاً ما تقول؟ قال: نعم لقد شفي وهو الآن يذهب إلىٰ المدرسة، وإنني واثق من أن شفاءَهُ كان ببركة دعاء الإمام ومسحه علىٰ رأسه بيده المباركة[1]!!

دعا لي الإمام

أصبت بمرض عضالٍ في الجهاز العصبي اضطرني إلىٰ السفر

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ١، ص ١٤٧.

للخارج بهدف العلاج. لقد طالت معالجة هذا المرض مدة طويلة للغاية، راجعت تقريباً جميع الأطباء المجربين في داخل إيران وعدداً من الأطباء في خارجها، لكنني لم أرجع من أي منهم سوىٰ باليأس. وقد شاع بين الإخوة والأصدقاء أن مرضي لا علاج له ويجب التفكير ببديلٍ لي [كممثلٍ للإمام] في قوات الدرك، وقد خيّم اليأس علىٰ أفراد عائلتي أيضاً من إمكانية شفائي من هذا المرض، وعلىٰ أي حال كان الأمل بشفائي ضعيفاً للغاية فزرت الإمام وقلت ـ بعد السلام عليه ـ: لقد عجز الأطباء عن معالجتي، وهذا يعني أن علاج مرضي محال حسب المعايير الطبية، لذلك ألتمسكم أن تدعو لي، ادعوا لي عسىٰ الله أن يشفيني فأتمكن من مواصلة الخدمة، فدعا لي الإمام، وأُشهد الله أن صحتي بدأت تتحسن تدريجياً إثر ذلك[1]!

يشفى قلبها ببركةِ منديل الإمام

أصاب ابنة عمي مرضٌ عضال سنة ١٣٦١ هـ.ش، [١٩٨٢م]، وقد طلبت إدارة المستشفىٰ مبلغاً ضخماً لمعالجتها من مرضها وهو يرتبط بصمامات القلب، فذهبت والدتي إلىٰ بيت الإمام وطلبت لقاءه بإلحاح، ولما رأىٰ مسؤولوا المكتب بكاؤها أخبروا الإمام بأمرها فقال: «قولوا لها أن تدخل»، ثم قال لها أثناء اللقاء: «ما هي مشكلتك يا ابنتي؟»، فعرضت مشكلتها ولما عرف الإمام بارتفاع تكاليف علاج ابنة عمي وعدم قدرتها المالية علىٰ توفيرها، أخذ ورقة صغيرة وكتب عليها لمسؤولي المستشفىٰ: «تعالج مجاناً». وإثر ذلك سعت والدتي لتقبيل يده تعبيراً عن شكرها ومودتها له فسحب يده بسرعةٍ، ثم أخرج منديله من جيبه وأعطاه لوالدتي وهي تخرج من الغرفة وقال لها: خذي هذا المنديل وضعيه علىٰ قلب ابنتك ستشفىٰ إن شاء الله»!

(١) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٣.

وعندما رجعت والدتي إلىٰ المستشفىٰ وضعت المنديل علىٰ قلب المريضة، ثم أعدّها الأطباء لإجراء العملية الطبية العلاجية لها، وعندما أخذوا الصورة الطبية اللازمة لذلك سيطرت عليهم الحيرة والدهشة، فقد وجدوا قلبها سالماً لا أثر لأي مشكلة في صماماته، لقد تحسن بالكامل وعاد إلىٰ حالته الطبيعية[١]!!

شفي ولدي فجأة دون علاج

طوال سني نفي الإمام بقي بيتُهُ في قم مفتوحاً يديره السيد أحمد وآية الله السيد بسنديده وباقي المقربين، حيث كان مركزاً لاستمرار العلاقة بين الإمام والأمة وأقطاب الثورة. وفي يوم عيد الأضحىٰ ـ قبل انتصار الثورة ـ هاجم جلاوزة النظام الشاهنشاهي الدموي الجماهير المحتشدة بالقرب من بيت الإمام إثر خروج آية الله شهيد المحراب الشيخ الصدوقي لمشاركة الجماهير في مسيرة كان من المقرر القيام بها في ذلك اليوم إلىٰ جانب إقامة مراسم خاصة.

وكان هذا أول هجومٍ يقوم به جلاوزة النظام علىٰ الجماهير داخل الأزقة وقد وسعوا في ذلكَ اليوم نطاق حملاتهم وأطلقوا القنابل المسيلة للدموع لمنع اجتماع الجماهير، وقد كاد ولدي ذو الثلاثة أعوام يومذاك أن يموت اختناقاً بسبب هذه القنابل بعد أن تسمم بسبب غازاتها وهو علىٰ كتفي، وقد سارع الأهالي في نقل الشيخ الصدوقي إلىٰ بيت الإمام فيما كنت أنا قد التجأت ـ لإنقاذ ولدي ـ إلىٰ الطابق السفلي في بيت مقابل بيت الإمام وجدت بابه مفتوحاً، وكان عددُ الجرحىٰ يزداد باستمرار وإطلاق الجلاوزة لرصاص بنادقهم يشتد في الهواء وباتجاه الأهالي مباشرة، وقد ازدادت حالة ولدي سوءً أثناء ذلك، وقد استشهد

---

(١) السيد نعمة الله السليماني.

في ذلك اليوم وفي المكان نفسه السيد بشارت ـ وهو شقيق الشهيد بشارت الذي استشهد في فاجعة الإنفجار الذي وقع في مقر حزب الجمهورية الإسلامية بتأريخ ٧/ ٤/ ٦٠ ١٣ هـ.ش، [٢٨/ ٦/ ١٩٨١م]، وكان الأهالي قد نقلوا السيد بشارت إلىٰ المستشفىٰ المعروف بمستشفىٰ «سهامية» ولكنه توفي ولم يستطيعوا إسعافه؛ أما ولدي فقد أصيب إثر ذلك بمرضٍ في الجهاز العصبي وبصعوبة في النطق ثم عجز عن الكلام بصورةٍ كاملة فيما بعد.

لقد راجعت أطباء قم وأطباء المدن الأخرىٰ لمعالجته من هذه الحالة وبقي يخضع للعلاج الطبي عدة شهور ولكن دون جدوىٰ، وكان رأي الأطباء هو أن يعيش هذا الطفل مدةً في عزلة لكي تستعيد أعصابه سلامتها، وقد استمرت عزلته إلىٰ انتصار الثورة!

وفي الأيام الأولىٰ لعودة الإمام أعلمنا هذا الطفل بنفسه ـ وبكلمات متقطعة ـ أن نذهبَ به إلىٰ الإمام وقد أثر طلبه فيّ بعمقٍ، كنتُ أعرف سماحة السيد أحمد من قبل، ولكنني ـ ولتقليل المشقة علىٰ سماحته ـ ذهبت مع زوجتي إلىٰ منزل ابنة الإمام ـ زوجة السيد الأعرابي ـ وطلبت من زوجتي أن تخبرها بحالةِ ولدنا، فدخلت المنزل، وقد تعامل معنا أهله بكل كرم ـ وكانوا يعرفوننا من قبل ـ ووعدوا زوجتي أن يصطحبوا معهم ولدنا في أول فرصة تتاح لهم لزيارة الإمام، وقد وفوا بما وعدوا واصطحبوا زوجتي وولدي معهم في السيارة التي ذهبوا بها من قم إلىٰ طهران. وعندما عادوا في المساء كانت معجزةً وقد وقعت!!

الطفل ـ الذي لم يكن يستطيع النطق بكلمةٍ واحدة بصورةٍ سليمة ـ أخبرنا بنفسه بما جرىٰ! ونحن نبكي من شدة الفرح! وكان ما جرىٰ هو: عندما دخلوا علىٰ الإمام تقدمهم ولدي وألقىٰ بنفسه علىٰ قدمي الإمام، فرفعه الإمام بلطفٍ وسأل ابنته: «مَن هو ضيفنا الصغير هذا؟» ولما

أخبروه بقصته، لاطفه مرة أخرىٰ وقال: «لا تتأذىٰ، ستتحسن حالتك إن شاء الله ـ».

لقد شفي ولدي بالكامل ولكن ليس علىٰ وفق ما قاله الأطباء ـ من أطباء الأعصاب والأطباء النفسيين ـ! إنهم قالوا: إن شفاء الطفل أمرٌ ممكنٌ ولكن علىٰ المدىٰ البعيد وباستخدام أساليب العلاج النفساني، ولكنه شفي سريعاً بالصورة المتقدمة، وقد ذهب إثر ذلك إلىٰ المدرسة وهو الآن طالبٌ في المرحلة الثانوية وهو يعتبر نفسه مديناً للإمام في حفظ حياتِهِ(١).

عاد إليّ بصري ببركةِ ممثل الأئمة(ع)

كنت مرابطاً مع جماعة من الإخوة في جبهة «فياضية» في منطقة آبادان في الشهور الأولىٰ للحرب، وقد أصبت هناك بتأريخ ٢١/ ١٢/ ١٣٥٩ هـ.ش، [١٢/ ٣/ ١٩٨١م] بشظية في رأسي من قذيفة مدفع من نوع «هاون»، وبسببها فقدت بصري وأصابتني حالة من النسيان الكامل إذْ لم يقتصر الأمر علىٰ فقداني الذاكرة بل صرت أنسىٰ بسرعة الحوادث الواقعة فلا يبقىٰ عنها أي شيء في ذهني.

رقدتُ في بادىء الأمر أسبوعاً في مستشفىٰ شركة النفط في آبادان حيث كان الأطباء يشرفون علىٰ معالجتي، ثم نقلوني بتأريخ ٢٧/ ١٢/ ١٣٥٩ هـ.ش، [١٨/ ٣/ ١٩٨١م] إلىٰ طهران لمتابعة العلاج فرقدتُ أولاً في مستشفىٰ «سينا» ثم في مستشفىٰ الشهيد مصطفىٰ الخميني، وعندما فحصني الطبيب أمر بعدم قيامي من السرير حتىٰ لقضاء الحاجة والتخلي لمدة ثلاثة شهور وكان ذلك الوضع يشق عليّ كثيراً.

---

(١) السيد حسين شهرزاد، مجلة (شاهد)، العدد: ١٨٦.

وقد قرر الأطباء أن يشقوا جمجمتي لإخراج الشظية منها وقد قال لي الطبيب: لا ضمانة لتحسن صحتك حتىٰ بعد إجراء هذه العملية، ولكن ينبغي القيام بها لاحتمال نجاحها.

في تلك الليلة وقع في قلبي أن أتوسل بالأطباء الحقيقيين فأطلب الشفاء من الأئمة الأطهار عليهم السلام ثم قلت في نفسي: لا توجد قناة إليهم عليهم السلام أهم وأقدس من ممثلهم أي: إمام الأمة الخميني الذي ذهبت إلىٰ الجبهة بأمره!

وإثر ذلك قلت للأخ الذي يرافقني لرعايتي أن يتصل بأحد رفاقي في الجبهة كان في تلك الأيام يخدم في بيت الإمام ويقول له أن يرتب الأمر لكي أزور الإمام غداً في الصباح الباكر وأحصل علىٰ الشفاء ببركةِ دعائِهِ، وقد نسق هذا الأخر لذلك، ووصلت إلىٰ جمران مع شروق الشمس في الساعة السابعة صباحاً، انتظرتُ مدة ثم جاء الإمام فيها وكنت عاجزاً عن رؤية شيءٍ باستثناء خيط ضعيف من النور لا يمكن به رؤية أي شيءٍ فمثلاً عندما كنت أتقدمُ نحو الشرفة التي يجلس الإمام كان الإخوة ينبهوني إلىٰ لزوم التوقف لأنني أسير باتجاه السياج أو الحائط، كنت عاجزاً بصورة كاملة عن رؤيةِ ما حولي، ولكنني رغم ذلك شعرت ـ عندما جاء الإمام ـ أنني أرىٰ بوضوح طلعته النورانية التي كانت تشرق عليها الشمس، رأيتها بوضوح بذلك الخيط الضعيف من النور الذي لم أكن أستطيع رؤية أي شيءٍ به! وكانت هذه المفارقة عجيبة جداً بالنسبة لي!

أخذ الإخوة بيديّ وقادوني إلىٰ الإمام، قالوا لي: إنك تقترب من الجدار، كانت الدموع قد تجمعت في عينيّ، كنت فرحاً لفوزي بزيارةٍ أخرىٰ للإمام، ثم أحسست بأن ذلك الخيط النوري الضعيف قد ازداد بمقدار، وقد عرفوني للإمام وقالوا له: لقد فقدَ قدرته علىٰ البصر إثر

إصابته في الجبهة، وعندها ابتسم ومسح بيده علىٰ رأسي ووجهي وعينيّ وتلا بعض الأدعية ثم قال: «أرجو من الله الشفاء لكم إن شاء الله».

وقد أوصيت الإخوة أن يأخذوا لي قطعاً من السكر من بيت الإمام للتبرك بها. ثم رجعت إلىٰ المستشفىٰ، وكان الطبيب المعالج لي قد عرف بخروجي، فعنفني علىٰ عدم التزامي بقوله، ثم كتب لي ترخيصاً بالخروج من المستشفىٰ وقال: سأكتب لك دواءً عليك الإلتزام بتناوله علىٰ مدىٰ ثلاثة شهور. فقلت: يكفيني دعاء الإمام، وهذا الدعاء توفيق حصلت عليه حتىٰ لو لم تتحسن صحتي!

رجعتُ إلىٰ المنزل وبقيت فيه (١١) يوماً مجبراً علىٰ ذلك! وأخذتُ أشعر تدريجيّاً أنني أستطيع رؤية جدران الغرفة والشكل العام للمنزل، وكانت حالة رؤيتي للأشياء تتحسن كل يوم حتىٰ قلتُ يوماً لأخي: هل هذه أحجارٌ يا أخي؟ أجاب: نعم، وكان ذلك علامة علىٰ تحسن صحتي، واستمر التحسن بصورةٍ تدريجية. ولكنني مع ذلك لم أكن أستطيع العمل بصورةٍ جيدة، وفي غضون ذلك كان أهلي يلحون عليّ أن أستفيد من هذه الفرصة للزواج! وقد هيأوا مقدماته بالفعل ثم ذهبنا إلىٰ الإمام لإجراء صيغة عقد الزواج، وقد قبلتُ يده ـ قبل إجرائِها ـ وقلت: لقد تحسن وضع بصري ببركةِ دعائكم، فتفضلوا عليّ بمباركة عينيّ مرة أخرىٰ والدعاء لي، فلاحظت أنه لم ينسَ زيارتي له قبل عدة شهور وأنه يعرفني! فمسح مرة ثانية عينيّ بيده وأخذ يدعو لي ثم قال مبتسماً: «حفظكم الله»، ثم سأل عن مقدار المهر وأجرىٰ صيغة العقد وقال لنا ثلاث مرات: «ليتكيف كلٌ منكما للآخر». وإثر ذلك استغنيتُ عن الإستعانة بأحد خلال السير في الشارع ثم تمكنت من قيادة السيارة أيضاً بنفسي!

وأضيف هنا أن والدي ـ رحمه الله ـ كان حاضراً في زيارته هذه

للإمام وكان مصاباً بضعفٍ في بصره ومرض العشىٰ الليلي فكان لا يستطيع رؤية الأشياء في الليل إلا بصعوبةٍ شديدة، وقد استفاد من الفرصة ومسح عينيّه بيد الإمام بقصد الإستشفاء، وعندما قلت له فيما بعد: لقد استعدتُ بصري ببركة الإمام، أقسم هو بالله وقال: لقد ذهبت عني متاعب الرؤية في الليل وتخلصت بالكامل من العشىٰ الليلي وصار بصري جيداً بالكامل[(١)]!!

رأيتُ جدَّ الإمام في المنام

أصابتني رصاصة في الجانب الأيسر من رأسي في يوم (٢١) بهمن وأنا أهاجم من فوق سطح المنزل دبابة بقنابل المولوتوف الشعبية؛ وقد فقدت إثر ذلك قدرتي علىٰ الكلام وكذلك ذاكرتي، كما أصيبت يدي اليمنىٰ ورجلي اليمنىٰ بالشلل ولذلك كانوا ينقلوني بواسطة الكرسي المتحرك، وقد أدىٰ حزن والدتي بسبب ما أصابني إلىٰ إصابتها هي أيضاً بالمرض!

رقدت (٢٧) يوماً في مستشفىٰ الصناعات العسكرية، ثم أرجعوني إلىٰ المنزل كما أرجعوا والدتي أيضاً، وكانوا يقدمون الرعاية الطبية لي وأنا راقدٌ في المنزل. وفي الليلة الثالثة لرجوعي إلىٰ المنزل رأيت جد الإمام في عالم الرؤيا، وفي الصباح طلبت ببكاء وتضرع أن يأخذوني إلىٰ قم لزيارة الإمام، فاستجابوا لطلبي وقد أعانني جده علىٰ الوصول إليه رغم شدة الإزدحام فقبّل وجهي ومسح بيده المباركة علىٰ رأسي، وإثر ذلك بدأت صحتي تتحسن كل يوم ببركة جده المعظم وببركته هو[(٢)]!!

كان من المقرر إجراء عملية جراحية لي

أصبتُ في عمودي الفقري في جبهات القتال، ولذلك ذهبتُ لزيارة

---

(١) اللواء حرس الثورة علي الفضلي.
(٢) السيد غلام رضا العالي، مجلة (شاهد)، العدد: ١٩.

الإمام وأنا علىٰ الكرسي المتحرك وطلبت من سماحته أن يدعو لي، فاستجاب ودعا الله تعالىٰ لي، وكان من المقرر أن تجري لي في اليوم التالي ليوم زيارتي للإمام عملية جراحية كان الأطباء قد صرحوا بأن احتمال نجاحها ضعيف جداً واحتمال موتي فيها كبيرٌ جداً، لكن صحتي تحسنت بعد يومين!!

ولم يكن الأطباء ودوائهم عامل إنقاذي من الموت، بل هو دعاء الإمام[1].

لقد يئس الأطباء من شفائي

أُبتلي حجة الإسلام سماحة السيد تقي الدورجئي بمرضٍ مهلك يئس الأطباء ـ داخل إيران وخارجها ـ من نجاته منه، وتوقعوا موته خلال شهرين أو ثلاثة، فطلب يوماً التشرف بلقاء الإمام، ولما رآه خاطبه بقلبٍ كسير وكلمات معبّرةً عن حالته قائلاً: لقد يئس الأطباء ـ يا سيدي ـ من شفائي وهم يقولون: لا يوجد أملٌ في استعادتك لصحتك وسلامتك». وعندها مسح الإمام علىٰ رأسه ودعا الله له بالعافية والسلامة، وقد مر علىٰ ذلك أربع سنوات ـ إلى اليوم ـ وهو يعيش بعافية!! ويمكن للذين يريدون أن يكون تصديقهم بذلك عن مشاهدة عينية أن يذهبوا لزيارته في محل إقامته في مدينة «ري»[2].

ثم شعرتُ فوراً بالسكينة تغمر قلبي والآلام ترحل عني!

تعرضتُ قبل سنين لضربةٍ في رأسي، إلتئم الجرح الذي أحدثته ولا زالت آثاره باقية، ولكن المهم أن الأذىٰ الناتج منها كان يشتدُ بمرور الزمان، لقد راجعت عدة مستشفيات وفحصني الأطباء وأجريت لي

---

(١) السيد مجيد الدولابي، مجلة (أميد إنقلاب)، العدد ٢١٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران)، العدد: ٨٦.

الكثير من التحليلات الطبية وأخذت لي أيضاً الصورة الطبية بأجهزة (سي، تي، أسكن) المتطورة، ثم تقرر أن تجرىٰ لي عملية جراحية، فرقدت عدة أيام في المستشفىٰ تمهيداً لإجرائها، لكن الأطباء غيروا رأيهم وأجازوا مغادرتي المستشفىٰ لأنهم عرفوا عدم جدوىٰ إجراء العملية لي كما يبدو!

لقد عرفتُ ـ إلىٰ حدٍّ ما ـ طبيعة مرضي، ثم أدركتُ بوضوح كامل حقيقة هذا المرض عندما وقعتْ بيدي نتيجة تحليل طبي لعيّنة أخذت من جسمي، وذلك في مستشفىٰ الإمام الخميني قسم «معراج ٢».

راجعتُ الكثير من الأطباء في قم وأصفهان وطهران وذهبت إلىٰ مختلف المستشفيات عسىٰ أن أحصل علىٰ العلاج الناجع، وقد رقدت في المستشفىٰ مرةً ثانيةً وأجريت لي عملية جراحية صعبة نسبياً ولكن الآلام بقيت شديدة في رأسي كما كانت أجوبة السادة الأطباء علىٰ أسئلتي مبهمة وغير واضحة هذه المرة أيضاً؛ لم يجبني أيٌّ منهم بصراحةٍ بشأن حالتي، كانوا يكتفون في الجواب علىٰ أسئلتي بعباراتٍ من قبيل: الأمر ليس مهماً، ستتحسن صحتك، لا حاجة لعملية جراحية أخرىٰ، لا حاجة لأن تصرف أموالك... لكنهم كانوا يصرحون لأصدقائي بحقيقةِ مرضي ويقولون لهم: آسفون، لا يمكننا القيام بشيءٍ من أجله، فلا تؤذه بأخذه إلىٰ هنا وهناك، إنه لن يعيش أكثر من بضعةِ شهور، دعوه يعيشها في حرية وراحة!

لم يكن الأصدقاء يعرفون ما الذي ينبغي لهم أن يفعلوه؟ إن عبارة «إنه مصاب بالسرطان» عبارة مرعبة تبعث اليأسَ في قلب كل مَن يسمعها، وفي خضم تلك الأيام المليئة بالقلق والاضطراب والحيرة التي كنا نعيشها ـ أنا والأرحام والأصدقاء ـ أخبرنا بأن من المقرر أن يتشرف بزيارة قائد الثورة في حسينية جمران عددٌ من أعضاء بعض المؤسسات

الثورية ومجموعة من المسؤولين، وكنت أحدهم بحكم مسؤوليتي في مؤسسة التعبئة الاقتصادية.

لقد أتيحت لي مثل هذه الفرصة المباركة في الأشهر السابقة علىٰ ذلك التأريخ ولكن لم يحالفني التوفيق لزيارة الإمام بسبب مرضي وإجراء العملية الجراحية لي، أما في هذه المرة، فقلت عزمت بإصرار علىٰ زيارته مهما كانت صعوبة ذلك عليّ وعلىٰ الرغم من ضعف بدني وعجزي عن السير لمسافةٍ طويلة، قلت يومها بقلبٍ كسيرٍ يائس من قدرة جميع الأطباء علىٰ إنقاذي من هذا المرض المهلك: يجب أن أذهب ـ ومهما شقَّ ذلك عليّ ـ إلىٰ جمران عسىٰ أن أنتفع من بركات أجواء حسينية جمران التي تحظىٰ بتجليات الإمام وأنفاسه الزكيّة، ولعل الله يمن عليّ بالشفاء خاصة عند دخول الإمام العزيز إلىٰ شرفة الحسينية وببركة رؤية طلعته الملكوتية وإشارات يده الإلهية.

ذهبتُ إلىٰ جمران ـ رغم الصعوبات ـ ودخلت الحسينية لكنني لم أدخل إلىٰ وسط حشود الزائرين بسبب ضعف بدني، جلست في زاوية من الحسينية، وفجأة شعَّ نورٌ ودخل نائب ولي العصر ـ عجل الله فرجه ـ روح الله وقائد الثورة، لقد انتابتني حينها حالةٌ وجدانية لا يمكن وصفها بالكلام!

وكنتُ قد التقيت ـ قبل دخولي الحسينية ـ بعدد من الأصدقاء الذين سألوني عن صحتي وطبيعة مرضي، وكان بينهم حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني الذي قال لي: أود أن أراك ثانية بعد انتهاء اللقاء بالإمام في الحسينية، وبعد انتهاء خطاب الإمام وشكره لمشاعر زائريه، ناداني السيد إمام الجمراني، وأخذني إلىٰ داخل مقر إقامة الإمام وكان قد مهد لذلك من قبل، وعندما دخلت المنزل أخذني السيد الجمراني إلىٰ غرفة الإمام الجليل، وفي تلك اللحظة وقع بصري علىٰ طلعته النورانية لم أستطع

السيطرة علىٰ نفسي وحفظ توازني رغم كل ما سعيت من أجل ذلك، لقد رأيت الإمام واقفاً أمامي، أجهشت بالبكاء وقبلت يده مراراً، لم يسكن قلبي، وضعتُ جبهتي علىٰ يده والبكاء لا يسمح لي بالكلام، لكنني استطعت بالتالي أن أخاطبه وأنا علىٰ تلك الحال: يا ليتني فزتُ بالشهادة يا سيدي ولم تكن عاقبتي أن أموت بمرض السرطان! يا سيدي، ادعو الله أن يرزقني إما الشفاء وإما الشهادة، لقد فاز بعض أصدقائي بالشهادة، وها أنا أموت بهذا المرض! يا إمامي العزيز ادعو الله لي!

لقد كنتُ قد تشرفت مراراً بزيارة الإمام وفزتُ بكرامةِ تقبيل يده، ولكن حالي هذه المرة كان يختلف عن سابقاتها، لقد أتيته هذه المرة محتاجاً رافعاً يد الاستجداء بقلبٍ كسير قد يئس من كل الأسباب.

مسح الإمام علىٰ عمامتي ودعا الله لي وقال: «لا تقلقوا، يكتب الله لكم الشفاء ـ إن شاء الله ـ»؛ وإثر ذلك قلت له ـ ويده الأخرىٰ لا زالت في يدي وأنا أقبلها وأبكي ـ: يا سيدي، تفضلوا ـ إن كان ذلك ممكناً ـ بأن تمسحوا مرةً أخرىٰ علىٰ رأسي! لقد طلبت ذلك لأنني وجدتُ نفسي في دار الشفاء الحقيقي والعلاج الناجع وبين يدي طبيب روحاني حاذق!

استجاب الإمام لطلبي، فرفعت عمامتي عن رأسي، ومسح قائد الثورة الإسلامية بيده الإلهية علىٰ رأسي المضمد بالضمادات الطبية ودعا الله لي مرة أخرىٰ، وعندها شعرت فوراً بحالةٍ خاصة من السكينة تغمر قلبي، كما شعرت من ذلك الحين بأن ذلك الألم الشديد الذي كنت أحس به باستمرار في رأسي قد صار خفيفاً جداً!!

انتهىٰ اللقاء، وقمتُ خارجاً من محضر الإمام وأنا أبكي، شعرتُ وكأنّ قدميّ لا تطاوعاني في الخروج! خرجتُ وأنا أمشي القهقرىٰ لكي لا أديرُ ظهري للإمام ولكي أحظىٰ بالمزيد من النظرات لطلعته.

وعلىٰ أي حال فقد ابتعدتُ عن الإمام، كانت حالتي غير عادية،

أصابني الاضطراب لفراقي له، كانت دموع الشوق تنهمر من عيني فرحاً بلقائِهِ وبدعائِهِ، اقترح السيد الجمراني أن نذهب إلىٰ المكتب للإستراحة فوافقت، وذهبنا وكان أكثر السادة مجتمعون هناك، جرىٰ الحديث عن مرضي فأدلىٰ كل برأيه بشأنه، سعوا جميعاً للتخفيف عني واتفقوا جميعاً علىٰ القول: لقد حصلت علىٰ الشفاء من الإمام، وإنّ شئتَ السفر إلىٰ خارج إيران فسافر، ولكن لا تسمي سفرك سفراً علاجياً، فقد شفيتَ بالفعل!!

ولكن مقدمات السفر كانت قد أُعدت قبل ذلك اللقاء، ولذلك فقد سافرت إلىٰ ألمانيا بعد عدة أيام ورقدت في مستشفىٰ مدينة «هانور»، وفي أحد الأيام جاءني أحد الممرضين وطلب أن أوقع ورقة قدمها لي وأن أستعد لإجراء العملية الجراحية، فأفهمته بالإشارات أنني لا أعرف اللغة الألمانية وأنني أريد مجيء من يعرفني بمحتوىٰ المكتوب في هذه الورقة. وقد جاء بعد ساعة شخصٌ إيراني وترجم لي المكتوب في هذه الورقة وقال: إن التوقيع علىٰ مثل هذه الورقة يطلب من جميع الذين تُجرىٰ لهم عمليات جراحية ولا يختص الأمر بك، والسبب هو تعدد احتمالات النتائج التي يمكن أن تسفر عنها مثل هذه العمليات!

لقد زادت هذه الكلمات من قلقي خاصة بعد أن قال: أنت تعلم طبيعة مرضك وأن عمليتك حساسة واحتمال خروجك سالماً من غرفة العمليات (٥٠٪)! قال ذلك وهو ينظر تارةً إلىٰ الورقة وأخرىٰ إليّ، لقد فهمت مقصوده وعباراته الأخرىٰ لم تكن أقل وضوحاً من سابقاتها ـ علىٰ ما يبدو ـ لكنني لم أصغِ لها، لقد أشار ضمن كلامه إلىٰ أنني قد أبقىٰ حيّاً بعد العملية ولكن من المحتمل أن أفقد ذاكرتي في هذه الحالة؛ فسألته عن معنىٰ قوله ـ رغم أنني قد فهمته ـ فقال: يعني أن تنسىٰ أسماء أولادك بعد العملية أو أن تنسىٰ ما كنت قد تعلمته من العلوم، أو من المحتمل مثلاً أن يصيبك شلل في نصف بدنك...

أظلم العالم في عيني وأنا أسمع هذه الكلمات وانقطع أملي بكل شيءٍ سوىٰ بالله تبارك وتعالىٰ وبدعاء الإمام، وفي غضون ذلك دقّ جرس الهاتف فجأةً دون أن أنتبه إليه لما كنتُ فيه من اضطراب ذهني وذهول، فنبهوني لكي أرفع سماعة الهاتف، رفعتها فسمعت صوت والدتي التي سألتني بعد مقدمات: كيف حالك؟ هل ستُجري العملية الجراحية لك؟ ماذا قال الأطباء؟ كيف وضعك الآن؟ أجبتها والعبرة تخنقني: لقد انقطع أملي بكل شيءٍ يا أمي، وقد صدق ما قاله أحد الأطباء في إيران، إذْ قال لي: حيثما تذهب تجد لون السماء نفسه! لقد أعرب الجميع عن يأسهم من حالي، الجميع بعثوا اليأسَ في قلبي، لم يبق من سبيل سوىٰ الدعاء، أنا عائدٌ إلىٰ إيران، لا يمكن القيام بشيء، هنا اللهم إلا أن تغيروا أنتم الحال بالدعاء.

فقالت والدتي: يا تقي، هل نسيت دعاء الإمام؟! هل نسيتَ أنه قال لك «لا تقلق! الله يكتب لك الشفاء»؟! هل نسيت أن يد الولاية قد ختمت بمهر الشفاء علىٰ رأسك؟! هل نسيتَ كل ذلك؟! هل نسيت أن أنصار الإمام في بيته قد قالوا لك: لقد شفيت؟! هل نسيت ذلك؟! لقد شفيت ولا ريب ولا شك في أن ثمة خطأ في نتائج التحليلات والصور الطبية التي أخذت لك! لقد شفيت وسترجع سالماً إن شاء الله، فكن مرتاحَ البال، لا تضعف، لا تنسَّ قدرة الله، وغاية الأمر هي: إذ قال لك الأطباء: لا تجري العملية الجراحية، فاجتنبها، أما إذا كان رأيهم إجراءها، فادخل لإجرائها بقلبٍ مطمئنٍ وسترجع سالماً إن شاء الله!

رفعت هذه الكلمات معنوياتي فيما واصلت والدتي كلامها وسألتني: هل يوجد عندك كتاب مفاتيح الجنان؟ قلت: نعم قالت: حسناً، قم ـ فور انتهاء هذا الإتصال الهاتفي ـ وتوضأ واقرأ زيارة عاشوراء مع تكرار اللعن والسلام الواردين فيها مائة مرة لكل منهما، ولا تشك في أنك

ستشفىٰ وترجع إلينا سالماً إن شاء الله ببركةِ يدِّ الإمام ودعائِهِ وببركة زيارة عاشوراء.

انتهىٰ الإتصال الهاتفي وقد تنور قلبي وشعت في باطني هالةٌ من النور، توضأتُ وأخذت بتلاوة زيارة عاشوراء، وقد استدعيت صديقي السيد جواد أثناء تلاوة الزيارة وقلت له: أرجو ـ لو كان ممكناً ـ أن تستدعي الممرض الذي جاء بورقة التعهد وتطلب منه أن يأتيني بهذه الورقة لكي أوقعها! وقد جاؤوا بالورقة، وقد وقعتها بعد إتمام زيارة عاشوراء وتهيأت لإجراء العملية دون أدنى اضطراب أو قلقٍ!!

وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي نقلوني بالسرير النقّال إلىٰ غرفة العمليات، وأنا في حالةٍ جيدة وعاديةٍ للغاية بحيث أنني كنتُ أمازح صديقي أثناء الطريق!! وقد جاء الطبيب الجراح إليّ بعد إجراء العملية وبعد نقلي إلىٰ غرفة الإنعاش (سي، سي، يو)، فناداني وسلّم عليّ ولكنني لم أكن حينها قادراً علىٰ النظر إليه والتكلم معه، لأنني لم أكن أستطيع فتح عيني كما أن وجود أنبوبين طبيين موصولين بمعدتي عن طريق الفم وبالأنف كانا يمنعاني من الكلام، ولكنني كنتُ أسمع بصورةٍ جيدة، لقد سألني عدة أسئلة كنتُ أجيب عليها بالإشارة، كان يريد معرفة فيما إذا كانت ذاكرتي علىٰ حالها أم أنها قد فُقدت جراء العملية، كما أخذ بغرز إبرةٍ في عدة مناطق من بدني ليعرف فيما إذا كان الشلل قد أصابني بسبب العملية أم لا، ثم عرفتُ من ضحكه وحركاته المعبرة عن شدةِ سروره أن العملية كانت ناجحة وقد تيقنت من ذلك بعد سماعي بعض الكلمات التي كان يتبادلها باللغة الإنجليزية مع طبيب آخر، وكان يكرر عبارة: لم يكن هذا النجاح في نتائج العملية متوقعاً أبداً!! ثم انقضت بضعة أيام أخرىٰ قضيتها للنقاهة هنا عدت بعدها سالماً إلىٰ إيران الإسلامية!

ثم تشرفت مرة أخرىٰ بزيارة مرجعي ومقتداي سماحة الإمام لكي أجدد عهد الوفاء والمودة له وأكحّل ناظريّ بتراب قدمه وأنوّر بصري بنور طلعته البهية.

لقد تنبأ الأطباء المتخصصون في إيران وأوروبا بأنني لن أعيش أكثر من ثلاثة أو أربعة شهور أو أكثر من ذلك بقليل، لكنني لا زلت حيّاً إلىٰ اليوم وقد مضىٰ علىٰ موعدهم أربع سنوات وستة شهور!! وها أنا أواصل حياتي في كامل الصحة والسلامة ببركة يد الإمام الإلهية ودعائِهِ المستجاب وببركة زيارة عاشوراء العظيمة[1]!

آثار القطع السكرية التي باركها الإمام بدعائِهِ

اتصل بي هاتفياً يوماً السيد الخليلي ـ وهو رجلٌ مؤمنٌ يعملُ في منظمة الهلال الأحمر ـ كان الاضطراب واضحاً علىٰ صورته، أخبرنا أن أحد الإخوة الطيبين للغاية اسمه السيد الأكبري قد أصيب في جبهات القتال بشظيةٍ في رأسه، وحالته الصحية سيئة للغاية وقد يئس الأطباء من إمكان إنقاذه، وأن الأمل الوحيد هو بالله وبدعاء الإمام. ثم طلب مني ـ بإلحاح ـ أن نهيأ لهذا الأخ عدداً من القطع السكرية نحملها أولاً للإمام يباركها بيده الكريمة ويتلو عليها دعاءً، ويدعو الله من أجل شفاء هذا الأخ العزيز...

استجبت لطلبه وأخذت عدداً من قطعِ السكر ودخلتُ علىٰ الإمام وأخبرته بالأمر، فباركها وتلا عليها دعاءً ثم دعا الله لهذا الأخ بالشفاء والسلامة، ثم أخذتها من سماحته ورجعت بها إلىٰ المكتب فوجدت السيد الخليلي قد وصل إلىٰ المكتب فأخذها مني وعاد مسرعا؛ وبعد عدة أيامٍ اتصل بي هاتفياً مرةً أخرىٰ، وشكرني بسرور وتعجب يطفحان

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد تقي الموسوي الدورجني، مجلة (شاهد)، العدد: ١٩٥.

علىٰ كلماته وأخبرني بأن صديقه قد عَبَرَ مرحلة الخطر وأن صحته آخذةٌ بالتحسّن الأمر الذي أثار دهشة الأطباء! ثم اتصل بي هاتفياً بعد عدة شهور وضمن تجديد الشكر طلب بطاقة لذلك الجريح الذي شفي من إصابته الخطيرة لكي يتشرف بلقاء الإمام وتقبيل يده، وقد حضر هذا الأخ للزيارة بكل نشاط وحيوية وسلامة!!

وقد حدثني هذا الأخ قائلاً: إن الطبيب المتخصص الذي كان يعالجني ـ وهو من مشاهير الأطباء ـ أعرب عن يأسه الكامل وبلغة صريحةٍ جازمة من إمكان شفائي، لكنه قال لي بعد تحسن صحتي: نحن الأطباء لا نؤمن بالمعجزة عادة، لكننا عندما نرىٰ حالةً مثل حالتك التي تتغير فيها الحالة الصحية لكم فجأةً إلى النقيض، ويقوم أحدكم ـ بعد بضعة أيام من اليأس من احتمالات شفائِهِ ـ ويمشي علىٰ قدميه ويستعيد صحته، عندها نضطر للإيمان بالمعجزة[١]!!

شفي ببركة بقايا طعام الإمام

شارك ابني مهدي ومعه ابن خالته في عمليات حلبجة «والفجر ١٠»، وقد استشهد هو فيها، أما ابن خالته فقد أصيب في حبل النخاع الشوكي، ونقلوه فوراً إلىٰ إحدىٰ المستشفيات فقالوا: لا جدوىٰ من معالجته، فالعصب النخاعي قد انقطع، ثم نقلوه إلىٰ مستشفىٰ الإمام الحسين عليه السلام في طهران، فأيد الأطباء القولَ نفسه، كما فحصه الأطباء المتخصصون بأمراض الأعصَاب في مستشفىٰ الطالقاني وقالوا: لا جدوىٰ من معالجة هذا العصب فيه، انقلوه إلىٰ إحدىٰ مصحات المعوقين لمعالجة جروحه الأخرىٰ. ثم تم نقله إلىٰ مستشفىٰ الشهداء حيث قال أطباءها: يمكن أن نجري له عملية علىٰ هذا العصب ولكن احتمال نجاحها لا يزيد علىٰ نسبة الواحد بالمائة، وفي

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (في ظل الشمس)، ص ١٦٧.

غضون ذلك أضيف علىٰ مرضه العضال مرضٌ آخر هو انحباس البول! ثم عرض علىٰ أطباء مستشفىٰ «لبافي نجاد» فقالوا لنا: اصبروا عدة شهور فمن المحتمل أن يشفىٰ من مرض انحباس البول، أما معالجة انقطاع عصب الحبل الشوكي فلا جدوىٰ منها أصلاً!

ثم عدت أنا إلىٰ منزل الإمام، فرأيت مقداراً من طعامه قد بقي في الإناء، فأخذته إلىٰ المستشفىٰ بقصد التبرك والاستشفاء وقدمته لهذا الشاب وأخبرته بالأمر وقلت: أرجو أن تشفى ببركة الإمام، فتناول هذا الطعام، وشفي من مرضه بعد ساعتين.

لقد زال عنه مرضُ انحباس البول كما أن رجليه استعادتا القدرة علىٰ الحركة تدريجياً ثم أخذ يمشي بهما(١)!!

إنني أدعو الله لك كل ليلة

زرتُ الإمام بعد إصابتي بالمرض الذي ابتليتُ به، فصرح لي قائلاً: «إنني أدعو الله لك في كل ليلةٍ»، وقد أحاطني ـ أنا الحقير ـ بكل تلك الألطاف والرعاية، وقد أكد لي الطبيب الذي عالجني مراراً، بأن تحسن صحتي هو من آثار الرعاية الإلهية وببركة الدعاء، وعقديتنا الجازمة هي أن دعاء الإمام هو في صدارة كل دعاء(٢)!

يد الإمام فيها الشفاء

أصيب أحد أرحامنا اسمه السيد قاسم بمرضٍ غريب هو أنه إذا سمع صوت إطلاق الرصاص يُصاب أولاً بالحكة في جميع أعضاء بدنه ثم يصيبه خوف ورعب شديد ثم تظهر علىٰ بدنه فقاعات جلدية مؤلمة

---

(١) السيد رحيم ميريان.

(٢) آية الله الآزدي القمي، صحيفة كيهان، (٢٨/٣/١٣٦٦ هـ.ش).

وتظهر عليه حالة مؤذية جداً. وفي إحدىٰ الليالي أخذت جميع المضادات الجوية المنصوبة في منطقة جمران بإطلاق نيرانها في وقت واحد لاختياره عملها، وفي غضون ذلك دخل الإمام حسينية جمران فلاحظ السيد قاسم في حالةٍ شديدة من الاضطراب والأذىٰ والرعب، فوضع يده المباركة علىٰ صدره وقال: «لا تقلق»!!

وقد قال هذا الشخص فيما بعد: فور وضع الإمام يده المباركة علىٰ صدري زال عني الخوف والرعب بالكامل ولم تحدث لي تلك الحالة المؤلمة بعد ذلك أبداً حتىٰ أثناء القصف الجوي أو الصاروخي، إنني لم أتخلص من تلك الحالة المؤلمة إلا ببركة يد الإمام التي فيها الشفاء[١]!

ألهم موعد وفاته

يبدو أن الإمام كان قد أُلهم أن وفاته ستكون في شهر خرداد بل كان يعلم بذلك فهو يقول في بعض قصائده: «أنتظر الفرج في منتصف شهر خرداد»[٢]!

رؤيا الإمام قبيل وفاته

روىٰ سماحة السيد أحمد الخميني ـ بعد عدة أيام من وفاة الإمام ـ عن والدته المكرمة أن الإمام رأىٰ قبل حدود شهر ونصف من إجراء العملية الجراحية له رؤيا حدّث بها زوجته وقال لها: «لا أرضىٰ بإخبار أحد بهذه الرؤيا ما دمتُ علىٰ قيد الحياة»، وهذه الرؤيا هي أنه رأىٰ في المنام أنه قد توفي وأن الإمام علي عليه السلام قد غسله وكفنه وصلىٰ عليه ثم ألحده في القبر وقال له: «هل ارتحت الآن؟» فأجاب: «ثمة حجر عند

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مهدي إمام الجمراني.
(٢) السيد حميد الأنصاري، مقابلة إذاعية بثت عبر الإذاعة الإيرانية.

جانبي الأيمن يؤذيني»، فمسح أمير المؤمنين عليه السلام بيده المباركة على الجانب الأيمن من بدن الإمام فزال عنه الأذى[1].

رؤيا للشهيد المطهري

رأيت في المنام مرةً أنني أطوفُ بالكعبة المعظمة مع السيد الخميني، فرأيت فجأةً أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يقترب مني بسرعة، فانسحبت ـ والرسول يتقدم ـ احتراماً للسيد الخميني وأشرت إليه وقلت: يا رسول الله هذا السيد من أولادك، فاقترب صلى الله عليه وآله من السيد الخميني وقبله ثم اقترب مني وقبلني، ثم وضع شفتيه على شفتيّ، ولم يرفعهما، فانتبهتُ من نومي من شدة الفرح وأنا لا زلت أشعر بحرارة شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله[2]!!

قام الرسول ـ (ص) ـ والأئمة ـ (ع) ـ احتراماً له

استناداً إلى معلومات موثقة فإن آية الله العظمى السيد الكلبايكاني قد استيقظ مضطرباً في الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم السبت ١٣/٣/١٣٦٨ هـ.ش، [٣/٦/١٩٨٩م] ـ أي تزامناً مع ساعة وفاة الإمام، وطلب من خادمه أن يتصل فوراً بآية الله الخامنئي ويسأله عن حال الإمام، وعندما سألوا سماحته عن السبب، أجاب بأنه رأى في منامه رؤيا ملخصها: «رأيتُ في منامي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام جالسين في غرفةٍ، ثم فُتحتْ باب الغرفة ودخل الإمام الخميني فقام الأئمة عليهم السلام جميعاً والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله احتراماً للإمام الخميني، ثم احتضنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وغمره بقبلاته، فاستيقظت إثر ذلك مضطرباً[3]!!

---

(١) مجلة (بليس إنقلاب)، العدد: ١٠٠.

(٢) آية الله الشهيد مرتضى المطهري، صحيفة رسالت، (١١/٢/١٣٧٣ هـ.ش).

(٣) مجلة (نور علم)، الدورة الثالثة، العدد: ٧، ص ١٣٨.

الكاميرا تمتنع عن التقاط صورة لجثمان الإمام!!

رویٰ أحد الإخوة عن السيدالفراهائي ـ وهو من أعضاء مكتب الإمام ـ قال: ثم نقل الجثمان الطاهر للإمام إلىٰ ساحة منزله الصغير الذي كان يلتقي فيه الناس والمسؤولين طوال مدة إقامته في جمران، وذلك بهدف تغسيله وتكفينه، وبعد أن تم غسل الجثمان سعيت لإلتقاط صورة له بالكاميرا لكنني شاهدتُ ـ وقد غمرني التعجب ـ أن الكاميرا لا تلتقط صورة لجثمان الإمام رغم كثرة محاولاتي ورغم أن الكاميرا كانت سالمة لا عيب فيها[١]!!

التوسل بالإمام بعد وفاته

لقد لازمت خدمة الإمام وحظيت طوال ذلك الوقت بألطافِهِ ورعايته، وقد مرت عدة سنوات علىٰ وفاتِهِ وأنا أتوسل به في كل مشكلةٍ تمر بي في حياتي، وأقول ـ بصدق ـ إن توسلي به يثمر حل ما أمر به من مشاكل، وأحياناً أطلب من هذا العزيز الجليل ـ وأنا الذي أفتخر الآن بالخدمة في مرقده الطاهر والنوراني ـ الهداية بشأن بعض الأمور، وهو يستجيب لي ويهديني إلىٰ الصراط المستقيم[٢]!

(١) السيد غلام علي الرجائي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني.

الفصل السابع:

إيمانه بالله وانقطاعه إليه وتوكله عليه وتوحيده له

يدقق في نزاهة من يختاره لمنصب

كان الإمام يأنس ويفرح أكثر بمحادثة من يحس بأنهم أتقىٰ من غيرهم، وهو ينظر في البداية بنظرة حسن الظن إلىٰ الآخرين ويراهم صالحين ومؤمنين ما لم يثبت خلاف ذلك، لكنه كان شديد التدقيق في أوضاع ونزاهة مَن يريد تكليفه بمهمةٍ أو تعيينه في منصب معين، فكان يسألُ عنه ويحقق في ذلك حتىٰ تثبت له نزاهة مثل هذا الشخص(١).

يستسهل العسير بالتوكل علىٰ الله

تميز الإمام بأنه كان قوياً وحازماً في مواجهة المشاكل، ولم أره ولا مرة واحدة ينظر إلىٰ مشكلة ما بأنها مستعصية لا يمكن حلها، كان يرىٰ جميع المشاكل يسيرة، لم أسمعه أبداً يصف مشكلة ما بأنها مستعصية أو صعبة، كان يتوكل علىٰ الله في مواجهة المشاكل ويكرر القول عند ذكر أي مشكلة: «ليست هذه بمشكلةٍ مهمة، ستُحل إن شاء الله»(٢).

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي.

(٢) السيدة فريدة المصطفوي.

لا حاجة للمظلة، هذه نعمة من الله

خرج الإمام يوماً من محل إقامته في باريس والثلوج تهطل بغزارة، فأسرع أحد أفراد الشرطة الفرنسية إلىٰ الاقتراب من الإمام لكي يقيه من الثلوج بالمظلة التي كان يحتمي بها هو من الثلوج الهاطلة، فقال له الإمام: «لا حاجة للمظلة، هذه الثلوج نعمة من الله، فلا حاجة للفرار منها»[1].

شدة التزامه بالمراقبة

كان الإمام ملتزماً بمراقبة نفسه لكي لا يغفل عن ربه ولا لحظة واحدة، ولكي لا تؤثر عليه المقامات الظاهرية وكثرة الزيارات له، وما يُلاحظه الإنسان أحياناً عليه من ملامح الحدة والشدة ليست من الحدة في شيء فالإمام تميز بحالةٍ عميقة من اللطافة وحسن الخلق، أما تلك الحلات فهي من حالات المراقبة حسب تعبير أهل العرفان وهذه أيضاً من خصوصياته[2].

حبه وبغضه في الله

كانت مودة الإمام لأي إنسان تتناسب مع درجةِ قربه من الله تعالىٰ، ولذلك كان ـ مثلاً ـ يحب الأطفال كثيراً، وكان يقول ـ عندما يقبل حفيده علياً ـ: «هذا الطفل جديد العهد [بعالم الملكوت] وهو ملكوتي، هذا الطفل أقرب للمبدأ وأطهر من الآخرين». كان يحب الأطفال لأنهم أقرب إلىٰ الله، ولم يكن بحاجة لتوضيح مشاعره، فحبه وكرهه كانا يظهران بانسياب معبر عن تلك الحقيقة[3].

---

(١) السيدة مرضية الحديدجي.

(٢) آية الله يوسف الصانعي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٢٨١.

(٣) السيدة فاطمة الطباطبائي.

ذاكرٌ لله علىٰ كل حال

رأيت مرةً طريقة الإمام في ممارسته رياضة المشي في منزله، كان يمشي بسرعة ولكن المسبحة بيده وهو يذكر الله[(١)].

يحب الدعاء والصلاة وتلاوة القرآن ويصبر عليها

كان الإمام يسافر في أيام الصيف ـ بعد عام ١٣٢١ هـ.ش، [١٩٤٢م] ـ إلىٰ مدينة مشهد المقدسة، وكان يرافقه يومذاك واحداً أو اثنان من كبار طلبة مدرستنا ويرتبون ـ بهذه المناسبة ـ مجلساً لتبادل الزيارات، فكان يأتي لزيارته ـ في محلٍ صغير خاص بالتدريس في مدرستنا ـ عددٌ من مجموعة خاصة من العلماء قد لا يتجاوز عددهم ما بين (١٠ ـ ١٥) وكانوا يعرفون شخصيته. ثم أخذت الزيارات تزداد، وكان متولي المدرسة من العلماء الكبار وكانت تربطه بالإمام علاقة وطيدة.

في إحدىٰ السنين صادف شهر رمضان أيام الصيف، وكان مسجد «گوهرشاد» يغص بالزائرين في الليالي إلىٰ السحر، فلم يكن الناس ينامون في الليالي بل ينتفعون بإحيائها وينامون في النهار بدلاً من الليل، كنت أذهب إلىٰ هذا المسجد حيث كان يخطب عدد من كبار الخطباء بينهم والدي، وكان يجلس داخل المسجد وفي صحنه أشخاص لتلاوة الدعاء، وقد رأيتُ بنفسي الإمام وقد فرش عباءته، وجلس عليها وسط الناس، ولم يكن يومها يعرفه منهم سوىٰ عدة خاصة.

كنت أمرُ علىٰ المسجد في الساعة التاسعة مساءً لكي أدخل الحرم الرضوي، فكنت أرىٰ الإمام جالساً يدعو، فأدخل الحرم وأصلي ثم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محسن القرائتي.

أعمد إلىٰ المباحثة العلمية مع الطلبة في إحدىٰ زوايا المسجد وأخرج من الحرم بعد ثلاث ساعات، وأمر علىٰ المسجد ثانية فأرىٰ الإمام لا زال هنا يدعو ويصلي ويتلو القرآن. كنت أتعجب من شدة صبره ومن شدة اهتمامه بالدعاء والعبادة(١)!!

شديد الالتزام بخصوصيات الأدعية وشروطها

لعلَ البعض لا يصدق أن الإمام ـ وهو القائد الثوري والسياسي الكبير ـ قد قرأ جميع الأدعية المنقولة في كتاب مفاتيح الجنان! أتذكر أنه طلب مني يوماً نسخةً من هذا الكتاب مكتوبة بحروف كبيرة، فأحضرتها له، وقد طلبت مني إحدىٰ السيدات [من أهل بيته] أن أقرأ الدعاء عند رأسه الشريف فحضرت وتلوت دعاء «العديلة». وقد انتبهتُ أنه وضع علامةً علىٰ صفحة من كتاب مفاتيح الجنان، فلما نظرت إليها وجدت فيها «دعاء العهد» للإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ وقد كتب علىٰ الورقة التي جعلها علامة علىٰ صفحة الدعاء تأريخ (٨ شوال) أي أنه بدأ بالتلاوة اليومية لهذا الدعاء من التأريخ المذكور لأن المستحب تلاوته في دورة أربعين يوماً، وقد استمر في تلاوته إلىٰ ذلك اليوم [أي اليوم الذي سبق يوم وفاته] ـ كان الإمام يهتم إلىٰ هذه الدرجة بتلاوة الأدعية مع الالتزام بخصوصياتها وشروطها(٢).

متبتل إلىٰ الله

كان الإمام شديد الاهتمام بالدعاء خاصة بالمناجاة الشعبانية وقد كرر القول مراراً في أحاديثه وفي مناسبات متعددة بأن «المناجاة الشعبانية

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين واعظ زاده الخراساني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٣٠١.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا التوسلي.

من الأدعية التي كان يقرأها جميع الأئمة المعصومين»، وكانت طلعته تتغير بوضوح عندما يصل إلىٰ هذه الفقرة من المناجاة الشعبانية: «إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك...»[1].

يتلو المناجاة الشعبانية في الأسحار

كنت أنامُ في بعض ليالي شهر شعبان خلف باب غرفة الإمام، فكان يستيقظ قبل أذان الفجر بساعة ويتوضأُ ويقيم صلاة الليل ثم يتلو المناجاة الشعبانية ويبكي أثناء تلاوتها بحرقةٍ، وكنتُ أستيقظُ من نومي وأنا خارج الغرفة علىٰ صوت بكائِهِ أثناء تلاوتها رغم أنه كان يقوم بأعمال تهجده السحري بهدوء لكي لا يوقظ أحداً[2].

الاهتمام بأوقات الدعاء الخاصة

كان الإمام يتلو جميع الأدعية المستحب تلاوتها ليلة الجمعة وكذلك أدعية أيام عاشوراء[3].

يرىٰ الله في كل أمرٍ

اضطر نظام الشاه إلىٰ التراجع عن موقفه فيما يرتبط بلائحة جمعيات المدن والقرىٰ بسبب شدة الهجوم الذي شنه الإمام ضدها، فكتبت صحف النظام الملكي أن قانون هذه اللائحة لا يمكن تطبيقه، وقد فرح طلبة الحوزة كثيراً بهذا التراجع، وعندما زاروا الإمام وجرىٰ الحديث عن هذا التراجع قال ضمن خطاب قصير: «إن الله هو الذي حقق هذا الإنجاز ولسنا نحن الذين حققناه»[4].

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي.
(٢) السيد رحيم ميريان.
(٣) السيدة فريدة المصطفوي.
(٤) حجة الإسلام والمسلمين القرهي.

البشاشة تظهر عليه كلما تحدث عن الله

في «نوروز» سنة ١٣٤٢ هـ.ش، [١٩٦٣م] تحولت قم إلىٰ «كربلاء» جديدة، وتحولت المدرسة الفيضية إلىٰ «المقتل»، وقد طلب جماعةٌ من الإمام أن يترك البيتَ في منزله لعدةِ ليالٍ يقضيها في مكانٍ آخر، فأجابهم: «توكلوا علىٰ الله، اذهبوا فإن الخميني لن يغادر منزله إلىٰ أي مكان آخر»!!

لقد قال عبارة «توكلوا علىٰ الله» بنبرةٍ قوية جعلت الحاضرين يبكون، لقد قالها بهيئةٍ خاصة، إن حالة عميقة من البشاشة تغطي وجه الإمام كلما تحدث عن الله(١).

الله هو الحافظ

قال الإمام بنفسه فيما يرتبط بمسؤولية حراسته أن الله هو حافظه، ولذلك كان لا يرىٰ من حاجة لوجود حرسٍ لحمايته(٢)!

الله معنا

قال الإمام في باريس: «أريد الذهاب إلىٰ أبناء شعبي لكي أكونَ بينهم»، وقد عارض المحيطون به هذا القرار بسبب الأخطار التي تحفّ به والتي تطال حياته مباشرة فأجابهم: «الله معنا»(٣).

كأنه لا يرىٰ سوىٰ الله

ليس بمقدوري أن أصف تعبد الإمام لله عز وجل وشدة ارتباطه به، لقد سألت أصدقاء والدي، كما سألت والدتي أسئلة عدة عن هذا

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٦.

(٢) الناطق باسم لجنة تنظيم مراسم استقبال الإمام، صحيفة إطلاعات، (١٣٥٧/١١/٢٠ هـ.ش).

(٣) آية الله الشهيد المحلاتي، صحيفة إطلاعات (١٣٦٠/١١/١٢ هـ.ش).

الموضوع، فاتفقت كلمتهم جميعاً علىٰ أن للإمام علاقة خاصة بربه، لقد ذاب الإمام في الله إلىٰ درجة تجعل الإنسان يصاب بالذهول عندما يسمعه وهو يتحدث عنه جل جلاله!

ومن الطريف أن تعرفوا أنه يتحدث عن الله ـ أثناء زيارة المسؤولين لسماحته في خضم وقوع المصائب والمشاكل ـ بطريقةٍ يبدو معها وكأنه لا يرىٰ سوىٰ الله! والذكريات والأحاديث كثيرة بشأن علاقة الإمام بالله. ولكن لا يمكن للقلم والبيان تصويرها بما يؤدي حقها، لقد ذاب الإمام حقاً في حبيبه الحق جل وعلا، فلم يكن يفكر في غيره كما لم يكن يخشىٰ أحداً سواه[١].

يبتغي رضا الله وقربه

كانت السياسة والكفاح تحتل مرتبة ثانية من الأهمية بالنسبة للإمام، فالمرتبة الأولىٰ لاهتمامه هو رضا الله وقربه، فهو كان يطالع التقارير الخبرية وغيرها إذا بقت له عدة دقائق إضافية بعد إقامته لصلاة الليل!! وهذا الأمر يكشفُ عن أن لذكر الله أهمية خاصة عنده وأن الاهتمام بالقضايا السياسية والجهادية يأتي في درجةٍ لاحقة[٢].

الثورة بحاجة للدعاء

بعث الإمام من باريس ـ أيام إقامته فيها وهو يقود انتفاضة الشعب ـ رسالة إلىٰ عدة من أساتذة قم جاء فيها: «إن ثورتنا الإسلامية بحاجة للدعاء فأدعو الله من أجل انتصارها»[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، صحيفة أبرار (١٢/ ٣/ ١٣٧٢ هـ.ش).

(٣) حجة الإسلام والمسلمين رضا الآستادي، كتاب (سيماى فرزانكان = سيماء الصالحين)، ج ٣، ص ١٨٢.

راسخ الإيمان بالدعاء

أصيبت ابنة الإمام يوماً بمرض، وأعربت لجنة طبية شُكلت في قم عما يكاد يكون يأساً من إمكانية شفائها وقالوا للإمام: يجب التضحية إما بالسيدة وإما بجنينها، فقال: «لا أعرب الآن عن رأيّ بشأن الذي يكون ضحية للآخر، اصبروا ساعة أو ساعتين أجيب بعدها عن قراري بشأن إجراء العملية الجراحية أو عدم إجرائها».

وقد استدعىٰ أخي فور ذلك وقال له: «اجمع عدداً من السادة الطلبة الليلة في منزلكم وأقيموا ختم: أمن يجيب، وليحضره السيد القاضي حتماً ـ وكان من أهل الذكر ـ ويدعو الله».

وفور انتهاء إقامة هذا الاجتماع للدعاء اتصلوا ببيت الإمام من مستشفىٰ «نكوئى» وقالوا: لقد تحسنت صحة السيدة بصورةٍ إعجازية فلم تبق ثمة حاجة لإجراء العملية الجراحية[1]!!

لا يغفل عن ذكر الله

لم يكن يغفل عن ذكر الله أبداً، كان ذكر الله يجري علىٰ لسانه وقلبه في كل حين، كان يتلو كل يوم الدعاء الخاص به، ويلتزم بالدعاء أثناء الوضوء، وكان يتوضأ مستقبلاً القبلة حتىٰ وهو راقد في المستشفىٰ[2].

التوكل علىٰ الله طريق الفلاح

زار ياسر عرفات ـ بعد انتصار الثورة ـ الإمام وكنتُ حاضراً عنده مع عدد من الإخوة، وقد قال الإمام له يومها: «إذا أردتم إنقاذ الشعب الفلسطيني، فلن تحققوه من خلال اللجوء إلىٰ الإتحاد السوفيتي أو

---

(١) آية الله يوسف الصانعي، مجلة (حوزة)، العدد: ٣٢.

(٢) أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور)، ص ٦٣.

أميركا أو هذا البلاط أو ذاك، فالطريق لتحقيق ذلك هو التوكل علىٰ الله وحمل السيف، وعندها سيكون الله ناصركم وستدعمكم الشعوب أيضاً».

ولو كانوا قد عملوا بنصيحة الإمام لما أمسىٰ الفلسطينيون مشردين في مختلف البلدان العربية(١).

راضياً بقضاء الله

لم أشاهد علىٰ الإمام ما يمكن أن نسميه فرحاً عندما عاد إلىٰ إيران بعد أن رحل عنها الشاه، أو عن تحقق الانتصارات المهمة مثل فتح خرمشهر، وبصورةٍ عامة يمكن القول أنه لم يكن يفرح أو يحزن بدرجةٍ عميقة، كان راضياً بقضاء الله بكل معنىٰ الكلمة»(٢).

صاحب نفس مطمئنة

لقد شهدت أيام الحرب الكثير من الفترات الحرجة والخطرة للغاية، وكانت المنطقة التي يَقع فيها بيت الإمام تُعرّضُ أيضاً للهجمات الصاروخية ولكن لم تكن تظهر علىٰ الإمام حتىٰ أبسط ملامح الأذىٰ أو القلق(٣)!

كأنك لا ترين الله قادراً علىٰ كل شيء

سألتُ الإمام يوماً عن معراج الرسول الأكرمﷺ فلما بَيَّنَ لي كيفية ذهابهﷺ إلىٰ المعراج، سألته متعجبةً ودون اختيار: هل كان النبيﷺ قد ذهب بنفسه ـ حقاً ـ إلىٰ المعراج؟ وقد عرف الإمام أن سؤالي هو أن

---

(١) آية الله الشهيد المحلاتي، مجلة (أميد إنقلاب)، العدد: ١١٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، صحيفة أبرار، (١٢/ ٣/ ١٣٧٢ هـ.ش).

(٣) حجة الإسلام والمسلمين مهدي إمام الجمراني، صحيفة جمهورى إسلامي، العدد الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

العروج كان بروحه ﷺ أم بجسده؟ قال فوراً: «كأنك لا ترين الله قادراً علىٰ كل شيء؟!» فآذاني أن أسأل مثل هذا السؤال، فيما تابع الإمام قوله: «إن كنتِ ترين الله قادراً علىٰ كل شيء، فلا قيمة لمثل هذه الأمور قبال قدرته تبارك وتعالىٰ»[١].

لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

قال لي الإمام إثر فاجعة المدرسة الفيضية: «سأكتب شيئاً في جواب رسالة السادة الطهرانيين، فتعالوا لأخذه». وقد تأخرت قليلاً عن الموعد فبعث الإمام ما كتبه بهذا الشأن، ثم قمت بطبعه بمساعدة الأصدقاء، وكان ما كتبه البيان المشهور الذي عُرف ببيان «حب الشاه يعني الإغارة علىٰ الناس»! وقد خاطب به السيد علي أصغر الخوئي، وكانت هذه هي المرة الأولىٰ التي يتعرض فيها الإمام للشاه مباشرة.

وعلىٰ أي حال فعندما وصلت بعد الموعد المذكور، قال لي الإمام: «لقد تأخرتم فأعطيتُ ما كتبته لمن حمله إلىٰ طهران»، فسألته عن مضمون ما كتبه فقال: «فيه تعريضٌ بالشاه»! فدخلني الخوف من ذلك وقلت: لعل المصلحة في غير ذلك، فضحك وقال: «كل ما كتبه الله لنا سيصلنا»[٢]!

ألا تحتملون أن النفي كان بسب هذا القول؟!

بعد وفاة آية الله السيد البروجردي، وفي بدايات تسلم الإمام لمهام المرجعية، ظهرت حالة جديدة من الحماس بين أبناء الشعب، فسعىٰ النظام البهلوي المكروه إلىٰ جذب بعض الأفراد من هنا وهناك لكي يستقطبهم إلىٰ جانبه ويعملوا لضرب مرجعية الإمام لأنه كان يشعر بأنها مصدر الخطر

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي.

(٢) آية الله الشهيد المحلاتي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٠٣.

المحدق به. يقول سماحة الشيخ الصانعي: لقد لاحظنا يومها سلسلة من التحركات المعادية للإمام من بعض البيوتات، فقلت للإمام: تقوم الجهة الفلانية بنشر دعايات والقيام بتحركات ضد مرجعيتكم وزعامتكم، فأجابني: «إنني لا أخشىٰ مثل هذه التحركات، إنها لن تضرني، اتركوهم وشأنهم أنتم أيضاً، إن الشعب معنا، هذا ما ينبغي لكم أن تتذكروه».

ثم قضىٰ الإمام (١٥) عاماً في السجن وفي المنفىٰ، ثم عاد إلىٰ إيران، يقول الشيخ الصانعي: قال لي الإمام في اليوم الأول لعودته إلىٰ منزله السابق: «هل تتذكر أيها السيد الصانعي ما قلته لي وما أجبتك به بشأن قضية المرجعية؟»، قلت: نعم، قال: «ألا تحتملون أن هذا النفي الذي عشتُ فيه عدة سنين كان بسبب أنني قلت: إن الشعب معنا، ولم أقل: الله معنا؟!»[١].

يبدو أنني غفلتُ عن الله عندما قلت...

قيل للإمام في ليلةِ عودته إلىٰ قم من طهران بعد إطلاق سراحه: لقد قام النظام الحاكم بعدةِ أعمال بهدف إضعاف مرجعيتكم في الأيام التي قضيتموها في طهران، بل وسعوا لعزلكم عن مقام المرجعية ـ فقال: «لقد رأىٰ هؤلاء المتآمرون انتفاضة (١٥) خرداد»! ثم سمعتُ أنه استغفر من هذا القول! وقد قال بعد نفيه: «يبدو أنني غفلتُ عن الله عندما قلتُ: إن انتفاضة (١٥) خرداد والشعب حماتُنا»[٢].

أشعر بيد الله فيها

قال الإمام في اجتماع خاص: «يا فلان! لسنا نحن الذي نقوم بهذه النشاطات، إنني أشعر بيد الله فيها بكل وضوح»[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الرحماني، مجلة (أميد إنقلاب)، العدد: ٨٠.

(٢) آية الله المحمدي الجيلاني، صلاة جمعة طهران بتأريخ (١٣/٣/١٣٧٣ هـ.ش).

(٣) آية الله الشهيد المطهري، كتاب (حول الثورة الإسلامية)، ص ٢١.

يد الله هي التي تحفظ الثورة

قالَ لي الإمام في لقاء خاص: «إنني أعتقدُ أن يد القدرة الإلهية ـ وهي فوق كل يد ـ هي التي أخذت بيد الثورة مُنذ البداية إلىٰ اليوم وأوصلتها إلىٰ هذه المرحلة، ويد الله هذه هي التي تحفظ هذه الثورة العظيمة»[1].

ثمة يد غيبية تهدينا

كنا مع عدد من السادة في زيارة للإمام قبل بدء السنة الجديدة، وقد طلبنا منه أن يخصص أحد أيام العيد، للقاء بأبناء الشعب، لكنه رفض، وبعد يومين أو ثلاثة من العيد أصابته أزمة قلبية عولجت فوراً وزال الخطر، ثم زرته وقلت له: كم كان حسناً رفضكم اقتراح اللقاء بأبناء الشعب، إذ أن دخولكم المستشفىٰ كان سيمنع عقد هذا اللقاء الأمر الذي كان سيؤدي إلىٰ آثار مضادة لنا علىٰ الصعيد العالمي، فأجابني: «طبق ما فهمته أنا، فإن ثمة يد غيبية تهدينا في جميع الأعمال مُنذ بداية الثورة وإلىٰ اليوم».

وهذا هو نص عبارة الإمام التي سجلتها فيما بعد[2].

كان ذلك من فضل الله

كان عددٌ من الأشخاص جالسين في إحدىٰ الليالي عند الإمام وهو يروي لهم مجريات توجهه إلىٰ الكويت، وقد قال أثناء حديثه: «لقد قمتُ بهذا العمل..» ثم تدارك فوراً وقال: «وبالطبع فقد كان ذلك من فضل الله»[3]!

---

(١) آية الله حسين المظاهري، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٩.

(٢) آية الله الخامنئي، صحيفة إطلاعات، (١٩/٣/١٣٦٨ هـ.ش).

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الكروبي، مجلة (أميد إنقلاب)، العدد: ١٠٣.

في أيام اغتيال الشهيد المفتح ـ رحمه الله ـ بدأوا بفرض الحصار الإقتصادي علىٰ إيران أيضاً، فقال الإمام: «لقد حاصرونا اقتصادياً، ولكننا لنا الله»، أي أنهم لو استطاعوا فرض الحصار الإقتصادي علينا فلن يستطيعوا فرضَهُ علىٰ الله عز وجل! فهذا ما ليس يستطيعه أحد لأننا جميعاً في قبضته عز وجل(١)!

الله معكم فهو خير معين

رفعتُ للإمام تقريراً عن الصواريخ البعيدة المدىٰ والمتوسطة المدىٰ، فقال: «أبلغوا سلامي للإخوة، وانقلوا لهم قولي هذا: تولوا بأنفسكم مهمة تصنيع كل شيء والله معكم فهو خير معين»(٢).

إنما هو عطيةٌ من الله

اجتمع جميع الإخوة ـ إثر وصول خبر استشهاد سماحة السيد مصطفىٰ ـ للتفكير في الأسلوب المناسب لإخبار الإمام بذلك، فلم يكن أيٌ منهم يتجرأ علىٰ القيام بهذه المهمة لشدة الحزن الذي غلب عليهم جميعاً، كان السيد أحمد يتحرك دون أن يقر له قرار وقد وقع ظله علىٰ زجاجة النافذة، فانتبه الإمام الذي كان جالساً في الغرفة إلىٰ اضطرابه فناداه وسأله: «ما بالك؟! وما الذي حدث؟» فأجهش السيد أحمد بالبكاء، وكان السيطرة علىٰ البكاء في مثل هذه الحالة صعب للغاية كما هو معروف، ولكن الإمام الذي تميز بصلابة خاصة اكتفىٰ بالإسترجاع ثلاث مرات ثم قال: «إنما هو عطيةٌ أعطاها الله وقد استرجعها اليوم،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني، مجلة (جهاد)، العدد: ٢٦.
(٢) اللواء حرس الثورة محسن رفيق دوست، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ١٣٥.

قوموا الآن وهيأوا المقدمات اللازمة، واسألوا إلىٰ أين يجب نقله وأين ينبغي أن يكون محل الدفن»[١].

لله تبارك وتعالىٰ ألطافٌ خفية

لم تظهر علىٰ طلعة الإمام النورانية أبسط مظاهر الإنكسار في مصيبة استشهاد نصيره في المنفىٰ وأنيسه في مجالس البحث العلمي وأمله لإدارة شؤون المسلمين في المستقبل الفقيد السعيد سماحة آية الله الحاج السيد مصطفىٰ الخميني، والجملة الوحيدة التي قالها يومئذٍ هي: «كان مصطفىٰ أمل مستقبل الإسلام»، كما قال في اليوم الحادي عشر لوفاة السيد مصطفىٰ في بداية إلقائِهِ الدرس: «لله تبارك وتعالىٰ ألطاف خفية» ثم اعتبر وفاة السيد مصطفىٰ ـ رحمه الله ـ أحد هذه الألطاف الإلهية الخفية[٢].

وفاة مصطفىٰ من هذه الألطاف

لم يعرف أحدٌ في بدايات الثورة معنىٰ أن وفاة سماحة السيد مصطفىٰ من الألطاف الخفية، ولكن معنىٰ مقولة الإمام هذه قد اتضح لاحقاً مع ظهور الآثار والبركات التي أثمرتها هذه الحادثة لأمة الإسلام، فقد أقامت الحوزة العلمية في قم، مجالس تأبين إثر وفاة السيد مصطفىٰ، فقد أخذ الخطباء يتحدثون فيها بصراحةٍ عن الإمام ويذكرون اسمه بعد أربعة عشر عاماً من الإرهاب الذي سعىٰ من خلاله الشاه إلىٰ محو أي ذكر للإمام، وقد استمرت هذه المجالس إلىٰ أربعينية السيد مصطفىٰ وقد هاجم الخطباء الشاه بصراحة، ثم بدأت سلسلة مراسم أربعينيات شهداء قم وتبريز والمدن الأخرىٰ، ثم اتسعت أبعاد النهضة الإسلامية وتصاعد أوار الثورة[٣].

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي، مجلة (ندا)، العدد الأول.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد الكريمي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٨.

(٣) آية الله المؤمن، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٣.

أنا بنفسي مبطلٌ السحر

في أحد أيام إقامة الإمام في مدرسة علوي، جاء سيد يرافقه شخصٌ غير معمم يرتدي معطفاً وغطاءً للرأس، كانت تظهر علىٰ وجه السيد آثارُ الأذىٰ الشديد والرعب والتي أدت إلىٰ طغيان الإصفرار علىٰ لون وجهه، كنتُ يومها مسؤولاً عن الحفاظ علىٰ النظام والأمن في المدرسة فسألت السيد: ما الخبر؟ وما الذي تريدونه؟ أجاب: لدينا أمرٌ خاصٌ، نحن قلقون لأن الإمام مسحور! من المحتمل أن يصيبه بسبب ذلك مرضٌ يذيبه مثلما تذيبُ النارُ الشمع، هذا ما نراه ونحن قلقون عليه بسببه، وقد جئنا لإعطائِهِ دعاءً يُبطل أثر هذا السحر! قلنا لهم باستنكار: ما هذه الأقوال؟! فقالوا: نحن قلقون! فاضطررنا ـ بحكم شدةِ حبنا للإمام الذي يجعلنا نقلق من أي خطرٍ محتمل يُوجه إليه ولو كان بنسبة واحد بالمليون ـ إلىٰ أن نعرض عليه هذا الأمر فابتسم وقال: «قولوا لهم: أنا بنفسي مبطل السحر»[١]!!

كانت عندنا وديعة لله وقد استرجعها اليوم

سألتُ أحد الأصدقاء العائليين للإمام الخميني عن أبرز صفاته المميزة له فروىٰ لي حادثة وقعت قبل (٣٥) سنة، وهي أن أصغر أفراد عائلته ـ وهي ابنته الصغيرة ـ قد غرقت في حوض المنزل وتوفيت. وعندما دخل الإمام كان مجتهداً يصلي علىٰ جنازة هذه الطفلة الصغيرة فيما كانت أمها تبكي بحرقة، الإمام كان يحبُ طفلته هذه بعمقٍ، ومع ذلك لم يظهر علىٰ وجهه أي تغيّر، لقد قال يومها وبعد لحظات من السكوت: «كانت وديعة لله عندنا وقد استرجعها اليوم»، ثم أخذ يصلي! كان الخميني يعتقد أن الله معه دائماً[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين علي أكبر ناطق النوري.

(٢) مراسل مجلة التايم الأميركية، صحيفة كيهان (١٣٥٨/٥/٤ هـ.ش).

الخيرُ فيما يقدره الله لنا

رفض موظفو الحكومة الكويتية في النقطة الحدودية السماح للإمام بدخول الكويت عندما عرفوا هويته، وقد آذاني هذا التصرف كثيراً فقلت للإمام: لماذا غادرتم النجف؟! أجاب: «لقد أخرجونا منها كرهاً، لكننا اخترنا الكويت بأنفسنا، قلت للإمام: اسمحوا لي بأن أكلم هذا الموظف الكويتي، فأبىٰ بحزمٍ وقال: «كلا، أليس من الظلم أن تبذل ماء وجهك لهذا التافه؟ بل نرجعُ ولنا الله».

لقد شعر الإمام بشدة أذانا مما جرىٰ فوعظني ونحن في طريق العودة للعراق ـ بكلمتين أو ثلاث وقال»: «لا مسوغ لأن يصيبكم الأذىٰ، إن أمرنا ليس بأيدينا، لقد فوضنا أمورنا لله تبارك وتعالىٰ، والخيرُ هو في كل ما يقدره لنا». ثم تحرك عائداً وأنا قلق عليه لا أدري ما سيفْعلونه تجاهه، ثم أمر الشيخ فردوسي بور ـ فور وصوله إلىٰ باريس ـ أن يتصل بي هاتفياً لكي يزول عني القلق[1]!

إن للبيت رباً يحفظه

حاصر البعثيون بيت الإمام في النجف ومنعوا التردد عليه سوىٰ لبعض المقربين، ثم خففوا الحصار قليلاً بعد أيام، وشددوه أياماً أخرىٰ، وكرروا ذلك عدة مراتٍ بهدف إجباره علىٰ السكوت. وقد اتصل والدي ـ رحمه الله ـ أثناء إحدىٰ الفترات التي صعدوا فيها الضغوط علىٰ الإمام ـ بعددٍ من العلماء والشخصيات داخل العراق وخارجه وطلب منهم إرسال برقيات تأييد للإمام لكي تدرك الحكومة العراقية أن الإمام ليس وحيداً فلا يكون بإمكانها الضغط عليه كيفما شاءت، ثم قام الوالد بنفسه واثنان من

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد عباس المهري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.

العلماء كانا قد وصلا إلى الكويت حديثاً بإرسالِ برقية إلىٰ الإمام في النجف الأشرف أدانوا فيها فرضَ أيَّ مضايقات علىٰ سماحته وأعلنوا فيها استعدادهم لتنفيذ كل ما يأمر به وأنهم في انتظار أوامره.

ومما لا شك فيه أن إرسال هذه البرقيات كان مفيداً، ولكن لم يكن من الصالح أن يجيب عليها الإمام في تلك الفترة وبصورةٍ برقيات علنية، لقد كان هدف العلماء هو إعلان الدعم للإمام وتحذير الحكومة العراقية من مغبة إيذائِهِ بأي شكل. وقد بعث الإمام برسالةٍ إلىٰ المرحوم والدي ـ وكان وكيله في الكويت ـ رداً علىٰ برقيته المشار إليها، وجاء في هذه الرسالة:

بسمه تعالىٰ

حضرة سيد الأعلام وحجة الإسلام سماحة السيد المهري دامت إفاضاته

بعد تقديم السلام والتحيات، وصلتنا البرقية الموقعة من سماحتكم وسماحة السيد القائمي وبرقية شخص آخر لم يكن بالإمكان قراءة توقيعه، ولم أرَّ من الصالح الإجابة عليها برقياً، وقد أوقفوا الآن إجراءاتهم السابقة بعد مفاوضات أُجريت، ولكنني أظن أن هذا الموقف مؤقت، وقد اعترضتُ علىٰ ذلك بطلب تأشيرة الخروج، لكنهم جاؤوا ووعدوا بعدم التدخل. لا أعلم ما الذي سيحدث مستقبلاً، الأمر لله تعالىٰ: «إن للبيت رباً يحفظه...»[1].

الأمرُ بيد غيرنا

أصاب القلق الاستكبار العالمي من قوة النفوذ المعنوي للإمام في

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد جواد المهدي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٢٥٠.

العراق، ولذلك لم يستطيعوا تحمل بقاءه في النجف، وقد قال الإمام: «الأمور بيد غيرنا [الله جلت حكمته]، إني لم أفكُر بالذهاب إلىٰ فرنسا أبداً»[1].

يطلب الخير من الله

سألتُ السيدة [زوجة الإمام] يوماً: هل كان الإمام يستخير بشأن اختيار أصهاره؟ فقالت: كلا لم يكن يفعل ذلك بمعنىٰ أنه يقبل الخاطب إذا خرجت الاستخارة جيدة ويرفض إذا كان الأمر بالعكس، فلم يكن يعتقد بالاستخارة في هذا المعنىٰ، وأتذكر جيداً ـ فيما يرتبط بخطبةِ إحدىٰ بناته ـ أنه توضأ وذهب إلىٰ سجادة الصلاة وصلىٰ ركعتين وطلب الخير من الله[2].

شهادتك بالتوحيد ليست صادقة

في سنة ٤٠ أو ٤١ ١٣ هـ.ش، [٦١، ١٩٦٢م] عزم الإمام علىٰ السفر إلىٰ منطقة «إمام زادة قاسم» للإقامة في منزل أعدَّ لسماحته هناك لكي يقضي فيه أيام الصيف بسبب شدة الحر في قم، وفي الأيام نفسها كان من المقرر أن أسافر للتبليغ الديني بمناسبة أيام محرم في طهران ومناطق «شميرانات، سلطنة آباد ورستم آباد» [القريبة من منطقة إمام زادة قاسم]، وعندما عرف الإمام بذلك ـ عن طريق أخي ـ قال: «نذهب سوية إلىٰ طهران».

ثم استأجر سيارة صغيرةٍ من نوع «بنز»، وقد قال لي بعد أن تحركت بنا السيارة وقد سيطر عليّ الشعور بهيبته: «تحدث بشيءٍ عسىٰ أن يُقطع به الطريق»، فوجدتُ نفسي في حيرة، فما عساي أن أقول، إن التكلم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا التوسلي.
(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي، صحيفة إطلاعات (١٤/٣/١٣٦٩ هـ.ش).

في حضرته ـ مع ما تتميز به شخصيته من جلالة وعظمة ـ لا يتأتىٰ من أي كان، وقد لمتُ نفسي من قبل علىٰ مرافقتي له لأنني كنت أتصورُ صعوبتها، لكن الإمام كرر طلبه ثانية: «قولوا شيئاً»، قلت: وما الذي يمكنني قولَهُ؟!

لكنَّ سماحته أصرَّ علىٰ أن أتحدثَ بشيء، فخطرت علىٰ ذهني فجأةً الأحاديث التي كانت تُتداول بين طلبة الحوزة يومذاك، وملخصها هو أن حكومة النظام الملكي قد قررت في تلك الأيام عدم منح أي شخص جواز سفر إلىٰ العراق بسبب الاختلافات التي نشبت يومها بينها وبين الحكومة العراقية، وقد تزامن ذلك مع الأيام التي أعقبت وفاة السيد البروجردي، وقد سيطرت حالة من التفاؤل بين طلبة الحوزة تجاه هذا القرار الحكومي، وذلك لأنهم كانوا يتصورون أن ذهاب الطلبة إلىٰ العراق وبالتالي إلىٰ الحوزة العلمية في النجف سيؤدي إلىٰ انهيار الحوزة العلمية في قم. ومع استذكار هذه الأحاديث قلت للإمام: الحمدُ لله يا سيدي علىٰ عدم منح طلبة حوزة قم جوازات سفر للنجف، فإن ذلك يحول دون انهيار حوزة قم».

وإثر هذه الكلمة بدأ الإمام حديثاً طويلاً استمر إلىٰ مخفر «حسن آباد» خاطبني به بما محوره الأصلي هو: «أنك لست عابداً لله ولا موحداً له، لم تشهد بكلمةِ «لا إله إلا الله» بصدق، والدليل هو أنك لو كنت موحداً حقاً لما كنت ترىٰ ثمة فرقٍ بين قم والنجف، إن الهدف هو ترويج ونشر الإسلام وفقه الإمام الصادق عليه السلام فلماذا ترىٰ أن قم غير النجف؟! لم تكن شهادتك بلا إله إلا الله صادقة...».

وبعد مقدارٍ من حديث الإمام خطر في ذهني أن أدفع شبهة عدم التوحيد فتجرأتُ علىٰ أن أقول: هذا هو رأي الجميع يا سيدي، ولست وحدي الذي أقولُ به، هذا ما يقول به الآخرون أيضاً، لم أقصد أن

النجف غير قم، بل أردتُ أن أقولَ من الضروري أن تبقىٰ حوزة قم وتحفظ فهي حوزة مهمةٍ فردَّ قولي بلهجةٍ عنيفة: «ليست هذه جلسة دراسية لكي تعترض، الحديث عن قضية أخلاقية، فالتزم الصمت حتىٰ أتمَّ كلامي»!!

وكان مقصوده هو أن المقام ليس حلقة دراسية لكي يكون مناسباً لإثارة الإشكالات، بل هو مقام موعظة ونصيحة لا ينبغي فيه إثارة مثل هذه الإشكالات.

وعلى أي حال، فقد أكد الإمام علىٰ حقيقة أن ظهور النزاعات يكون حيثما تكون النزعات المادية والمصالح الدنيوية، ولو حكم العالم (١٢٤) ألف نبي في وقتٍ واحد لما وقع بينهم أي نزاع ثم قال: «هل اختلفت مع أحدٍ بشأن صلاة الصبح؟! هل ثمة فرق بين قم والنجف فيما يرتبط بصلاة الصبح، كأن تكون هذه الصلاة مقامة في حوزة قم وغيرها مقامة في النجف؟!» أجبت: لا إختلاف في ذلك، فقال: «إذن، فقولك لا ينبغي لطلبة حوزة قم أن يذهبوا إلىٰ النجف يعني وكأنك لست موحداً ولا عابداً لله»[١]!!

ينقطع إلىٰ الله

أمر الإمام في الأيام الأخيرة من حياته بإخراج ولدي علي ـ وكان عمره ثلاث سنين وكان الإمام يحبه كثيراً ـ من غرفته، لكي لا يكون توجهه لغير الله[٢].

(١) آية الله يوسف الصانعي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٢٩٧.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، صحيفة أبرار (١٢/٣/١٣٧٢ هـ.ش).

الفصل الثامن:

تقواه وإخلاصه لله وتسليمه له

يصلي خلف مخالفَه!

كان أحد أئمة صلاة الجمعة مخالفاً للإمام بشأن المواقف السياسية وأحياناً الفلسفية، ولكنّ الإمام كان يذهب بين الحين والأخر إلىٰ محل إقامته لصلاة الجمعة ويقتدي به في الصلاة دون أن يكون ـ والله يشهد علىٰ ذلك ـ أي غرض أو مصلحة في هذا العمل، وقد قال الإمام بنفسه بهذا الخصوص: «إن ذوق هذا السيد لا ينسجم مع ذوقي، فإذا كان قد أخطأ في عمله فإنني لم أخطأ في عملي، فلماذا لا ينبغي أن أصلي خلفه؟!»[1].

اجتنابه الرياء

كانت طريقة إمامة الإمام لصلاة الجماعة قبل الإفطار في جمران مقتصرةً علىٰ واجبات الصلاة وهي تدل بوضوح علىٰ شدةِ اجتنابه للرياء[2].

---

(١) آية الله مجتبىٰ العراقي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٢.

(٢) آية الله مرتضىٰ بني فضل.

ورعه عن طلب السمعة

لاحظ الإمامُ يوماً ـ وهو في طريقه إلىٰ المدرسة الفيضية ـ حشداً لبعضِ طلبة الحوزة وهم يتحدثون بانفعال عن كتاب «أسرار ألف سنة»، فطلبَ نسخة من الكتاب وقرأه وإثر ذلك أوقف إلقاء دروسه وتفرغ مدة شهر ونصف أو شهرين لكتابةِ ردٍ علىٰ هذا الكتاب هو كتاب «كشف الأسرار» الذي طبع دون ذكر اسم المؤلف اجتناباً للسمعة[١].

مَن تواضع لله رفعه الله

اختارت الحوزة العلمية في قم كتاب «كشف الأسرار» الذي ألفه الإمام من بين جميع الردود التي كتبت للرد علىٰ كتاب «أسرار ألف سنة»، وقررت طبع كتاب الإمام والقضية المهمة هنا هي أن الإمام رفض كتابة اسمه علىٰ هذا الكتاب، وهو الموقف الذي عاد عليه بمحبوبية خاصة في الحوزة[٢].

غيرته علىٰ الحرمات الإلهية

للإمام كتابٌ اسمه «كشف الأسرار» ألفه رداً علىٰ كتاب لأحد أبناء العلماء ـ مع الأسف ـ اسمه «أسرار ألف سنة» تهجم فيه علىٰ عقائد الشيعة وعلىٰ العلماء والإمامة. فعطل الإمام الجليل دروسه ونشاطاته العلمية الأخرىٰ وتفرغ لكتابة رده المذكور بحكم حرصه وغيرته علىٰ الإسلام، وقد استغرق ذلك ـ علىٰ ما أتذكر وطبق ما سمعت أيضاً ـ حدود أربعين يوماً تفرغ فيها بالكامل لتأليف هذا الرد الذي سماه «كشف الأسرار».

ودفعاً لأي شائبة سمعة أو احتمال أن يقولَ أحدٌ أن في تأليف هذا

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (حضور)، العدد الأول.
(٢) آية الله السيد حسين بدلا.

الكتاب نوعاً من طلب الشهرة، فقد خلا هذا الكتاب في طبعته الأولىٰ وطبعته الثانية لأي إشارة تفصح عن أن مؤلفه هو الإمام الجليل الأمر الذي يكشفُ عمق إخلاصه، لقد أمر بعدم ذكر اسمه علىٰ كتابه هذا دفعاً لأية شبهةٍ محتملة[١].

ألفت هذا الكتاب ابتغاء مرضاة الله

رفض الإمام كتابة اسمه كمؤلف لكتابه «كشف الأسرار» في طبعاته الأولىٰ، وعلل ذلك بقوله: «لقد ألفتُ هذا الكتاب ابتغاء مرضاة الله وليس طلباً للشهرة»[٢].

لم أكتب اسمي علىٰ ظهر الكتاب تجنباً للشهرة

قال الإمام يوماً: راجعني ممثلون لعلماء الحوزة طلباً لكتابة رد علىٰ كتاب «أسرار ألف سنة»، فألفتُ كتاب «كشف الأسرار» بقلم واحدٍ في مدة شهرين أوقفتُ فيهما دروسي.. لم أكتب اسمي علىٰ ظهر الكتاب تجنباً للشهرة ولكن الذي حدث هو العكس!!

وبعد انتشار الكتاب بعث لي «حكمي زاده» رسالة قالَ فيها: إن الردود التي كتبتموها قوية ومحكمة للغاية، ولم يكن لي من هدف من نشر كتاب «أسرار ألف سنة» سوىٰ أنني أردت أن يتصدىٰ شخصٌ مثلكم للإجابة علىٰ هذه الأسئلة المثارة بين الناس[٣].

لم نعثر علىٰ اسم المؤلف

سمعتُ ـ وأنا في النجف الأشرف ـ أن أحد كبار أساتذة الحوزة العلمية في قم ألف بالفارسية كتاباً اسمه «كشف الأسرار» في نقض عقائد

(١) آية الله محمد الفاضل اللنكراني.
(٢) آية الله السيد عز الدين الزنجاني.
(٣) آية الله جعف رالسبحاني.

الوهابية، فحصلنا ـ نحنُ طلبة الحوزة الشباب ـ علىٰ الكتاب وقرأناه، وقد لاحظنا عدم ذكر اسم مؤلفه لا علىٰ غلافه ولا في داخله، وعندما سألت الطلبة القميين عن مؤلفه أجابوا: إنه سماحة السيد روح الله الخميني هو مؤلف الكتاب لكنه لم يذكر اسمه علىٰ الكتاب لأنه كتبه رداً علىٰ كتاب لأحد المنحرفين. ولم يرغب أن يقرن ذكر اسمه بذكر اسم هذا المنحرف فهذا مما لا يناسب مقامه كما أنه يكسب هذا المنحرف أهميةً لا يستحقها، وبالطبع كان هذا طبق ما تصوره هؤلاء الطلبة[١].

العبد المفتاق إلىٰ الله الكريم

تولىٰ أحد طلبة الإمام مهمة طبع كتابه «المكاسب المحرمة» الذي لم يكتب الإمام اسمه فيه، وقد طلبت منه أن يكتب اسمه، فقال: «كلا، لا حاجة لذلك، المهم هو نشر المباحث الموجودة فيه». وقد أصرَّ علىٰ رفضه رغم شدة إلحاحي وقال آخر الأمر: «لا حاجة لذكر الاسم، يُطبع بهذه الصورة وإلا لا يطبع».

وعندها لجأت إلىٰ حيلة شرعية إذ قلت: اكتبوا يا سيدي اسمكم فيه علىٰ الأقل من أجل أن يعرف من لديه إشكالات علىٰ الآراء الواردة صاحب هذه الآراء! فوافق وقال: «حسناً، إذا كان الأمر كذلك أكتب اسمي». ثم كتب: «كتبها العبد المفتاق إلىٰ الله الكريم مؤلف هذه الوجيزة السيد روح الله ابن السيد مصطفىٰ الخميني عفى الله عنهما»[٢].

يجتنب الإشارة إلىٰ مؤلفاته

كنت ملازماً للإمام أتردد علىٰ بيته طوال سبع سنين دون أن أعرف

(١) حجة الإسلام والمسلمين علي الدواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٩١.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين علي أكبر المسعودي الخميني، مجلة (نور علم)، الدورة: ٣، العدد: ٧.

أنه كتب حاشية علىٰ كتابي «العروة الوثقىٰ»، و«وسيلة النجاة»، رغم أن المألوف في سيرة الأساتذة الآخرين أن يذكروا لطلبتهم ـ أثناء التدريس والبحث ـ أنهم مثلاً كتبوا الجواب علىٰ المسألة الفلانية في الكتاب الفلاني، في حين أن الإمام كان يجيب علىٰ الأسئلة دون أن يشير إلىٰ مؤلفاتِهِ؛ وبقي مجتنباً لذلك حتىٰ بعد وفاة آية الله السيد البروجردي، حيث تهيأت أرضية الإشارة إلىٰ مثل ذلك.

أجل لم نعرف نحن أيضاً بتأليفه لحواشيه تلك إلا بعد سبع سنين، وذلك عندما كنت جالساً في منزله في يوم شتوي، فشاهدت كتاباً علىٰ كرسي التدفئة يختلف عن الكتب الحوزوية المعروفة، فسألتُهُ: أي كتاب هذا؟ هل تأذنون لي بمطالعته؟ وعندها قال: «هو حاشية علىٰ كتاب الوسيلة».

وكل ذلك يكشف عن شدةِ زهد الإمام وتقواه[١].

ما دمتم تشترطون ذلك...

بعد وفاة المرحوم السيد البروجردي، جاء ناشر كتاب «العروة الوثقىٰ» الذي طبعه مع حواشي خمسة من مراجع التقليد، إلىٰ الإمام وقال لسماحته: نحن مستعدون لطبع حاشيتكم علىٰ العروة الوثقىٰ مع الكتاب شريطة أن تشتروا (٢٠٠) نسخة من هذا الكتاب سلفاً. فأجابه الإمام: «ما دمتم تشترطون ذلك، فإنني أرفض أن تطبعوا حاشيتي علىٰ العروة الوثقىٰ أصلاً»! ولذلك خلت تلك الطبعة من الكتاب من حاشية الإمام عليه[٢].

لم يسع إلىٰ الرئاسة أبداً

رغم أن درس الإمام كان الدرس الأهم والأوسع حضوراً في حوزة

---

(١) آية الله حسن الصانعي، ملحق صحيفة (١٤/٣/١٣٦٩ هـ.ش).
(٢) آية الله محمد المؤمن، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٢٢٥.

قم بعد وفاة آية الله السيد البروجردي إلا أنه لم يسعَ أبداً للتصدي للمرجعية والرئاسة العامة للمسلمين، بل وكان يجتنب المشاركة في المجالس والمحافل المهمة التي كانت تعقد في قم. ولذلك قام عددٌ من طلبة الحوزة بطبعِ حاشيته علىٰ كتاب العروة الوثقىٰ علىٰ نفقتهم الخاصة، ولكنهم احتاجوا إلىٰ مبلغ بسيط لدفع المتبقي من تكاليف الطبع، فقلت للمرحوم الإشراقي: خذوا ـ إن كان ممكناً ـ بقية تكاليف الطبع من الإمام ـ. وبعد أيام نقل لنا المرحوم الإشراقي جواب الإمام وهو: «لكنني لم أطلب منهم أن يطبعوها»[1]!!

لم يأذن بطبعِ صوره

لم يقم الإمام ـ طوال حياته ـ بأبسطِ مسعىً للوصول إلىٰ الزعامة، لم يأذن أبداً لأحدٍ بطبعِ صوره ورسالته العملية إلىٰ أن تفجرت الثورة ومبادرة الأهالي إلىٰ طَبع وتوزيع صوره ورسالته العملية من تلقاء أنفسهم، وحتىٰ عندما تعالت أصوات مقلديه مطالبة بطبع رسالته العملية سمح فقط بطبعها دون أن يأذن بصرفِ شيءٍ من الحقوق الشرعية علىٰ طبعها، ولذلك تولىٰ المقلدون بأنفسهم مهمة توفير نفقات طبعها، ولم يسمح ـ إلىٰ اليوم الأخير من إقامته في قم ـ بتوزيع ولا نسخة واحدة من رسالته العملية مجاناً، بل كان بيتُهُ يخلو من رسالته العملية[2]!!

يرفض توزيع رسالته العملية مجاناً

طوال سني الثورة، كان الإمام يعرضُ عن أي عمل يَكون فيه بُعدٌ شخصيٌ يرتبط به، فمثلاً طلب ناشر كتاب «العروة الوثقىٰ» منه أن يشتري سلفاً ـ كما هو المألوف ـ (٥٠٠) نسخة من الكتاب لكي يطبع حاشيته

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٢.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج ١.

عليه، فرفض الإمام وامتنع الناشر عن طبع الحاشية، كما رفض الإمام طلبات من آخرين بتوزيع رسالته العملية مجاناً، وهذا العمل يشتمل بالطبع علىٰ نمطٍ من الدعاية لمرجعيته[1].

شدة التحرج تجاه بيت المال

خلافاً للمألوف في الحوزات، لم يسمح الإمام أبداً بطبعِ رسالته العملية من أموال الحقوق الشرعية وبيت المال، أو بتوزيعها مجاناً، فمثلاً زارت والدتي الإمام في سنة ١٣٤١ هـ. ش، [١٩٦٢م]، وسعت لترغيبه بطبعِ رسالته العملية من خلال تأكيدها له علىٰ كثرة مقلديه وشدة احتياجهم لِرسالته العملية، وبعد أن أصغىٰ الإمام لكلامها أجاب بكل صراحة ودون مجاملة: «من المناسب أن تتحدثي بمثل هذا الكلام لصاحب مكتبة»[2]!!

لم يجبنا عن تأريخ بلوغه الاجتهاد

سعينا طويلاً ـ أنا والمرحوم الشهيد السيد مصطفىٰ، وأيام إقامتنا في النجف الأشرف ـ أن نسمع من الإمام نفسه تأريخ بلوغه مرتبة الاجتهاد لكنه لم يجبنا علىٰ ذلك أبداً[3].

اجتنابه التفاخر

لا أنسىٰ أنني قلتُ للإمام يوماً من أيام الصيف التي كان يقضيها في منطقة «إمام زاده قاسم» في طهران: أعتقد أن سماحة السيد مصطفىٰ قد بلغ مرتبة الاجتهاد، فهل تؤيدون ذلك؟ ولم يكن غريباً إحجامَهُ عن

---

(١) آية الله أحمد الجنتي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ١٤.

الجواب بصراحة على هذا السؤال، لأنه لم يكن يرغب في إبداء رأي بشأن ولده، ولكنني لاحظت بوضوح ملامح الإستبشار تظهر على طلعته، فعرفت أن ذلك قد يعني أن الإمام كان يعتقد باجتهاد، المرحوم السيد مصطفى في ذلك السن، وهذا ما كان يعرفه كل فضلاء الحوزة[١].

متعبدٌ لله في كل حركاته

يتميزُ طلبةُ الحوزة بشدة التدقيق في سلوكيات الآخرين خاصة الأساتذة أو الذين يتصدون للمرجعية فلا يؤيدون أحداً منهم إلا بعد المزيد من التدقيق، ورغم ذلك ومع طول تدقيقنا في سلوك الإمام وحركاته وسكناته لم نجد فيها ـ طوال ثلاثين عاماً من ملازمته ـ سوى النوايا والدوافع الإلهية[٢].

ينمي فينا الإخلاص لله

كانت سيرة الإمام تختلف عن باقي المراجع، فمثلاً كان الآخرون يهتمون بالمقربين منهم أكثر من غيرهم، أما الإمام فكان سلوكه على العكس من ذلك، فمثلاً كان يبدي من الاحترام لأحد الطلبة العاديين إذا دخل مجلسه ما لا يبدي مثله لولده أو لواحدٍ منا نحن المقربين منه إذا دخلنا مجلسه! أجل، كان يعاملنا بطريقةٍ تنقي قلوبنا من التوقعات الزائفة وتنمي فيها الإخلاص[٣].

الورع عن المحرمات

من المحال أن يكون أي فرد ـ حتى من الذين لازموا الإمام سنين

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين شهاب الدين الإشراقي (صهر الامام)، صحيفة إطلاعات (٣٠/ ٧/ ١٣٦٠ هـ.ش).
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد الموسوي خوئبنيها، مجلة (حوزه)، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا الناصري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٢٦٤.

طويلة ـ قد سمعوا منه كلمة واحدةٍ يغتاب فيها مسلماً أو كلمةً غير مناسبة بحق أحد. لقد زاره أحد الإخوة يوماً، ثم ذكر بسوءٍ أحد الأشخاص أثناء حديثه فغضب الإمام وقال: «لا تتكلم علىٰ أحد هنا»[١]!

وفقكم الله

كان بعض الأشخاص يتكلمون مع الإمام بطريقةٍ يسعون من خلالها إلىٰ القول بأنهم هم أيضاً من العرفاء وأصحاب القلوب الحية، فكان الإمام يوقف مساعيهم بطريقةٍ طريفة وذلك بأن يقول لهم مثلاً: «وفقكم الله»، أو «المقام ليس مناسباً لمثل هذه الأحاديث»[٢]!!

لا يحب التظاهر بذكر الله والدعاء

قال السيد السلطاني: قال الإمام قبل سنين طويلة: «يكفي لعالم الدين في طهران أن يأخذ نسخة من كتاب «منتهىٰ الآمال» ويقرأُ مجلس تعزية!

وقال السيد السلطاني أيضاً: كان الإمام من أهل الذكر والدعاء لكنه كان لا يحب التظاهر بذلك، وقد زارنا مرة في منزلنا ورأى كتاب الدعاء علىٰ منضدتي فقال: «يبدو أن السيد السلطاني أيضاً قد تعلم هذه الطريقة»[٣]!!

يكره بشدة التظاهر بالورع والقدسية

كان الإمام من أهل التعبد والتهجد في الأسحار لكنه كان يكره

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا الناصري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٢٦٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

بشدة التظاهر بالورع والقدسية والتقى إمام الناس، لم يُشاهد طوال عمره وهو يحمل المسبحة ويورد الأذكار أمام أعين الناس، كان زاهداً متحرراً من أسر الدنيا بالكامل لكنه كان إلىٰ جانب ذلك يهتم بأن تكون ملابسه مناسبة، فكان يجتنب إرتداء الملابس البالية أو الرخيصة أو الممزقة[١].

يحب عبادة السر

لم يكن الإمام يتلو جميع الأدعية أمام أعين الناس لكي يروه كما يفعل بعضهم وهو يزور المراقد المقدسة في النجف أو الكاظمية. فمثلاً كنا نرافقه لزيارة الحرم ليالي الجمعة، فكان يرجع بعد الزيارة إلىٰ منزله ويتلو فيه دعاء كميل، أو أنه كان يرجع من المسجد ويدخل غرفته ويغلقها من الداخل ويطفأ المصباح مدة ربع ساعة لكي يؤدي في خلوته العبادات الخاصة. وقد حدث مرة أنني رجعتُ معه من المسجد إلىٰ المنزل ففقدته فجأةً بعد دخولنا المنزل!! كان القفل موضوعاً علىٰ باب الغرفة العلوية بطريقةٍ تصورت أنها مقفلة من الخارج، ولذلك ظننتُ أنه خرج ثانية من المنزل فقلت للخادم: أين ذهب السيد، لقد عدنا من المسجد للتو؟! قال: لقد صعد إلىٰ الغرفة العلوية، قلت: لا يوجد هناك، إن مصباحها مطفىءٌ والباب مقفلة!

وأثناء ذلك جاء آية الله التبريزي لزيارة الإمام فقال له الخادم أيضاً: إنه موجود في الغرفة العلوية! فقلتُ ـ صائحاً بانفعال ـ: واللّهِ إنه غير موجود فيها إن بابها مغلقةٌ من الخارج! وعندها سمعت صوت الإمام يأتي من داخل الغرفة: «لا حاجة للصياح أيها الشيخ الفرقاني، أنا هنا»!! ثم قام وفتح مصراعي الباب، فقلت: لماذا تجلسون في الظلمة يا سيدي؟!

---

(١) آية الله جعفر السبحاني، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

أوقدتُ مصباح الغرفة الذي كان مفتاحه قرب الباب، سألني: «ماذا تريدون؟»، كان ساجداً وهو يتلو أذكاراً وأدعية لم أعرف ما هي، وعندما رفع رأسه من حالةِ السجود رأيت الدموع وقد غطت وجهه وبللت أيضاً التربة التي كان يسجد عليها[1].

شديد الكره للنفاق والرياء وإظهار الفقر

يشهد الكثيرُ من طلبة الإمام بأنه كان شديد الكره للنفاق والرياء، ولم يكن يذكر الله أمام أعين طلبته ولا يستخدم المسبحة أمامهم رغم أنه كان دائم الذكر لله جل جلاله. كما كان يكره التظاهر بالفقر، فكان يهتم بأن يكون وضعه الظاهري مرتباً رغم أنه كان مديناً بمبالغِ كبيرةٍ[2]!

يلتزم الصمت في المحافل العامة

كان الإمام من أهل البحث والتحقيق في المباحث العلمية، يناقش بدقة الآراء ويجيب علىٰ الإشكالات، لكنه كان ـ مع ذلك ـ يلتزم الصمت في الاجتماعات التي يتخذ البحث فيها صبغة الجدال وسعي الآخرين لإظهار الفضل، إذا سأله أحدُ الحاضرين سؤالاً أجاب وإلا بقي ملتزماً الصمت والإصغاء لما يقوله الآخرون[3].

متحررٌ من جميع أشكال التعلقات

لم يكن في الإمام أدنىٰ مظاهر التعلق القلبي بمؤلفاتِهِ العلمية فضلاً عن الاهتمام بطبعها ونشرها رغم أنها جميعاً من المصنفات القيمة التي عزّ أو انعدم نظيرها في مختلف فروع المعرفة ورغم أنها كانت ثمرة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

(٢) كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ١، ص ٦٩.

(٣) آية الله إبراهيم الأميني، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ١٠٥.

جهود مضنية وسعي دؤوب في طي المراتب العلمية العالية. فمثلاً لم يظهر عليه أبسط ما يشير إلىٰ الإرتياح والاهتمام بالعثور علىٰ النسخة الخطية الأصلية لتعليقاته القيمة علىٰ كتاب «شرح فصوص الحكم» عندما جاؤوه بهذه النسخة الفريدة التي كان قد اشتراها أحد طلبة الحوزة مع كتاب آخر بمبلغ (٥٠) توماناً من بائع متجول طاعنٍ في السن في همدان، وقد سلمها هذا الطالب إلىٰ آية الله الشيخ حسين النوري ـ وكان يومها ممثل الإمام وإمام جمعة همدان ـ وقد حملها الشيخ النوري بدوره إلىٰ الإمام[١].

يجتنب كل ما فيه طلب الرئاسة

في تلك الأيام التي كان فيها علماء الحوزة يهتمون بأمرِ طبع رسائلهم العملية، وزيادة ما يحصلون عليه من الحقوق الشرعية وزيادة ما يعطونه من رواتب لطلبة الحوزة بهدف استقطاب عدد أكبر من المؤيدين لهم؛ وعندما كان الأساتذة والمراجع أو الذين يتحركون علىٰ طريق المرجعية يهتمون بأمرِ تخصيص رواتب للطلبة باسمهم، في تلك الأيام كان الاهتمام الوحيد للإمام ذي الروح العظيمة هو رفد طلبة الحوزة بزاده العلمي، لقد درستُ عند الإمام ثمان سنين دون أن أحصل منه حتىٰ علىٰ ثمانية ريالات!! بل ولعله لم يحصل علىٰ شيءٍ من ذلك حتىٰ خواص طلبته[٢].

يسعىٰ لحفظ نية الإخلاص فينا

تهيأت مقدمات زواجي في العراق في وقتٍ كان وضعي المالي سيئاً

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين إحسان بخش، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٣، ويشير الشيخ إحسان بخش هنا إلىٰ الأيام التي لم يشعر الإمام خلالها بأنّ عليه واجب التصدي للمرجعية فيما كان لعلماء الإسلام الآخرون إحساسٌ آخر. (المؤلف).

وارتباطي بعائلتي بإيران غير متيسر، فقلتُ للشيخ الرضواني: خذ لي - إن كان بالإمكان - قرضاً من الإمام مقداره (٥٠٠) ديناراً [أي ما يعادل يومها (١٠) آلاف تومان]. فعرض الأمر علىٰ السيد فقال: «أعطوه (٥٠٠) ديناراً قرضاً لمدة شهرين استرجعوه في الموعد المقرر»! وقد أخذت المبلغ وأكملتُ مقدمات الزواج، وقبيل انتهاء مهلة الشهرين قال لي الشيخ الرضواني: قال الإمام: «قُل لفلان إن مهلة الشهرين علىٰ وشك الانتهاء، ليسدد قرضه فليس لدي مالاً»!!

وقد أثار هذا الموقف تعجبنا حقاً، فلم يكن هذا الموقف متوقعاً من أي شخص في مكان الإمام تجاه شخصٍ مثلي يقوم بإنجاز كل هذه الأعمال المرتبطة بمكتبه، لكن الإمام كان يسعىٰ للحفاظ علىٰ نية الإخلاص فينا مثلما يحفظها في نفسه.

لقد أرجعتُ القرضَ للإمام في الموعد المقرر إذْ لم يكن لي مناصٌ عن ذلك[1]!

معياره في الحب والبغض

إن أسمىٰ القيم الأخلاقية في سماحة الإمام هو ما يرتبط بالتزامه بأن تكون التقوىٰ والخدمة للإسلام معيارَ حبه أو بغضه للآخرين، وكان يحب حتىٰ عياله وأرحامه علىٰ أساس هذا المعيار[2].

ينهىٰ أفراد عائلته عن تسلم المناصب المهمة

كان الإمام ينهانا عن تسلم المناصب المهمة، فمثلاً لم يكن يرغب أن

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا الناصري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٢٦٤.

(٢) آية الله بني فضل، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

تصبح ابنته نائبة في مجلس الشورىٰ، وكان يقول: «لا أحب أن يظهر شعورٌ أو توهمٌ بأن ابنتي قد حصلت علىٰ المنصب الفلاني بحكم انتسابها لي»، كما كان يقول: «نحن لم نقم بالثورة من أجل تقسيم المناصب بيننا، اجتنبوا المناصب دفعاً لتولد مثل هذه الشبهة في أذهان الناس، توجد آلاف المشاغل والخدمات الأخرىٰ التي يمكنكم القيام بها»[١].

يرفض التصدي لإمامة الجماعة في أحد المساجد المهمة

أقام الإمام في شهر رمضان من سنة ١٣٢٥ [هـ.ش] في مدينة محلات في منزلٍ أُعد لسماحته في أطرافها، فكان يقيم ـ قبل الإفطار ـ صلاتي المغرب والعشاء جماعة في مسجدٍ صغير بالقرب من منزله ولم يعرف بذلك إلا نفرٌ قليل جداً، كان المسجد صغيراً جداً لا تتجاوز مساحته (٢٠) متراً مربعاً فلم يكن مناسباً لأن تُقام فيه صلاة جماعة بإمامة الإمام الذي رفض عروضاً ملحةً بإمامةِ الجماعة في أحد مساجد المدينة الرئيسية، ورجح عليها إقامة صلاة الجماعة في هذا المسجد الصغير!!

وعلىٰ أي حالٍ فعند عرف عددٌ من الخماواص بأمر إقامته صلاة الجماعة في هذا المسجد الثاني أقبلوا علىٰ المجيء من أماكن بعيدة إليه للمشاركة في صلاة الجماعة خلفه بمقدار ما يتسع له هذا المسجد[٢]!

يقيم الجماعة في مسجدٍ طيني صغير

في أحد أسفاره إلىٰ مدينة محلات والذي صادف شهر رمضان

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة السيد أحمد)، ملحق صحيفة إطلاعات (١٧/٣/١٣٦٩ هـ.ش).

(٢) حجة الإسلام والمسلمين سروش المحلاتي، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

المبارك عمد الإمام إلىٰ إقامة صلاة الجماعة في مسجد بعيد ومهجورٌ وصغير جداً إذا لم يكن سوىٰ غرفة طينية واحدة! في حينٍ كان قد ألحَّ عليه عددٌ من علماء المدينة أن يتفضل بتولي مهمة إمامة صلاة الجماعة في المسجد الجامع لهذه المدينة لكنه رفض وقال: «يوجد مَن يقيم صلاة الجماعة في المسجد الجامع، ولكن لا يوجد مَن يُقيمها في هذا المسجد، لذا يجب إحياء هذا المسجد»[1].

يحيي المسجد المهجور

أقبل جميع علماء الحوزة وطلبتها علىٰ زيارة الإمام بعد وصوله إلىٰ النجف، وقد انشغل مدة في رد هذه الزيارات بزيارات مقابلة، وبعد شهر أو شهرين بدأت الطلبات تتكرر علىٰ سماحته لبدء التدريس واقترحوا عليه إمامة صلاة الجماعة والتدريس في مدرسة آية الله البروجردي، لكنه اختار ـ بعد تحقيق شامل ـ مسجد الشيخ الأنصاري ـ رحمه الله ـ محلاً لدرسه لأنه كان مسجداً مهجوراً[2].

يجتنب إمامة الصلاة في المساجد المعروفة

في تلك الأيام التي كانت فيها الاعتبارات الشأنية لكبار المجتهدين أو المراجع أن يأموا صلاة الجماعة في مسجدٍ كبيرٍ مشهور أو مسجدٍ قريب من الحرم المقدس، وأن يكون عدد المصلين خلفه كبيراً، كان الإمام يلقي دروسه في مسجد السلماسي وهو مسجدٌ صغيرٌ يقع في زقاق «يخجال قاضي»، فكان المسجد يمتلأ بأكثر طلبة الحوزة جداً ونشاطاً في الدراسة.

كما كان الإمام يجتنب إمامة صلاة الجماعة في المساجد المعروفة،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي، مجلة (ندا)، العدد الأول.

ولذلك كان يحظىٰ بإقامة صلاتي المغرب والعشاء خلفه عددٌ قليلٌ من المصلين الذين يذهبون إلىٰ بيته المتواضع حيث كان يقيم الصلاة فيه[1].

أسرع الناس عملاً بما يدعوهم إليه

طبع عددٌ من الإخوة مقداراً من صور الإمام، وكانت هذه الصور بحوزة الإمام لا تصل أيدينا إليها! وكان لطلبة الحوزة من الأفغانيين حسينية خاصة في النجف يقيمون فيها الشعائر الدينية وكانوا يرغبون في نصب صورة الإمام فيها وقد راجعوني مراراً للحصول علىٰ صورة للإمام، فذهبت إليه وأخبرته بطلبهم فرفض الاستجابة لذلك، وبعد مدة راجعني أولئك الطلبة مرةً أخرىٰ، فعرضتُ الطلب علىٰ الإمام مرةً ثانية، فرفضَ بحزم، فألححت عليه لكي يوافق وقلت: ليس لهؤلاء الطلبة غرضٌ من هذا الطلب، فأجاب: «إنني أنهي الناس عن التوجه للأمور الدنيوية، وهذا من الأمور الدنيوية، ولذلك لن أعطيهم صورتي»[2].

كيف أنهي الناس عن الدنيا وأقبل بها؟!

بعث المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي إحدىٰ صور الإمام إلىٰ لبنان لكي يتم طبع عدد منها علىٰ حجمين صغير وكبير. وقد جاء الشيخ الخلخالي إلىٰ قسم «البراني» من بيت الإمام الذي كان قد عاد إلىٰ منزله بعد زيارته للحرم، وفي آخر الليل نادانا الإمام وهو في الغرفة الفوقانية المتصلة بالقسم الداخلي من منزله قائلاً: «ائتوني بالصور». فحملتها إليه وأثناء ذلك خطر في قلبي أن أحتفظ لنفسي بإحدىٰ هذه الصور لشدة جمالها، ولكن بمجرد أن خطر في قلبي هذا الخاطر ناداني الإمام: «لا تحتفظ ولا بواحدة منها»!!

ولم يعط الإمام الصور لأحدٍ لأي من الإخوة ـ وأنا منهم ـ رغم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.

شدة إلحاحهم بل وتوسلهم في طلبها، وقال: «كيف أنهي الناس بنفسي عن الدنيا، وأقبلُ بهذا وهو من الدنيا؟!»[١].

اجتناب إلتقاط الصور له خشيةً من الشهرة

من الأمور التي كان يهتم بها الإمام هو عدم السماح لأحد بالتقاط الصور له خشية من أن يُستفاد منها في الدعاية لمرجعيته! وقد أُلتقطت بعد مدة طويلة صورتان له أرسلنا إحداهما إلىٰ لبنان لطبعها ملونة، وقد طبعت بالفعل ووصلت إلىٰ النجف، وقد حمل الدكتور الصادقي عدداً من نسخها إلىٰ الإمام ليريه نماذج للصور المطبوعة، فلما رآها قال: «أين بقية الصور؟ أئتوني بها»، فحملوها له، فأخذها واحتفظ بها وقال: «خذوا هذه الصور من أي شخصٍ حصلَ علىٰ نسخة منها»!

ثم ذهب المرحوم الحاج الشيخ نصر الله الخلخالي إليه وقال له: لقد طبعت هذه الصور يا سيدي علىٰ نفقتي الخاصة ومن أموالي فهي ملكاً شخصياً لي»! فأجاب: «حسناً، ولكن تبقَ الصور هنا»!

وعلىٰ أي حال فقد بقي المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي علىٰ مدىٰ ما يربو علىٰ ستةِ شهور يلح علىٰ الإمام أن يعطيه هذه الصور والإمام يرفض خشيةً من توزيعها، ثم أعطاها شريطة أن لا توزع في النجف وأن لا تُعطىٰ في البلدان الأخرىٰ إلا لمن يطلبها[٢]!

لم يكن يخشىٰ غير الله

قال لي أحد الإخوة: كنت أعرفُ الإمام لبعض الزوار في حرم أبي الفضل العباس عليه السلام فاستدعاني وهمس في أذني: «ما الذي يدفعك لهذا العمل؟! اجتنبه أقول هذا من أجلك»!

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الكروبي.

وقد أجبتُ هذا الأخ بأن حادثة مماثلة قد وقعت له مع الإمام، فعندما جائني الشيخ [حسن] الكروبي بكتاب «ولاية الفقيه» لكي أترجمه للعربية نقل لي عن الإمام وصيته بأن لا يعرف أحدٌ بأمر ترجمتي للكتاب وأضاف: «إنما أقول هذا خشيةً عليه، وإلا فإنني لا أخشىٰ أحداً»[1].

خشيتُ أن يكون بكائي لغير الله

إثر استشهاد المرحوم سماحة السيد مصطفىٰ أقاموا ـ في الليلة التي استشهد فيها ـ مجلساً تأبينياً علىٰ روحه في مسجد الهندي في النجف، وقد ارتقىٰ المنبر السيد جواد شبر، الذي نقل فيما بعد أنه وبسبب حضور الإمام في هذا المجلس فقد قرأ مصيبة علي الأكبر عليه السلام ثم أشار إليها سبع مرات، لكن الإمام بقي جالساً بكل سكينة وهدوء!

لقد أراد السيد شبر باختيار قراءة هذه المصيبة وتكرار الإشارة إليها أن يدفع الإمام للبكاء لكي يخف ضغط مصيبة فقده لولده علىٰ قلبه، ولكن السيد شبر لم ينجح في إبكاء الإمام! وقد قال بعضُ الذين لاحظوا حالة الإمام: إن عظم المصيبة قد أصاب الإمام بحالة من الصدمة والذهول لا يستطيع البكاء بسببها، وقد سألوه بعد انتهاء المجلس وعودته إلىٰ المنزل عن سبب عدم بكائِهِ، فأجاب: «عندما كان يقرأُ المصيبة كان ينظر إليّ فخشيت أن يكون بكائي ـ إن بكيت ـ لغير الله، أي بسبب مصيبتي فقدي لولدي، وليس ابتغاء رضا الله»[2].

لا تفعلوا شيئاً من أجلي

ألقي عددٌ من علماء قم ـ بينهم الشهيد المحلاتي ـ في السجن في

---

(١) آية الله محمد هادي معرفت، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد مرتضىٰ الموسوي الأردبيلي الأبركوهي.

بدايات النهضة، وقد جمعهم الإمام (بعد إطلاق سراحهم) وقال لهم: «إن كان قيامكم بما قمتم به وتعرضكم للسجن من أجلي، فإنني لا أملك أجراً أعطيه لكم، كما لا أستطيع أن أجازيكم بشيء أو أقومُ بشيءٍ من أجلكم، فلا ترجوا غير الدعاء! فلا تفعلوا شيئاً من أجلي!!

أما إذا كان عملكم ابتغاء مرضاة الله، فاصبروا ولا ترهبوا شيئاً وواصلوا عملكم»(١).

يوصي بإخلاص النية لله

أقامَ عددٌ من كسبة طهران مأدبة غداء بمناسبة إطلاق سراح الإمام من الإقامة الجبرية في منطقة قيطرية، وقد حضر الإمام هذه المأدبة التي تحدث فيها أحد الكسبة وخاطب الإمام بقوله: لقد قام الكسبة بهذا العمل وذاك العمل من أجل سماحتكم. . . فقال الإمام: «إذن قد فعلوا شططاً وعبثاً»!! فتعجب الجميع من جواب الإمام الذي تابع كلامه قائلاً: «إذا كان عملهم من أجل الله فأجرهم علىٰ الله، وعليهم أن يقوموا بذلك، أما إذا كان عملهم من أجلي، فإنني ليس لديّ ما أعطيه لهم»(٢).

لا أعطي جائزة لمن يُسجن من أجلي

بعد إطلاق سراح الإمام من السجن أردت زيارته وهو في منزل السيد الروغني، لكنّ شرطة الشاه لم يكونوا يسمحون لغير العلماء بالدخول عليه، وأثناء ذلك كان أحد الأصدقاء من باعة الألبان قد أعد مقداراً من اللبن الرائب أراد حمله للإمام. فطلب منه أن يسمح لي بأن أقومَ أنا بهذه المهمة، وبالفعل وضعت الطبق الذي فيه وعاء اللبن علىٰ

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا الناصري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٢٦٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، المصدر السابق.

رأسي ودخلت المنزل بهذه الوسيلة وبقيت فيه يومين أو ثلاثة لم أخرج خلالها أبداً، وقد شاهدت هناك مشهداً لا أنساه أبداً!

لقد شاهدت عدداً من العلماء قد ملأوا الغرفة، وكان أغلبهم ممن تعرض للسجن، ثم تقدم أحد السادة وقال للإمام شيئاً ظهر بسببه الأذىٰ علىٰ وجهه، وقد عرفت فيما بعد أنه قال للإمام: إن جميع السادة مجتمعين هنا هم من العلماء المجاهدين الذين تعرضوا للسجن، فحبذا لو تحيطونهم برعايتكم. وعندها لاحظت التغير قد غطىٰ وجه الإمام وقال بحدة: «أجل، لقد جاهد السادة وتعرضوا للسجن، وإن شاء الله يكونوا قد قاموا بذلك ابتغاء وجه الله وأجرهم عليه تبارك وتعالىٰ، ولكن مَن تعرض للسجن من أجلي فإنني لا أعطي جائزة لمن يعرض نفسه للسجن من أجلي...»!

وأتذكر أيضاً أننا احتجنا إلىٰ مبلغ من المال لإكمال تكاليف طبع بيانٍ للإمام فذهبنا إلىٰ منزله وطلبنا هذا المبلغ فقال: «وما علاقتي أنا بالأمر لكي أعطي المال للقيام به؟! يجب علىٰ الأهالي توفير الأموال اللازمة لذلك، فإن الأموال التي عندي ليست مخصصة لمثل هذه الأمور»، ثم رفع الملحف وقال: «كل ما يوجد هنا هو من سهم الإمام...»[1].

ماذا أفعل مع نفسي الأمارة بالسوء؟!

كان من المتعارف أن يقومَ علماء حوزة قم ومراجعها بزيارة العلماء الذين يأتون إلىٰ قم من المدن الأخرىٰ، لكن الإمام لم يكن يزور إلا الذين يعرفهم من هؤلاء العلماء، وكان يرفض زيارة غيرهم حتىٰ عندما كنا نقترح عليه ذلك أحياناً، وقد سألته يوماً: أليست زيارة العلماء

(١) اللواء حرس الثورة محسن رفيق دوست، النشرة الثقافية الخاصة لمؤسسة المستضعفين العدد: ٤١.

وإظهار المودة لهم من الأخلاق الإسلامية؟ أجاب: بلىٰ، قلت: أليس من الواجب العمل بالأخلاق الإسلامية؟ قال: بلىٰ، قلت: فنحن نتوقع من سماحتكم العمل بها ابتغاء مرضاة الله وليس لإستجلاب رضا الناس. فقال: «أجل صحيحٌ ما تقول، يجب عليّ القيام بذلك ولكن ماذا أفعل مع نفسي الأمارة بالسوء؟!».

لعل بعض الأشخاص كانوا يفسرون سلوكه هذا بنوعٍ من التكبرِ، ولكن الأمر ليس كذلك في الواقع، والدليل ـ مثلاً ـ أنني أصبت في تلك الأيام نفسها بمرضٍ اضطرني إلىٰ الرقود للعلاج في غرفتي في مدرسة الحجتية [في قم] حدود الشهر، فكان الإمام يأتي لعيادتي أيام الأربعاء طوال هذه المدة رغم أنني كنتُ طالباً مغموراً لا أكثر[1]!

لا أستطيع أن أخلص نيتي!!

جاء خطيب من مدينة همدان ومن صالحي أهلها إلىٰ قم ونزل في منزل أخيه الذي كان من تلامذة الإمام، فزرت الإمام برفقة المرحوم الشهيد الشاه آبادي وقلنا له: إن فلاناً قد جاء من همدان، وهو رجلٌ صالح ومجاهد وقد بذل الكثير من الجهود المضنية أيام الجهاد فمن المناسب أن تذهبوا لزيارته. أجاب: «إن صحتي غير مناسبة» لكن المرحوم الشاه آبادي ألحَّ في طلب ذلك وقال للإمام: إن أخاه من تلامذتكم، وهو نفسه من محبيكم وله دورٌ مهم في الجهاد، وكل ذلك يقتضي منكم أن تذهبوا لزيارته. فقال: «قلت: إن صحتي غير مناسبة لأنني مصابٌ بالحمىٰ، ولكنها لم تبلغ الدرجة التي تمنعني من الذهاب إلىٰ منزل هذا السيد وزيارته، أما الذي يمنعني فهو أنني لا أستطيع أن أخلص نيتي لله في القيام بذلك بعد وصفكم لحال هذا السيد وقولكم:

---

(١) آية الله إبراهيم الأميني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٤.

إنه من محبيكم»! سكت المرحوم الشاه آبادي إثر هذا الجواب، أما أنا فقد قوي اعتقادي بمنزلةِ الإمام[1].

لا يسعىٰ لاستقطاب المريدين

لم يكن الإمامُ يسعىٰ إلىٰ استقطاب «المريدين» المؤيدين حولَهُ، كان لا يعرف الكثير من تلامذته، ولم يكن يسعىٰ لمعرفتهم[2].

هذه من تسويلات الشيطان

أتذكر أنني سمعتُ ـ عندما كنتُ في النجف ـ شكوى من بعض الأشخاص من أن الإمام لا يتفاعل معهم ولا يحتفي بهم بالدرجة المطلوبة، فطلبت من المرحوم السيد مصطفىٰ ـ بعد أن نقلت قولهم له ـ أن يطلب من الإمام أن يتفاعل أكثر معهم ويحتفي بهم، فقال سماحته: لقد عرضنا هذا الأمر مراراً وتكراراً علىٰ الإمام فكان يجبينا بالقول: «هذه من تسويلات الشيطان ومكائده، أي أن نفسي في الحقيقة هي التي تدعوني إلىٰ الإحتفاء بالآخرين لكي يزداد عددُ المحبين لي، ولكي يُغررني الشيطان بذلك ويُلبس عليّ الأمر يقُول لي: إفعل ذلك من أجل الله ومصلحة الإسلام! ولذلك فإنني أجتنب القيام بذلك»[3].

كيف أتراجع عن التوحيد إلىٰ الشرك؟!

كان بعض السادة العلماء والأهالي في النجف يُشكلون علىٰ الإمام بسبب عدم احتفائِهِ ببعضِ أصدقائِهِ، وكانوا يقولون ـ مثلاً ـ: عندما يلتقي اثنان من آيات الله يحتفي كلٌ منهما بالأخر ويظهر كلٌ منهما مظاهر

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مرتضىٰ الطهراني، المصدر السابق، ج ٥.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد جلال الدين الآشتياني، مجلة (كيهان أنزيشه)، العدد: ٢٤.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الموحدي الكرماني.

الاحترام والتبجيل للآخر! فكان الإمام يقول تعليقاً علىٰ ذلك: «لقد تحملت الكثير من المشاق علىٰ مدىٰ أربعين سنة حتىٰ صرتُ موحداً، فكيف أتراجع اليوم وأمسي مشركاً وأسجدُ لكم وللسادة؟!»[١].

لم يذكر استشهاد ابنه في خطاباته

تعامل الإمام بسكينته المعهودة وبحالة عادية وبصبرٍ وسعة في التحمل مع حادثة استشهاد نجله المرحوم السيد مصطفىٰ ـ رحمه الله ـ حتىٰ أثناء تشييع جثمانه! والقضية الأهم في أنه بعد ساعات من ذلك أو في مساء ذلك اليوم، مرَّ الإمام علىٰ قبر ولده السيد مصطفىٰ وهو في طريق لزيارة أمير المؤمنين ـ سلام الله عليه ـ أو في طريق عودته من زيارته اليومية المعتادة للحرم العلوي، وتوجد في المقبرة التي دُفن فيها جثمان السيد مصطفىٰ قبورُ عددٍ من العلماء الكبار، ورغم أنها كانت المرة الأولىٰ التي يأتي فيها الإمام إلىٰ قبر ولده لقراءة الفاتحة علىٰ روحه، فإنه لم يبدأ بولده، بل جلس عند قبور أولئك العلماء أولاً وقرأ لهم سورة الفاتحة ثم جاء إلىٰ قبر ولده وقرأ له سورة الفاتحة وغادر المكان!

لقد بقي الإمام يقود الثورة عشر سنين بعد انتصارها في إيران وألقىٰ كل تلك الخطابات طوال هذه المدة، لكنه لم يذكر ولو مرة واحدة بل ولم يشر لحادثة استشهاد ولده ولم يذكر اسمه سوىٰ في بيانٍ واحد وذلك عندما ذكره عرضاً وهو ينتقد المتحجرين والرجعيين حيث قال: «إن ابني مصطفىٰ شرب يوماً وهو طفلٌ صغيرٌ ماءً فقالوا: يجب تطهير الوعاء الذي شرب منه لأنّ أباه يدرّس الفلسفة»[٢]!!

الاهتمام بصدقةِ السر

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين مهدي الكروبي.

قبل سنين طويلة من الثورة مرَّ أحد العلماء الأجلاء بأزمةٍ مالية حادة وضيق في المعيشة بعد وفاة والده، فأرسل الإمام له مبلغَ ألف تومان بواسطة شخص ثالث لكي لا يعرف هذا العالم أن الإمام هو الذي بعث له هذا المبلغ[١].

لا حاجة لذلك

كان الإمام يأتي إلينا ويجلس معنا لكي يشاركنا في ملأ أكياس الكرزات الصغيرة قبل إرسالها إلىٰ المجاهدين في الجبهات، فكنت أقول له: اسمحوا لنا بأن نكتب علىٰ هذه الأكياس أنها عُبأت من قبلكم فمعرفة ذلك تدخل السرور عليهم، لكنه أبىٰ وقال: «لا حاجة لذلك»[٢].

يوصي بأن تكون كل أعمالنا عبادة

لقد قال لي الإمام مراراً: «احرص علىٰ أن تكون نيتك التقرب إلىٰ الله حتىٰ في أعمالك العادية لكي تحصل علىٰ الأجر»[٣].

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد الفحام، مجلة (نور علم)، الدورة: ٣، العدد: ٧.
(٢) السيدة زهراء المصطفوي (ابنة الإمام).
(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

الفصل التاسع:

تواضعه وكراهيته المدح والعجب بالنفس

شكاني لأنني مدحته!

تحدثتُ يوماً قبل خطبتي صلاة الجمعة عن حالة عادية ثابتة في حياة الإمام وهي رعايته الاقتصاد وشدة اجتنابه الإسراف إلىٰ درجةٍ أنه لا يريق المتبقي في الكأس من الماء بعد أن يشرب منه، بل يحتفظ بالمتبقي لكي يشربه فيما بعد، وقد استمع الإمام لكلمتي عبر الإذاعة فشكاني لنجله المحترم السيد أحمد قائلاً: «لماذا يمدحني فلانٌ؟!»[1].

قد يدعو عليّ إذا مدحته!

إنني لا أستطيع أن أحدثكم بشيءٍ عن الإمام لأن من المحتمل أن يتأذىٰ مني بشدةٍ إذا عرف بذلك وقد يدعو عليّ بسبب مدحي له[2]!!

لماذا تغالون فيّ؟!

كان الإمام يستدعي الذين يبالغون في مدحه في خطاباتهم أو

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، نشرة خاصة أصدرتها جمعية نساء الجمهورية الإسلامية بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني، ضمن مقابلة أجريت مع سماحته قبل وفاة الإمام.

مقابلاتهم أو يذكرون أموراً غير واقعية، ويعاتبهم قائلاً: «لماذا تتحدثون بأمور لا واقع لها؟ لماذا تصفوني بفوق ما أنا عليه؟» وقد تحدث أحد الأشخاص يوماً وفي حضور الإمام عن شخصيته فاعترض الإمام فوراً وقال: «لماذا تغالون فيّ بهذه الصورة؟!»[١].

لستُ سوىٰ أحد الخدمة

ذهبنا ـ ضمن أول تشكيلة لمجلس الشورىٰ الإسلامي ـ لزيارة الإمام، وقد مدح أحد السادة الإمام كثيراً فلاحظت الأذىٰ يظهر علىٰ وجه الإمام الذي قال في آخر اللقاء: «أرجو أن لا تغرني هذه الكلمات، فلست سوىٰ أحد الخدمة»[٢].

لست أنا الذي تصفونه بهذه الأوصاف

زرنا الإمام برفقة أحد الأصدقاء بعد وفاة السيد البروجردي ـ رحمه الله ـ وقد اقترحنا عليه أن يطبع رسالة عملية، فأبىٰ، فأخذ صديقنا بالإطراء عليه وبالغ في ذلك بعض الشيء، فغضب الإمام وقال بلهجةٍ حادة: «ما هذه الأوصاف التي تطلقونها بشأني؟ لستُ أنا الذي تصفونه بهذه الأوصاف»[٣]!!

يقاطع كلام مادحه

تحدث يوماً أحد الأشخاص عن الخصوصيات الأخلاقية والاجتماعية للإمام في حضوره، فظهرت آثار الأذىٰ والغضب علىٰ وجه الإمام، وقاطع حديثه أكثر من مرة قائلاً: «لا تمدحني»[٤]!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا التوسلي.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين ناطق النوري، صحيفة كيهان (١٨/٣/١٣٦٨ هـ.ش).
(٣) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، صحيفة جمهوري إسلامي (١٣/٣/١٣٦٩ هـ.ش).
(٤) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني.

لا تمدحوني

زرت الإمام يوماً ضمن مجموعة من الإخوة العاملين في الجهاز القضائي، وبعد انتهاء اللقاء ناداني ونحن نخرجُ من عنده، وعندما رجعت إليه قال: «يا فلان، أردت أن أقولَ لكم: لا تمدحوني»[(١)].

لا تمدحني في أي مكان

قال لي الإمام يوماً: «بحكم كونكم من أهل خمين وتترددون علىٰ بيتي، فعليكم أن تدققوا في أحاديثكم كثيراً لكي لا يصدر منكم أي مدح لي في أي مكان»[(٢)].

يمنع الكتابة عن حالاته العرفانية

لم تظهر الجنبة المعنوية والعرفانية في شخصية الإمام، بل لم تُظهر أبعاد شخصيته عموماً بالمستوىٰ المطلوب، وعلة ذلك هي تقواه وسمو نفسه، فلم يكن يسمح بالكتابة عن حالاته العرفانية والأخلاقية وعن خصوصيات شخصيته، وكان يكرر دائماً القول: «لا حاجة بي لتعريفي إلىٰ الناس»[(٣)]!

أنا لست كما تقولون

رأيتُ بنفسي في موارد عدة أشخاصاً يزورون الإمام ويغالون ـ بعض الشيء ـ في مدحه بأوصاف غير عادية فكان الإمام يعاتبهم بشدة ويقول: «إنني أشكركم لتحدثكم عني بهذه الطريقة، أنا لست كما تقولون»[(٤)].

---

(١) آية الله المحمدي الجيلاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الجلالي الخميني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، صحيفة إطلاعات (٢٦/٣/١٣٦٨ هـ.ش).

(٤) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني، صحيفة جمهوري إسلامي (١٤/٨/١٣٦٧ هـ.ش).

لا يحق لك مدحي

لا أتجرأُ أنا ـ وبصفتي ابن الإمام ـ أن أتحدث عن خصوصياته لأنه يقول لي: «لا يحق لك أن تمدحني»[1].

جاهد نفسه طويلاً

زرتُ الإمامَ مرة برفقةِ أئمة الجمعة في محافظة كرمانشاه، وقد قلت أثناء اللقاء كلمةً لم يعتبرها كلمة صحيحة! في حين كنت أراها أنا صحيحة بالكامل، فقد ورد في الحديث: «مَن علمني حرفاً فقد صيّرني عبداً»، وقد تتلمذتُ أنا علىٰ يديه مدة لذلك إذا قلتُ: أنا عبدك، فليس في ذلك أي غلو، ورغم ذلك فقد قلتُ كلمة [من هذا القبيل] فتأذىٰ بسببها، وهذا الأمر يكشفُ أنه قد جاهد نفسه عمراً حتىٰ استطاع أن يزكيها[2].

لا يحب أن يمدح

شاهدتُ الإمام يقطعُ صوتَ جهاز التلفاز كلما بث حديثاً فيه مدحٌ له ولا يرفع صوته إلا بعد انتهاء مثل هذا الحديث، فهو لا يحب أن يُمدح من الأساس[3].

قطع صوت التلفزيون

كنتُ جالساً يوماً عند الإمام وهو يستمع لخطابٍ له كان التلفزيون يبث شريطه المسجل، وقد رأيته مراراً يقرأ خطاباته التي تنشرها الصحف، وبعد أن انتهىٰ خطابه قام الحاضرون وأخذوا بإطلاق الشعارات، فرددوا أولاً

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.
(٢) آية الله الشهيد الأشرفي الأصفهاني، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ٦٣.
(٣) السيدة زهراء المصطفوي.

شعار: «يا رباه، إلىٰ ظهور المهدي احفظ الخميني»، فبقي الإمام يستمع لهذا الشعار، ثم تغيّر الشعار وبدأت أصوات الجمهور تردد شعار: «أنت روحي أيها الخميني، أنت محطم الأصنام أيها الخميني»، وعندها خفضَ الإمام صوت التلفزيون بجهاز السيطرة الذي يحمله بيده ولكنه لما لاحظ استمرار الجمهور في ترديد هذا الشعار خفض صوت التلفزيون مرةً أخرىٰ. لكن ترديد هذا الشعار استمر فقطع صوت التلفزيون بالكامل في المرة الثالثة، وصبر حتىٰ انتهىٰ عرض هذا البرنامج وبدأ عرض البرنامج الآخر وعندها رفع صوت التلفزيون مرةً أخرىٰ[1]!

لماذا تنتهكون حرمتي في بيتي

كان بيت الإمام يخلو من الأمور المألوفة في بيوت المراجع في النجف، فمثلاً من هذه الأمور ظاهرة دور «الحواشي»، ولم يكن الإمام يسمح لأحد بالظهور بعنوان أنه من حاشيته، كما لم يكن يسمح بطبع وتوزيع صوره وباقي الأشياء التي تعتبر وسائل دعاية لأي مرجع. كنا يوماً نصلي صلاة الظهر خلفَهُ في منزله، فجاء شخصٌ وأخذ بتوزيع عدد من صور الإمام بين المصلين، فلما انتبه الإمام لذلك غضب بشدة واعترض علىٰ هذا العمل، وقال بلهجة صارمة مقرونة بالغضب والإنزعاج: «لماذا تنتهكون حرمتي في بيتي؟! إنني لا أسمح بالقيام بمثل هذه الأعمال هنا ولا أسمح بالدعاية لي»[2]!

لا يجوز لك إدخال هذا الكتاب إلىٰ بيتي

يشتمل كتاب «الطهارة» الذي ألفه الإمام علىٰ أربعة أجزاء أحدها يحمل عنوان «الدماء الثلاثة»، وقد قلتُ له يوماً: هل تسمح لنا بطبع

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي.

جزء «الدماء الثلاثة»؟ أجاب: «لا علاقة لذلك بي، إن شئتم فاطبعوه، وإن لم ترغبوا في ذلك فلا تطبعوه، الأمر لا يخصني في كلا الحالتين»! قلت: حسناً يا سيدي، أقرضنا مبلغاً من المال لكي نطبعه، (وكانت الأوضاع المادية لطلبة الحوزة سيئة للغاية في تلك الأيام)، فأجاب: «ليس لدي مالٌ لمثل هذه الأمور»!

بقي الإمامُ مصراً علىٰ رفضه رغم شدة إلحاحي عليه، فاضطررت بالتالي إلىٰ الذهاب إلىٰ أخيه سماحة آية الله السيد بسنديده، واقترضتُ منه مبلغ (٥) آلاف تومان وطبعت كتاب «الدماء الثلاثة» بحلةٍ قشيبة. وبعد طبع الكتاب قلت للإمام: لقد اقترضتُ من أخيكم مبلغ (٥) آلاف تومان من أجل طبع الكتاب فتفضلوا عليّ بأداء هذا القرض نيابةً عني! لكنه كرر جوابه السابق: «ليس لدي مالٌ لمثل هذه الأمور»! وبقي يكرر هذا الجواب رغم شدة إلحاحي عليه ورغم أنني قلتُ له: إنني هنا في خدمتكم يا سيدي.

وعلىٰ أي حالٍ فقد اضطررت إلىٰ بيع قطعة من السجاد وأشياء أخرىٰ من أثاثي وسددت تدريجياً القرض لآية الله السيد بسنديدة! ثم أخذت الكتاب بعد خروجه من المطبعة وذهبت إليه وقلت: لقد طبعتُ الكتاب يا سيدي ودفعتُ التكاليف بنفسي فاسمح لي أن أوزعه في بيتكم علىٰ السادة الذين يأتون إلىٰ هنا. فأجاب: «كلا لا تدخل نسخ هذا الكتاب إلىٰ بيتي، لا يجوز لك إدخاله إلىٰ بيتي»[1]!!

ينهىٰ عن بث خطابٍ يمدحه

إثر إخراج الحكومة البعثية للإيرانيين المقيمين في العراق، ألقىٰ

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين علي أكبر المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ١٥٦.

الشيخ الفلسفي خطاباً طويلاً تضمن هذا المعنىٰ: (لتعلم الحكومة العراقية أن من الممكن الإتكاء علىٰ الحراب ولكن ليس من الممكن الجلوس عليها)، وقد اشتمل هذا الخطاب علىٰ هجوم عنيف ضد الجهاز البعثي الحاكم في العراق.

وبعد شهور توفي السيد «الچهل ستوني» رحمه الله، وفي تلك الأيام أطلق أحد أعضاء مجلس الأعيان في النظام الملكي كلمات قبيحة، فارتقىٰ الشيخ الفلسفي المنبر في مراسم أربعينية السيد «الچهل ستوني» وألقىٰ خطاباً أثني فيه كثيراً علىٰ الإمام، وقد وصل الشريط المسجل لهذا الخطاب إلىٰ النجف وسلمه لي المرحوم السيد مصطفىٰ لكي أكثّر نسخه. وقد قررنا بث هذا الشريط بعد صلاتي المغرب والعشاء في مدرسة السيدة البروجردي حيث كان الإمام يقيم صلاة الجماعة فيها، لكي يستمع طلبة الحوزة لذاك الخطاب، وقد قمنا ببثه مرة، ثم جاء عددٌ من الطلبة وقالوا: إننا لم نستمع لخطاب الشيخ الفلسفي فنرجو تحديد موعد لبثه مرة أخرىٰ، فاستجبنا لطلبهم وقررنا إعادة بث الشريط المسجل لهذا الخطاب، ولم نكن نعلم أن الإمام كان قد طلب من الشيخ عبد العلي القرهي قبل ذلك بثلاثة أيام أن ينقل لي نهيه عن بث هذا الشريط ولكن الشيخ القرهي نسي إخباري بأمر الإمام، ولذلك حددنا موعد بثه وفي الليلة التي حددناها موعداً لذلك جاء الشيخ القرهي وقال: يقول الإمام: «لا تبثوا هذا الشريط»[1]!

إحذفوا كلمة «الأعلىٰ»

أرسل عددٌ من علماء رشت برقية تعزية للإمام ـ بمناسبة وفاة آية الله الحكمي، وقد استخدموا للإشارة إلىٰ الإمام في البرقية تعبير «سماحة

(١) حجة الإسلام والمسلمين أحمد رحمت.

السيد» وأرسلوا البرقية لي لكي أوصلها للإمام، ولما سلمتها للإمام تقرر أن أكتب برقية جوابية ثم أبعثها لعلماء رشت بعد عرضها علىٰ الإمام، وقد استخدمت في البرقية التي كتبتها وصفاً للإمام ورد في عبارة: «وقد شكر المرجع الديني الأعلىٰ...»، وقد سلمتها للشيخ القرهي لكي يعرضها علىٰ الإمام، وفي اليوم التالي رآني وأخبرني أن الإمام قال: «إحذفوا كلمة الأعلىٰ»[1]!

يجب إزالة هذه الألقاب

عندما طُبعَ كتاب «تحرير الوسيلة» في النجف الأشرف وضعوا علىٰ غلافه الألقاب التي اعتادوا علىٰ وضعها علىٰ الرسائل العلمية من أمثال: آية الله العظمىٰ وزعيم الحوزات العلمية، ولم يكن ذلك بالأمر الجديد فقد عمل مسؤولو المطبعة بما اعتادوه مع كتب المراجع، فلا يمكن إتهام أحد بالتقصير، لكن الإمام عندما عرف بذلك منع توزيع نسخ الكتاب وقال: «يجب إزالة هذه الألقاب»، فاضطر المسؤولون عن الطبع إلىٰ تغطية هذه الألقاب بشيء لكي لا يكون بالإمكان قراءتها[2].

لا أعطيه شيئاً لأنه مدحني أنا بشعره

أدت مواجهة الإمام لقانون جمعيات المدن والقرىٰ وكشفه للحقائق إلىٰ أن تنشر الصحف خبر إلغاء هذا القانون وتراجعت عن تأييدها السابق له والذي عبرت عنه في مقالات عدة نشرتها بشأنه. وقد أنشد أحد الإخوة ـ وكان عالماً فاضلاً ـ أشعاراً بهذه المناسبة مدح فيها الإمام، وقد وقف في عصر أحد الأيام وألقىٰ تلك الأشعار. ويومها اقترح بعض الإخوة اصطحابه للإمام للحصول له علىٰ صلة مالية، فبادرت لذلك وذهبت للإمام وأخبرته

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ٧.
(٢) آية الله القديري، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة الذكرىٰ الثانية لوفاة الإمام.

بالأمر، فقال: «لا أعطيه شيئاً لأنه مدحني أنا بشعره»!! ولم أستطع الحصول له ولا علىٰ ريال واحد من رغم شدة إلحاحي من أجل ذلك[1].

لم يكن راغباً في الإفصاح عن شيءٍ

قلتُ للإمام: كان التعجب والاستغراب مسيطراً علىٰ الجميع من اختياركم لآية ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[2] كمستهل لبيانكم بمناسبة موسم الحج لهذا العام، وظل هذا التعجب إلىٰ أن وقعت حادثة الجمعة الدامية في مكة وعندها عرفنا سر اختيار هذه الآية، فتضاعف تعجبنا!!

كان الإمام ـ قبل أن أصل إلىٰ هذا المقطع من الكلام ـ يعينني علىٰ الكلام بأسئلته ونظرته وإصغائِهِ المعبّر عن اهتمامه بمعرفة الأخبار التي أنقلها والمشاهدات التي أصورها له، ولكن عندما وصلت إلىٰ المقطع المذكور وأردت أن أتحدث بالكناية عن الكرامة التي صدرت من سماحته متجلية باختيار تلك الآية، أطرق حينئذٍ إلىٰ الأرض وأقطب حاجبيه! كأن الحديث ليس جديداً أوليس من الجدير أن يقال!! ولكن يبدو أنه لم يكن راغباً في الإفصاح عن شيءٍ بهذا الخصوص ولو بنظراته أو بمشاهدة ما في عينيه[3]!

لا تهتفوا بشعارات التمجيد لي

قال الإمام لي قبل أن يتوجه إلىٰ الحسينية لحضور إحدىٰ لقاءاته العامة بالناس: «قُلْ لهم أن لا يهتفوا بشعارات التمجيد لي»[4]!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.
(٢) سورة النساء: الآية ١٠٠.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (في ظل الشمس)، ص ٢٢١.
(٤) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، صحيفة جمهوري إسلامي (١٣/٣/١٣٦٩ هـ.ش).

لا تجعلوا أخباري في أول النشرات الإخبارية

سمعت أن الإمام قال للسيد محمد الهاشمي عندما زار الإمام بصفته المدير التنفيذي لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون؛ أنه لا يرغب في جعل الأخبار المرتبطة به في صدارة النشرات الخبرية للتلفزيون وإظهار صورته علىٰ الشاشة عند إذاعة تلك الأخبار، وقد أجاب السيد الهاشمي علىٰ ذلك بالقول: إن الناس يحبون رؤيتكم وسماع أخباركم باستمرار من التلفزيون، وعندها قال الإمام: «إن علاقتنا بالشعب لم تتولد من خلال الإذاعة والتلفزيون، بل كانت قائمة قبل أن نسيطر علىٰ مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، ولذلك فلا تؤثر هذه الوسيلة علىٰ علاقتنا بالشعب وعلاقة الشعب بنا»[١].

لا تتحدثوا عني بهذا المقدار

كان الإمام لا يحب نقل القضايا المرتبطة بشخصيته في الصحف، ويكرر القول للمسؤولين عنها: «لا تتحدثوا عني بهذا المقدار»؛ وغاية ارتباطه بالصحف هو أن تنقل الوصايا الإرشادية بشأن قضايا البلاد المختلفة، وفي هذا الموقف درسٌ بليغٌ لنا. كان الإمام يحب كثيراً أن تتحدث الصحف عن هموم الناس وما يرتبط بمطالبهم وما يخدمهم. وفي المقابل لم نلاحظ ولا مرةً واحدة أنه يرغب في أن تقدم الصحف خدمة له مهما كانت بسيطة. رغم أن مسؤولي الصحف كانوا يترصدون أبسط إشارة من الإمام تعبّر عن مثل هذه الرغبة الشخصية[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مسيح المهاجري، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثالثة لوفاة الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين مسيح المهاجري، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثالثة لوفاة الإمام.

لم يسمع منه أحدٌ تزكية ومدحاً لنفسه

مُنذ بداية دخول الإمام الحوزة العلمية، كان الجميع من الخاصة والعامة والأصدقاء والأعداء، يقرون بتقواه وزهده ونزاهته، كان ملتزماً طوال حياته بأداء العبادات من الفرائض والمستحبات، وباجتناب المكروهات، وإلىٰ جانب كل ذلك لم يسمع منه أحدٌ ولا مرة واحدة تزكية ومدحاً لنفسه بل ولا إشارة إلىٰ المشاق التي تحملها في سبيل الله، كما لم يشاهد أحدٌ عليه أي شكل من أشكال التظاهر بالقدسية أو التقوىٰ. ولذلك تجلت في حياته السياسية والاجتماعية روح الإخلاص والابتعاد عن تزكية نفسه ومدحها، فلم نشاهده ولم نسمعه ـ ولا مرة واحدة طوال سني الثورة والجهاد ـ يشير مثلاً في رسالة أو بيان أو مقابلة أو خطاب إلىٰ الدور المحوري المهم لقيادته، أو إلىٰ أنه يرىٰ لنفسه ولو سهماً بسيطاً في انتصار الثورة الإسلامية(١).

الإسلام ليس مرتهناً بوجودي

اقترح عليّ أحد الأصدقاء من تلامذة الإمام يوماً أن نذهب إليه عسىٰ أن نقنعه بالموافقةِ علىٰ طبع رسالته العلمية، فدخلنا عليه في أوائل الصباح وهو جالس علىٰ بساطٍ متواضع في قسم «البراني» من بيته، فتحدث صديقي قائلاً ما مضمونه: إن المجتمع المعاصر بحاجةٍ ماسةٍ لوجودكم، وقد قال أثناء حديثه كلمة لعل فيها بعض المغالاة دفعه لها شدة حبه وإيمانه للإمام، وأتذكر جيداً أن لون الإمام تغير فجأة عند سماع هذه الكلمة وقال: «كلا، ليس الأمر كما تقول، الإسلام ليس مرتهناً بوجودي»(٢).

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٣.

نحن في خدمتكم

انتخب مجلس خبراء الدستور لجنة من أعضائِهِ ـ وكنت أحد أعضائِها ـ يرتبط عملها بالأصل (١١١) من الدستور وقد تشرف أعضاء اللجنة بلقاء الإمام وقالوا له: نحن في خدمتكم، نعملُ علىٰ وفق أي رأي تبينوه لنا! لكن الإمام تعامل معنا بتواضعٍ شديد أثار إعجاب أعضاء اللجنة كافة ودون استثناء[١].

يجتنب مجالس الصدارة

كانت تعقد في أيام الفاطمية مجالس عزاء بالمناسبة في منزل آية الله العظمىٰ السيد البروجردي، وكنت أشاهد الإمام يجلس بتواضع وأدب بالغ بين طلبة الحوزة من المستوىٰ المتوسط بعيداً عن مكان جلوس آية الله البروجردي ـ رحمه الله ـ كان ذلك في سنة ١٣٣٣ هـ.ش، [٢٩٥٤م]، وكان يرتقي المنبر في مجالس العزاء تلك الخطيب المرحوم الشيخ التربتي، وكنت أرىٰ الإمام يصغي لمجلس التعزية وهو علىٰ جلسته المؤدبة تلك طوال المدة التي كنا نحضر فيها هذه المجالس، الأمر الذي كان يثير تعجبي، إذْ أن المتوقع أن يجلس مَن كان في مثل مكانة الإمام المرموقة في الحوزة بالقرب من المرحوم السيد البروجردي، لكنه كان يجلس بهيئةِ المستمع العادي وبتواضع وسط الطلبة العاديين[٢].

يكره مظاهر التعظيم

كان الإمام شديد النفرة من الأمور التي تظهره بحالةٍ من الفخامة، لذلك كان يحرص علىٰ اجتنابها ومنعها والتحرك كشخصٍ عادي؛ فمثلاً كان يوجد

---

(١) الموحدي الكرماني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الحجتي، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

في زقاق «أرك» الذي اعتاد المرور عبره دكانٌ بقالٍ اسمه «الحاج غلام»، وكان هذا البقال جالساً يوماً علىٰ علبة سمن نباتي كبيرة في ظل الجدار وقد وضع إحدىٰ رجليه علىٰ الأخرىٰ، وفي يده سلسلة يديرها! فلما وصل الإمام إليه ـ وهو في طريقه ـ سلم عليه، فأجابه وهو علىٰ هذه الحالة ودون أن يعرفه: وعليك السلام يا سيد، كيف حالك[1]؟!

يجيب سلام الأطفال بمودة

علىٰ الرغم من حالة الحدة والصلابة التي تميز بها الإمام في مواجهة الجهاز الحاكم، وعلىٰ الرغم من استمرار هذه المواجهة والمشاكل اليومية التي تفرزها، لم يغفل الإمام ـ ولا مرة واحدة علىٰ ما أتذكر ـ عن إجابة سلام الأطفال الصغار! كان يجيب سلامهم وهو يدير نظره عليهم جميعاً بنظرات مفعمة بالرأفة ومقرونة بابتسامة محببة[2].

ينظر لمن يسلم عليه

كان الإمام ينظر أولاً إلى مَن يسلم عليه ليعرف مَن هو قبل أن يرد سلامه[3]!

يسلم علىٰ الأطفال

كان الإمام يسبق الآخرين بالسلام دائماً خاصة عندما يدخل عليهم، كما كان يسلم علىٰ الأطفال ويعامل الآخرين بحالة عميقة من الرأفة والرحمة رغم ما هو عليه من عظمة تجعل القوىٰ الكبرىٰ تشعر بالرعب من سماع اسمه[4].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الموسوي خوئيني ها، مجلة (حوزه)، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) السيد حسين شهرزاد (جار الإمام في قم)، مجلة (شاهد)، العدد: ١٨٦.

(٣) السيد خادم (من حرس بيت الإمام)، كتاب (في رثاء النور)، ص ٦٥.

(٤) الدكتور محمود البروجردي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٣.

سباق للسلام

كنت أسعىٰ أن أبدأ بالسلام كلما دخلت علىٰ الإمام في غرفته لكنه كان يسبقني في كل مرة فأضطر للرد علىٰ سلامه[1]!!

شديد التواضع

لا يمكن أن ينسىٰ تلامذة الإمام بل كل مَن عاشره شدة تواضعه واهتمامه بتربية تلامذته، كنت منجذباً بقوة لشخصيته محباً له بعمق إضافة إلىٰ علاقة التلميذ والأستاذ التي كانت تربطني به، لم أستطع طوال مدة ملازمتي لخدمته أن أسبقه بالسلام ولا مرة واحدة لأنه كان سباقاً بالسلام دائماً[2].

لم نستطع أن نسبقه بالسلام

كان من الصعب علىٰ أي شخص أن يسبق الإمام بالسلام عند دخوله لأي مكان، وكان يحدث مراراً أن نسبقه في الدخول إلىٰ غرفة عمله وتبقىٰ عيوننا معلقة باتجاه الباب انتظاراً لدخوله بحالة الاستعداد للسلام عليه، ولكنه كان رغم ذلك يسبقنا بالسلام إما قبل أن يدخل الغرفة أو فور دخوله[3]!!

سلّمَ عليّ بحرارة

كنتُ أصلي في حرم الإمام علي عليه السلام فانتبهتُ إلىٰ دخول الإمام وجلوسه في مكانٍ خالٍ إلىٰ جانبي، وعندما أوشكت علىٰ إتمام الصلاة لاحظتُ أن الإمام يتلو دعاءً، فرأيتُ أن الأدب يقتضي أن أصبر إلىٰ أن

---

(١) السيد عماد الدين الطباطبائي.

(٢) آية الله السيد عز الدين الزنجاني، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني، ج ٥.

ينهي الدعاء ثم أسلم عليه لكنه لم يمهلني لذلك، لأنه بادر ـ وبمجرد إكمالي التسليم في الصلاة ـ إلى الإلتفات إليّ والسلام عليّ بحرارة شعرت معها بالخجل[1]!

يسلمُ عليَّ وأنا طالب حوزوي

كنتُ أسيرُ يوماً في الزقاق الواقع بين مسجد المرحوم الشيخ الأنصاري ومنزل الإمام وأنا مطرقٌ برأسي إلىٰ الأرض، فشعرتُ وكأن أحداً يسلم عليّ فلما رفعتُ رأسي وقعت عيني علىٰ طلعةِ الإمام المباركة، فشعرت فور ذلك بضغطةٍ غريبة في داخلي انحبس معها لساني، فالذي أراه أمامي هو الإمام ومرجعي في التقليد ومقتداي، وها أنا أراه يسلم عليّ وأنا طالب حوزوي مبتدأ لا يتجاوز عمري (١٧) عاماً[2].

سباقاً في السلام علىٰ أفراد عائلته

كان الإمام سباقاً في السلام علىٰ الحاضرين في كل مجلس دخل إليه، حتىٰ أفراد عائلته كانوا قلما يتمكنون من المبادرة للسلام قبله[3]!

علامته تواضعه

من الخصوصيات البارزة التي كنتُ ألاحظها في الإمام في الأيام التي كانت غرفتي إلىٰ جوار غرفته في مدرسة «دار الشفاء» الدينية، تواضعه الخاص والمشهود إذ كان يسبق الآخرين في السلام دائماً[4].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الموحدي الكرماني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٥.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران)، العدد: ٩٣.

(٤) آية الله السيد حسين بدلا.

يعامل الطلبة كأحدهم

كان الإمام يتعامل مع طلبة الحوزة وكأنه واحد منهم، لم يحدث أبداً أن أسبقه في السلام عندما ألتقي به، فمثلاً كنت أتوقع أن لا يسمع صوتي إذا سلمت عليه عندما تكون الفاصلة بيننا (١٠ ـ ١٥) متراً، ولذلك كنت أستعد للسلام عليه عندما أقترب منه لكنه كان يسبقني في السلام قبل أن أهمَّ به[١]!

إنه السيد روح الله الخميني

روىٰ نجل رابع شهداء المحراب، آية الله الشيخ الشهيد الأشرفي الأصفهاني الحادثة التالية، قال: ذهبت يوماً للاستحمام في إحدىٰ الحمامات العامة في قم وكان عمري يومها (١٥) عاماً، وبعيد دخولي الحمام لاحظت أحد السادة قد غطت رغوة الصابون رأسه ووجهه وهو يتلمس أطرافه بيده بحثاً عن وعاء الماء لأن عينيه كانتا مغلقتين، فبادرتُ إلىٰ ملأ الوعاء الذي كان بالقرب مني من الحوض وصببته علىٰ رأسه ثم كررت هذا العمل مرةً أخرىٰ؛ فلما فتح هذا السيد النوراني عينيه نظر إليّ نظرة شكر وقال: «هل غسلت رأسك؟»، قلت: لقد دخلت الحمام للتو.

ثم ذهبت إلىٰ زاوية في الحمام وغسلت وجهي ورأسي بالصابون ولكن قبل أن أصب الماء لإزالةِ رغوة الصابون عنهما، شعرت بالماء يُصب عليّ مرتين! ولما فتحتُ عيني رأيت ذلك السيد الجليل وقد تفضل عليّ بذلك شكراً علىٰ ما أسديت له!

ثم أخبرت والدي بما جرىٰ لكنني لم أستطع أن أخبره باسم هذا السيد لأنني لم أكن أعرفه، وبعد مدة رافقت والدي في زيارة بيوت

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مرتضىٰ الصادقي الطهراني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٥.

العلماء بمناسبة أحد الأعياد الدينية فرأيت فجأة ذاك السيد، فأشرت إليه وأخبرت والدي فقال: عجيبٌ، إنه سماحة السيد روح الله الخميني[١]!

احتدم النقاش فقبل يدَّ السيد!

لم يحضر الإمام مجلس درس أي من العلماء بعد وفاة آية الله الحائري، واشتغل بالتدريس، وكان يشترك في جلسات بحث مشتركة مع كبار فضلاء الحوزة الهدف منه استكمال مراتب علوم الفقه والأصول، فكان يحضر عدة سنين جلسات البحث المشترك التي كان يعقدها المرحوم آية الله الصدر وآية الله السيد الزنجاني، وقد نقل منهما الحادثة التالية، قال: «احتدمَ النقاش العلمي يوماً بيني وبين المرحوم آية الله الزنجاني فنشبت بيننا حالة من الحدة، فأخذتُ يدَهُ وقبلتها لكبر سنه وعظمته»[٢].

أنا مدين لأبناء الشعب

قضىٰ الإمام ليلةً إضافية في بغداد عندما عزم علىٰ مغادرة العراق، وذلك بسبب رفض الكويت لدخوله أراضيها. وكان من المقرر أن يتوجه إلىٰ باريس في الساعة التاسعة صباح اليوم التالي وكان يوم جمعة، وكنا جالسين عنده في ذلك اليوم أي يوم الخميس وقد سيطر الأذىٰ والقلق من المستقبل وتطورت الأوضاع علينا جميعا، أما الإمام فقد كانت تتجلىٰ عليه حالة عميقة من السكينة ورسوخ العزم وكأنه لم يحدث شيءٌ أصلاً، بل كان يخفف عنا أيضاً! في حين كانت أخبار طهران تتحدث عن أن حالة من الأذىٰ الشديد تسيطر علىٰ الأهالي، وأن المظاهرات والمسيرات قد ازدادت وأن القلق يسيطر علىٰ الجميع.

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (حضور)، العدد الأول.

(٢) آية الله جعفر السبحاني، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

ولم أنسَّ تلك الكلمة للإمام في ظل تلك الأوضاع الصعبة التي سيطرت فيها الحيرة علينا جميعاً لعدم وجود مؤشرات علىٰ مستقبل الحوادث، لقد قال يومها: «إنني أشعر بالخجل تجاه أبناء الشعب، أنا مدينٌ لهم، إنني أشعر بالحقارة تجاههم، إنهم يتحملون المشاق من أجلنا ونحن جالسون هنا في راحة كاملة»!

وكم هو عجيب حقاً أن تسمع مثل هذه الكلمات من شخصٍ مشرد منفي عن وطنه، لا يمكن معرفة مصيره، فهو يُنفىٰ من هنا وهناك، يتنقل من الحدود إلىٰ المطار، من البصرة إلىٰ بغداد، ومن بغداد إلىٰ مكان مجهول، ولا أحد يعرف ماذا سينزل به، ورغم كل ذلك يتصور نفسه أنه في «راحة كاملة»! ويؤذيه تصور أن الناس يتعرضون للمشاق من أجله[١]!

اعتذر من جيرانه النصارىٰ

عشية اليوم الذي تقرر فيه عودة الإمام إلىٰ إيران، وقد تأخر الموعد إلىٰ اليوم التالي؛ جاء لزيارته أهالي ضاحية «نوفل لوشاتو» وهم يحملون الكثير من باقات الزهور وكانت بينهم نساء مسيحيات قد غطّينَ رؤوسهنَّ بربطاتٍ رغم أنهن لا يعتقدن بوجوب الحجاب! في تلك الليلة سيطرت علىٰ هؤلاء النصارىٰ حالة عجيبة وهم يلتقون الإمام، كانوا جميعاً يبكون!

ألقىٰ قائد الثورة الإسلامية الأكبر كلمة قصيرة في هذا اللقاء! اعتذر فيها من جيرانه هؤلاء وقال: «إعذروني لقد سببت لكم المتاعب خلال مدة إقامتي هنا»! وقد أجهش أهالي نوفل لوشاتو بالبكاء فور ترجمة هذه العبارة من كلام الإمام[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا الناصري، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٥٨.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين هادي الغفاري، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ١٨٣.

صرتُ سبباً لإتعابِ الآخرين

ذهبَ الإمام ـ في الليلة التي كان من المقرر أن ينتقل إلىٰ مدرسة «رفاه» للإقامة فيها ـ إلىٰ منزل أحد أرحامه بسبب شدة ازدحام الأهالي حول المدرسة، وبقي في هذا المنزل إلىٰ حدود الساعة العاشرة مساءً، ثم دخل المدرسة فجأة من الباب الجنوبي، فسيطرت حالة من الذهول علىٰ الإخوة في المدرسة وهم يرون الإمام بينهم فجأةً! وقد تحدث معهم قليلاً ثم دخل الغرفة التي خصصت له.

ومُنذ ذلك اليوم كنت في خدمته، وكان يحالفني بين الحين والآخر توفيق الحراسة قرب غرفته، فكانت تلك الأسحار التي كنت أرىٰ فيها الإمام يقوم فيها للوضوء والاستعداد لصلاة الفجر من أفضل ساعات حياتي؛ إنني أنتمي إلىٰ عائلة علمائية وقد تربيتُ في بيت علماء لكنني لم أرَ أبداً عالماً يتحلىٰ بحالة النظم الدقيق مثل الإمام، فقد كان يقوم في السحر، فيضع العمامة علىٰ رأسه ويمشط كريمته ثم يشمر عن ساعديه ثم يخرج للوضوء.

انتابتني حالة خاصة عندما رأيته يخرج من غرفته، سلمت عليه، فرد السلام ودعا لي وقال: «لقد صرت سبباً لإتعاب الآخرين»، فقلت: بل أنتم رحمة لستة وثلاثين مليون إنسان! فدعا بدعاء لا زالت فقراتُهُ ترنُّ في أذني(١).

أشعر بالصغرِ مقابل هؤلاء الشباب

كنتُ يوماً عند الإمام فقال: لا أدري كيف يمكن أن نعرف ونبين قدر هذا

---

(١) السيد أحمد ناطق النوري، صحيفة كيهان، العدد: ١١٧٩٦، وقول الإمام «لقد صرت سبباً لإتعاب الآخرين» يشير إلىٰ اعتذاره لتحملهم مشقة حراسته. وعدد الستة والثلاثين مليوناً هو عدد نفوس إيران إبان انتصار ثورتها الإسلامية. [المترجم].

الشعب؟! إنني عندما أرىٰ هؤلاء الشباب أشعرُ بالصغر في مقابلهم»[1].

نحن ضيوف عندكم

غسل الأهالي شارع جمران وزينوه بالورود عند قدوم الإمام إليها للمرة الأولىٰ، كما نحروا عدة ذبائح قرابين شكراً لله علىٰ ذلك، ثم علت أصوات الأهالي مرحبة بالإمام عندما وصل إلىٰ شارع الشهيد «حسني كيا»، واستمرت هتافات الترحيب، ووصلت السيارة التي تقل الإمام إلىٰ حسينية جمران، فنزل من السيارة ووقف وقال لمن حوله: «اجمعوا الأهالي في الحسينية»، ولن أنسىٰ أبداً تلك الحالة الخاصة من الصلابة والوقار والسكينة التي تجلت فيه يومها، لم يكن مصوروا مؤسسة الإذاعة والتلفزيون متواجدون في المنطقة يومذاك لتصوير هذاا لمشهد التأريخي. لقد ألقىٰ السيد كلمة يومها في أهالي جمران قال في جانب منها: «نحن هنا ضيوف عندكم لمدة»[2].

تواضعه لتلاميذه

كان الإمام متواضعاً حتىٰ في تعامله مع تلاميذه ومع الذين هم في مراتب دانية للغاية علمياً واجتماعياً؛ فمثلاً استدعاني يوماً لأمر مهم يرتبط بمحافظة آذربيجان التي قضيتُ فيها فصل الصيف قبل حدود ثمان سنين، وقبل أن يدخل في صلب الموضوع خاطبني بالقول: «أعتذر منكم بسبب تحميلي لكم مشقة الحضور إلىٰ هنا»! وقد أثرت هذه الكلمات فيّ إلىٰ درجة أجهشتُ معها بالبكاء[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني، صحيفة كيهان (١/٩/١٣٦٦ هـ.ش)، ويقصد الإمام بهؤلاء الشباب المتطوعين للجهاد في جبهات القتال إبان الحرب المفروضة. [المترجم].

(٢) السيد التيموري (من حرس بيت الإمام)، كتاب (في رثاء النور)، ص ٦٣.

(٣) آية الله بني فضل، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٩.

نحن جميعاً بحاجة للنصيحة

بعث تلاميذٌ في الصف الخامس الإبتدائي في قرية «معدن فيروزه» في منطقة نيشابور، برسالةٍ إلىٰ الإمام قالوا فيها: «لقد أردنا أن نكتب لكم رسالة ننصحكم فيها مثلما كتب الإمام محمد تقي عليه السلام رسالةً إلىٰ والي سيستان نصحه فيها كما قرأنا ذلك في كتاب «التعاليم الدينية والأخلاقية» للصف الخامس. لكننا انتبهنا إلىٰ أن عملنا هذا خطأٌ كبيرٌ ومعصية، لأنك شخصٌ عظيم ذو تقوىٰ وورع وقد تحديتَ بصمود قوىٰ الشرق والغرب وأنت تجاهد الآن القوىٰ الشيطانية، أما نحن فأطفال قد لا نميز بين أيدينا اليمنىٰ عن اليسرىٰ! فكيف نقنع أنفسنا بأن ننصحكم؟!...».

وقد كتب الإمام في جواب هذه الرسالة رسالة قال فيها: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، أبنائي الأعزاء والطيبين، ما أجمل أن تكونوا قد كتبتم لي النصيحة التي كنتم تريدون كتابتها لي! نحن جميعاً بحاجةٍ للنصحية، ونصيحتكم - أيها الأعزاء - نقيّة من الأغراض صادرة عن صفاء قلب...»[1].

لم يقل إنني مرتبطٌ بالله

كتبت فتاةٌ رسالة للإمام قالت فيها: «يا إمامنا، نحن نحبك لأنك تحب الله، ونحن نرتبط بك لأنك مرتبط بالله»، فكان الإمام يقرأ هذه الكلمات وهو يبكي ويقول: «يا ليتني كنت مرتبطاً بالله لكي تكون هذه الكلمات مطابقة للواقع»! ولم يقل: أجل، إنني مرتبطٌ بالله حقاً[2]!!

(١) موسوعة (صحيفة نور)، ج ١٦، ص ٥٥.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الرسول المحلاتي، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بالذكرىٰ السنوية الرابعة لوفاة الإمام.

أنا طالب حوزوي عادي

في اليوم الأول لإقامة الإمام في مدينة كرج زاره حجة الإسلام والمسلمين سماحة الشيخ حسين اللنكراني، وقال له في بداية اللقاء: إنني لست جديراً بأن أقبل يدكم فاسمحوا لي أن أقبل قدمكم، ثم قال معاتباً: لقد جئتم دون إعلان مسبق وبالتالي دون استقبال وهذا ما لا نرضىٰ به! فكان جواب الإمام هو: «إنني لست سوىٰ طالباً حوزوياً عادياً لا أستحق ما تقولونه»[1]!!

يقف في صف الأهالي لشراء الخبز

اشترىٰ الإمام منزلاً في محلة «يخجال قاضي» في قم تبلغ مساحته حدود (٣٠٠) متراً مربعاً ويشتمل علىٰ عدة غرف، وكان ثمنه (١٣) ألف تومان حصل عليها من بيع منزله أو قطعة أرض كانت له في مدينة خمين، وكان الإمام يعيش في هذا البيت في أيام مجيء السيد البروجردي إلىٰ قم في سنة ١٣٢٤ أو ١٣٢٥ هـ.ش، [٥ ـ ١٩٤٦م] وكنت أراه يقف في صف الأهالي لشراء الخبز بنفسه من الخباز كما كان يقوم بأعمال المنزل بنفسه رغم ما كان يحظىٰ به من مقامات ومكانة اجتماعية وعلمية بارزة[2].

التواضع مبدأٌ ثابتٌ في حياتِهِ

لم تختلف حالة التواضع التي كانت تميز الإمام في تعامله مع الآخرين والتحدث معهم والإصغاء لأقوالهم بعد انتصار الثورة عما كان عليه حاله قبل انتصارها بل وعما كان يتميز به قبل تسنمه مقام المرجعية الدينية[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد الفاضلي الإشتهاردي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٧٩.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين محمد علي الفيض، المصدر السابق، ص ٨٣.

(٣) آية الله حسين المظاهري، المصدر السابق، ص ١٦١.

يغسل بنفسه بيت الخلاء

رویٰ لي الشيخ القرائتي يوماً الحادثة التالية، قال: كنا في خدمة الإمام أيام إقامته في ضاحية نوفل لوشاتو، وذات صباح قمتُ للوضوء، وكانت توجد هناك اثنان أو ثلاثة من بيوت قضاء الحاجة، هممت بدخول أحداها فوجدته قذرٌ جداً فخرجت ورجحت أن أصبر حتىٰ يفرغ الثاني، وأثناء الانتظار لاحظت سيداً يضع علىٰ رأسه الكلاة قد مرَّ من جانبي ودخل البيت الأول لقضاء الحاجة الذي لم أطق أن أدخله! ثم عرفت أنه الإمام وقد فتح باب هذا البيت وشمر عن ساعده ورفع ثوبه، وأخذ بغسل وتنظيف هذا المكان(١)!!

ما الذي يشكله وجودي؟!

كان الأعداء في الداخل والخارج يبثون بين مدةٍ وأخرىٰ دعابات وإشاعات علىٰ نطاق واسع تقول: إن الإمام مريض، ولذلك كان بعض الإخوة يطلبون من الإمام أن يكون له لقاء عام أو يصدر بياناً في مثل هذه الحالات لكي لا تضعف معنويات أبناء الشعب أو المجاهدون، ولكن الإمام كان يقول في رده علىٰ هذه الطلبات: «وهل أن الشعب يُقاتل من أجلي لكي تضعف معنوياته بسبب ذلك؟! إنهم يجاهدون في سبيل الله والإسلام ولن يهنوا أبداً، ما الذي يشكله وجودي لكي يُقال إن الإسلام والثورة يزولان برحيلي؟»(٢).

عبدٌ من عباد الله

اختلىٰ الإمام بنفسه في إحدىٰ غرف مدرسة رفاه، ولم أكن أعرف

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين البرهاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، مجلة (جهاد روستا)، العدد: ٢٣٠، السنة الثامنة.

في أي غرفة هو، طرقت باب إحدىٰ الغرف وقلت: مَن في هذه الغرفة؟ فسمعت صوتاً من داخلها يقول: «عبدٌ من عباد الله»! أدركت أنه الإمام العزيز لكن هيبته منعتني من الدخول والسلام عليه[١].

أسقط جميع هذه الأعراف

كان علىٰ الأفراد في مختلف المستويات العلمية في النجف الأشرف أن يحفظوا حدودهم وثغورهم! فمثلاً لا يمكن للطالب العادي أن يتعامل كأحد فضلاء الحوزة، ولا الفاضل أن يتعامل كمجتهد، ولا للمجتهد أن يتعامل كأحد مراجع التقليد، فكان يجب علىٰ كل منهم أن يراعي حدوده وشأنه! فلم تكن تلك الأعراف السائدة تستسيغ أن يزور أحد المراجع بيت طالب حوزوي فقير، وكانت هذه الأعراف توجب أن يبدي الجميع مظاهر التعظيم والإجلال للمراجع والمجتهدين، وأن يزورهم، ولكن عندما ذهب الإمام للنجف كان يزور المدارس الحوزوية في النجف ويتفقد طلبتها وهذا ما لم يفعله ـ ويمكن القولُ بذلك بكل جرأة ـ أي مرجع للتقليد طوال التأريخ الشيعي، ولكن الإمام أسقط جميع هذه الاعتبارات ووضع أسس سنة إسلامية فاضلة في النجف الأشرف[٢].

تواضعه يكسب الآخرين حالة معنوية

زار المرحوم آية الله الجابلقي ـ وهو من تلامذة المرحوم آية الله الحائري اليزدي ومن علماء طهران ـ النجف الأشرف في سنة ١٣٤٨ هـ.ش، [١٩٦٩م]، وحلَّ ضيفاً عليّ في منزلي، وقد أخبرت المرحوم السيد مصطفىٰ الخميني بذلك، فأخبرني في الليلة التالية أن الإمام يرغب في المجيء إلىٰ منزلنا لزيارة السيد الجابلقي بعد صلاتي المغرب والعشاء اللتين

(١) السيد جواد صفويان، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٢، ص ٦٠.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي.

كان يقيمهما في مدرسة آية الله البروجردي، تعجبت كثيراً من ذلك، وأخبرت السيد الجابلقي بذلك فوراً وكنت قد خصصت له غرفة صغيرة في منزلي أبعادها (٣ × ٤) أمتار، وقد التقى الإمام فيها بالسيد الجابلقي وجلس إلىٰ جانبه وتلطف كثيراً بهذا العالم العارف الذي لاحظت عليه بعد ذهاب الإمام حالة معنوية خاصة وتأثراً شديداً بعظمةِ الإمام وتواضعه[١].

لم تأمروني بالكلام

نقل لي عددٌ من كبار فضلاء الحوزة أن المرحوم السيد البروجردي كان لا يرىٰ جواز البقاء علىٰ تقليد المجتهد الميت وكان يوجب تقليد المجتهد الحي علىٰ الجميع، وقد جلس عنده يوماً اثنان من العلماء لإقناعه بجواز البقاء علىٰ تقليد الميت هما: المرحوم آية الله اليثربي ـ وهو من علماء كاشان ومن تلامذة المرحوم الآقا ضياء الدين العراقي ـ والثاني هو الإمام، وقد تحدث أولاً المرحوم اليثربي ولكن السيد البروجردي لم يقتنع، وكان الإمام جالساً بأدب ولم يتكلم بشيء وكان من سيرته أن لا يجيب إلا بعد أن يُسأل، فالتفت المرحوم البروجردي إليه وقال: لماذا لم تتحدث بشيءٍ أيها السيد؟ فقال الإمام: «أنتم لم تأمروني بالكلام»!

ثم تحدث الإمام بشأن تلك المسألة فاقتنع السيد البروجردي برأيه[٢]!

لا يأنف من قبول الرأي السليم من تلامذته

جاء طبيب لمعالجة أسنان الإمام في منزلِهِ فاعترض المرحوم الشهيد محمد المنتظري علىٰ عدم ذهاب الإمام لعلاج أسنانه في عيادة الطبيب، فاقتنع الإمام بذلك وأخذ يراجع الطبيب في عيادته للعلاج!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين كمال الفقيه الإيماني.

لقد كان الإمام بمثابة الأب للحوزة ولتلامذته ولكنه كان يعاملهم وكأنه صديق من أترابهم، كما لم يكن يأنف أبداً من القبول والأخذ بالرأي السليم من أيٍّ منهم، كان يصغي لجميع الأقوال، فيعمل بالصالح منها ويعرض عن الطالح، لم توقعه مدخراته العلمية في الغرور أبداً، فكان يقول إذا عرض رأياً منها قال: «يُحتمل أن يكون الأمر علىٰ هذا النحو ويحتمل أن يكون علىٰ ذاك النحو»[1].

يكرر الوصية باجتناب الغرور والتكبر

كان التواضع ملكة بارزة في شخصية الإمام الذي بقي إلىٰ آخر عمره المبارك يصف نفسه بأنه أحد طلبة العلم، وقد نقل لنا يوماً قصة أحد الطلبة الذي كان بدأ بدراسة المنطق، فقال لأستاذه في اليوم الثاني لحضور درس المنطق: فما هو قولنا نحن الفلاسفة؟!!

كان الإمام يشدد الوصية دائماً باجتناب الغرور والتكبّر[2].

صدق خالك

أراد أحد الطلبة ـ اسمه الشيخ رضا وهو صهر المرحوم الميرزا محمد تقي الإشراقي وابن أخته أيضاً، وابن أخت الشيخ شهاب الدين الإشراقي صهر الإمام ـ أن يدرس منظومة السبزواري في الفلسفة، وكان لا يستفيد كثيراً من الدروس العامة ويرجح الدروس الخصوصية، فذهب إلىٰ الإمام وطلب منه أن يدرّسه هذه المنظومة فقال الإمام: «لا وقت لدي لهذا الدرس». يقول الشيخ رضا، فذهبت إلىٰ خالي وقلت له: لقد طلبت من السيد روح الله أن يدرسني المنظومة فقال: لا وقت لدي

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين محمد رضا السجادي الأصفهاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد المزدوج: ٥ ـ ٦.

لذلك». فقال خالي الشيخ محمد تقي الإشراقي: إن لدىٰ السيد روح الله الوقت الكافي لهذا الدرس، لكنه لا يقدر علىٰ ذلك! ثم نقلت للسيد روح الله في اجتماع لاحق ما قاله خالي، فأجابني: «صدق خالك»(١).

لا يتقدم أخاه

لم يمش الإمام طوال عمره أمامي سوىٰ مرتين فقط وكانت توجد علة مسوغة لتقدمه عليَّ في المشي فيهما(٢).

لن أتقدمكم في المشي في أي حال

عندما هبطت الطائرة التي تقل الإمام في مطار طهران في ١٢/١١/١٣٥٧ [هـ.ش، ١/٢/١٩٧٩م]، صعد أخوه آية الله السيد بسنديده إلىٰ الطائرة لاستقباله، فطلب الإمام أن يتقدمه أخوه في الخروج من الطائرة وكان ملتزماً بتقديمه احتراماً فلم يكن يتقدم عليه في المشي أبداً؛ ولكن السيد بسنديده لم يكن يتمكن أن يمشي أمام الإمام بسبب الحساسية السياسية لذلك، في حين أن الإمام كان يرفض أن يمشي أخوه الأكبر خلفه، ولحل المشكلة قال الإمام لأخيه: «إذن انزلوا أنتم من الطائرة أولاً ثم أنزل أنا بعدكم، فإنني لن أمشي أمامكم في أي حال من الأحوال»(٣)!

يتحلىٰ بعظمةٍ روحية

في اللقاءات التي كانت للإمام مع أصدقائِهِ، كان يحرص دائماً علىٰ تقديمهم أمامه والمشي خلفهم احتراماً لهم، ولم يحدث ذلك مرةً أو

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الصادقي الطهراني، مجلة (نور علم)، الدورة: ٣، العدد: ٧.
(٢) آية الله السيد بسنديدة (شقيق الإمام الأكبر)، المصدر السابق.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد مهدي إمام الجمراني، مجلة (حضور)، العدد: ٣.

مرتين. بل شاهدت بنفسي التزامه به على مدىٰ عشرين عاماً، كان الإمام يتحلىٰ بعظمة روحية ومعنوية تثير الأعجاب حقاً[1].

وأخلاق فريدة

كان الإمام يتحلىٰ بأخلاق فريدة، فمثلاً كان يرافق المرحوم الزنجاني في جلسات الدرس علىٰ مدىٰ (٢٥ ـ ٣٠) سنة، ولكنه كان طوال هذه المدة ملتزماً بالمشي خلف المرحوم الزنجاني ولم يُشاهد ولا لمرة واحدة وهو يتقدمه في المَشي[2]!

(١) آية الله السيد رضا بهاء الديني، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين مجلة (شاهد بانوان)، العدد: ١٦٧.

الفصل العاشر:

صدقه الشمولي ومطابقة أقواله لأفعاله

أعماله تصدق أقواله

أُشْهِدُ الله بأنني لم أرَّ الإمام يلجأُ ولا لمرة واحدة حتى للحيلة الشرعية في أعماله المدة التي حالفني توفيق خدمته، كانت أعماله تطابق أقواله دوماً، والله يعلم أنه كان صادقاً في كل ما يقول، ولم يكن يستخدم ولا كلمة واحدة حتى مما يشبه الكذب من أجل استقطاب أحدٍ إليه[1].

غايةٌ في تحري الصدق

كان الإمام أولُ مَن أفتى لصالح دعم الحركة الفلسطينية، وعلى أساسها أجاز لمقلديه دفع الحقوق الشرعية من الزكاة والصدقات لدعم نشاطات الفلسطينيين النضالية، وعندما عِلمَ الفلسطينيون بأصدار هذه الفتوى زاره وفدٌ من حركة «فتح» لاستلام هذه الفتوى وإجراء مقابلة مع الإمام. وقد قال الإمام: «يكفي أن يأخذوا هذه الفتوى»، فاستأذنه سماحة الشيخ محمد صادق الطهراني الذي كان رابط هؤلاء السادة أن يترجم لهم الفتوى إلى اللغة العربية، وقد ترجمها ـ بحسن نية وبدافع

(١) حجة الإسلام والمسلمين القرهي.

تفاعله مع القضية الفلسطينية ـ بتصرفٍ كثير وأعطاها صبغة البيان الحماسي الثوري وسلمها للوفد الفلسطيني.

ومن الأعمال الجيدة التي قام بها الفلسطينيون في ذلك العام، هو أنهم طبعوا جميع فتاوى التأييد للحركة الفلسطينية التي أصدرها العلماء البارزون في العالم الإسلامي، في كراس وزعوه على نطاقٍ واسع في موسم الحج لذلك العام باللغات المهمة في العالم: العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية. وكانت فتوى الإمام ـ خاصة بالصبغة المترجمة التي ترجمها سماحة الشيخ الطهراني ـ الأقوى والأكثر جذباً من بين الفتاوى التي ضمها هذا الكراس والتي تشمل فتاوى السيد الحكيم من مراجع الشيعة، وعلماء الأزهر والسعودية وسوريا من علماء أهل السنة، ولذلك فقد ذكروا الإمام في هذا الكراس بلقب «الإمام الأكبر» في حين ذكروا السيد الحكيم بلقب «المرجع الديني»!

وقد أُصيب الإمام باذىء شديد عندما اطلع على هذا الكراس، لسببين، وضحهما بقوله: «إن في استخدام هذا التعبير إهانةً للسيد الحكيم وهذا ما لا أرضاه أبداً، هذا أولاً وثانياً فما نسب إلي في هذا الكراس لم أقله، ولذلك فإنني أنفي صحته»!!

قلنا له: إن هذا النفي ليس صحيحاً لأن فيه ضربةً لاعتبار وشخصية الشيخ الصادقي، هذا أولاً، وثانياً فإن العبارات التي وردت في الترجمة وإن لم ترد في نص فتواكم لكنكم تؤيدون مضمونها، أي أن العبارات التي أوردها الشيخ الصادقي تبين في الواقع جوهر فتوى سماحتكم. فقال: «إنني أنفي صحة أي قول ينسبه إليّ أحدٌ إذا لم أكن قلته.. ولو أن السيد أحمد الخوانساري الذي لا شك في تقواه وصدقه قد قال: إن السيد روح الله قد قال في المجلس الفلاني إن الله تعالى واحد، في حين لم أكن أنا قد قلتُ هذا القول ـ الذي نؤمن به جميعاً ولا ريب ـ في

المجلس المذكور، فإنني سأنفي صحة نسبة هذا القول لي ولا أسمح لأحد بأن ينسب إليّ ما لم أقله»!

وعلى أي حال فقد اضطر الشيخ الصادقي إلى أن يبين للفلسطينيين عبارات نص فتوى الإمام ويخبرهم بأن العبارات الأخرى الواردة في الترجمة هي من كلامه التوضيحي[1].

مائدة طعامكم كاذبة!!

أصرَّ بعض الأشخاص في باريس أن يعدوا فلماً مصوراً عن حياة الإمام على مدى (٢٤) ساعة، وبضمنها مائدة طعامِهِ، فقال الإمام: «طريقة إعدادكم لمائدة الطعام تشتمل على كذب! فأحياناً يوضع على مائدةِ طعامنا الرز واللحم والمرق، وأنتم تريدون تجاهل ذلك وإعداد مائدة ذات طعام بسيط. وهذا كذبٌ»[2]!!

يعملُ بما يدعو الناس له

كان الإمام ملتزماً مُنذ البداية بالعمل بما يأمرُ الآخرين بالعمل به، وهي نفسها الوصايا التي أوردها في كتابه «الأربعون حديثاً» الذي كتبه في شبابه أو في كتبه الأخرى، فهو ـ مثلاً ـ إذا كان قد تحدث عن الرياء وذمه فقد التزم من قبل بالتورع عنه.

وأتذكر أن ابني حسن دخل المنزل يوماً وعلى سرواله رقعة قد خطتها عليه إثر تمزقه من جهة الركبة، فسألني الإمام: «لماذا وضع حسن غير مرتب؟!». أجبت ممازحة: ما الحيلة يا سيدي هذه حال معيشة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين محمد الموسوي خوئينها، مجلة (حوزه)، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

المستضعفين! فأقطب حاجبيه وقال مرتين: «لا تريدين أن ترائي ـ إن شاء الله»! قلت: كلا، ولماذا أرائي؟ قال: «إحذري! إن عدم التوجه للمظاهر أمرٌ حسن، ولكن إن أردت أن تقولي ـ بصورة غير مباشرة ـ أنني هكذا [لا أتوجه للمظاهر] فهذا رياء»!

وقد كتب نظير هذه الكلمات في صراحتها في كتابِ الذي ألفه وهو ابن الثلاثين عاماً(١).

لديّ حق الإدلاء بصوتٍ واحدٍ لا أكثر

كنت عضواً في لجنة جمع الأصوات في انتخابات يوم الثاني عشر من فروردين سنة ١٣٥٠٧ هـ.ش. [١/ ٤/ ١٩٧٩]، أي يوم الاستفتاء العام على انتخاب نظام «الجمهورية الإسلامية»، ولم يكن أحدٌ يعرف يومها في أي صندوق من صناديق الإقتراع سيلقي الإمام بورقة رأيه الانتخابي، وقد تقرر أن يوضع صندوق لجمع الأصوات في مبنى مديرية التربية والتعليم في قم لكونه مكاناً مناسباً لإجراءات المراقبة الأمنية، وقد وضع هذا الصندوق هناك بالفعل، كما خصص مكانٌ لمراسلي وسائل الإعلام والمصورين، ومع بدء زمان الاقتراع طلبوا من الإمام أن يدلي بصوته في ذلك المكان لكنه قال: «سأدلي بصوتي في أحد الصناديق التي يدلي فيها عامة أبناء الشعب بأصواتهم». واختار صندوقاً وضع في إحدى المحلات المزدحمة تسمى محلة «جهار سوق»، وعندما وصل إليها احتشد الأهالي حولَهُ بكثافةٍ شديدة أفقدت مسؤولي حفظ النظام القدرة على السيطرة على الوضع، وعلى أي حال فقد أدلى الإمام بصوته في الصندوق المذكور ثم عاد دون أن يتمكن مراسلو الوكالات الأجنبية الذين جاؤوا لإعداد تقارير مصورة عن هذه الحادثة، من إنجاز مهمتهم، ولذلك طلبوا بالإلحاح من أعضاء اللجنة

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة السيد أحمد).

المشرفة عن جمع الأصوات أن يطلبوا من الإمام الإدلاء بصوته مرةً ثانية لكي يصوروا المشهد، وبعد فترة من المشاورات دخل أحد السادة العلماء على الإمام وعرض عليه هذا الطلب فكان جوابه هو: «إن لي حقَ الإدلاء بصوتٍ واحد لا أكثر، وقد أدليت به في صندوق الإقتراع»[١].

كان ملتزماً بالصدق بقوة

أشهدُ الله أن حالَ الإمام كان واحداً، بمعنى أنه لو كان ينبغي له أن يجلس على الأرض، فقد كان يجلس على الأرض في منزلِهِ أو في غرفةِ عمله، أو إذا كان ينبغي له أن يرتدي ملابسَ خاصة في أوقاتٍ معينة، فهو يرتديها لا فرق في ذلك إن كان أمام عدسات التلفزيون أو لو لم يكن، كان ملتزماً بالصدقِ بقوةٍ[٢].

شمولية صدقه

أهم خصال الإمام الصدق بالمعنى الشمولي، فلم يكن أبداً يقول شيئاً خارج المنزل ثم يضطر إلى قول شيءٍ آخر داخل بيته[٣].

لا تمايز بين أحاديثه العامة والخاصة

من مميزات الإمام التي شهد بها الكثيرون، أن أحاديثه الخاصة لم تكن تتمايز بشيء يُذكر عن أحاديثه العامة، إلاّ أن يكون الأمرُ مرتبطاً بقضية سياسية خاصة، أما فيما يرتبط بالسياسات والقضايا الكلية وتوجيهاته للحكومة؛ فإن ما يقوله في أحاديثه العامة لا يختلف عما يقوله للمسؤولين في اللقاءات الخاصة[٤].

---

(١) السيد حسين شهرزاد، مجلة (شاهد)، العدد: ١٨٦.
(٢) السيدة زهراء المصطفوي.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٨٦.
(٤) المهندس مير حسين الموسوي، مجلة (حضور)، العدد: ٢.

عدم التمايز بين ظاهره وباطنه

والأهم من كل ذلك صفاء الإمام وعدم التمايز بين ظاهره وباطنه، فلا يختلف حاله داخل المنزل عن حاله في لقاءاتِهِ العامة أو الخاصة، فالذي يتحدث به للناس يتحدث به لأهل بيته، لا يوجد أدنى فرق عنده بين الخلوة وغيرها: أجل هو يمازح الأطفال في المنزل ويلاعبهم[1]!!

انتبهتُ إلى أن هذا القول ليس صحيحاً

قال أخي سماحة الشيخ رضا الثقفي: سلمني الإمام يوماً رسالة من أجل نقلها إلى مسؤول الأخبار في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، فسلمتها للمسؤول عن إيصالها، وبعد دقائق استدعاني الإمام وطلب استرجاع الرسالة فوراً، فأرجعتها له، فغيّر كلمة فيها ثم سلمها لي وقال: «الآن سلموها لقسم الأخبار».

نفذت أمره ثم دخلت عليه وسألته: ما هي المشكلة التي استدعت استرجاع الرسالة؟ أجاب قائلاً: «كنت قد كتبتُ في هذه الرسالة: إنني أدعو الله لإفراد قوات التعبئة بكل جهدي، ثم انتبهت إلى أن هذا القول ليس صحيحاً فبدلت العبارة وصارت على هذا النحو: إنني أدعو الله لإفراد قوات التعبئة بمعظم جهدي»[2]!

أعترفُ كما اعترفتُ في السابق

قال الإمام في أحد بياناته وبكل صراحة: «إنني اليوم ـ وبعد عشر سنين من انتصار الثورة الإسلامية، أعترفُ ـ كما اعترفتُ في السابق ـ أن بعض القرارات التي اتخذت في بداية الثورة بشأن تسليم المناصب

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٦٠.
(٢) السيد علي الثقفي.

والمسؤوليات المهمة للدولة بأيدي جماعة يفتقدون الإيمان الخالص والحقيقي بالإسلام المحمدي النقي، كانت قرارات خاطئة لا تزول مرارة عواقبها بسهولة، رغم أنني لم أكن شخصياً يومذاك أيضاً راغباً بتسليم الأمور لهؤلاء، لكنني قبلتُ نزولاً عند تأييد الأصدقاء لذلك واعتقادهم أن المصلحة فيه»!

وكان أصحاب الإمام يرون في تلك الأيام، أنه لا يوجد شخص يتمتع بوجاهة المهندس بازرجان مع ملاحظة الشروط المطلوبة من جميع الجهات[١].

أنا وشريكي تخلفنا

بعد إنتقاله إلى قم، سكن الإمام في إحدى غرف مدرسة «دار الشفاء»، وقد أشار يوماً إلى تلك الأيام ضمن حديث له، فقال: «كان عامة طلبة الحوزة وفضلائِها يومئذٍ جادين للغاية في العمل وأتقياء وملتزمين بالآداب الدينية والنوافل والسنن والمندوبات... في السنين الأولى تلك كان معظم الطلبة يصومون الأيام الثلاثة (١٣، ١٤، ١٥) من شهر رجب للقيام بالعبادة المعروفة بعمل أم داود، لكننا ـ أنا وشريكي في غرفة المدرسة ـ تخلفنا عن ذلك ولم نكن صائمين، وقد جلسنا لتناول الشاي عصراً فأعترضوا علينا»[٢]!

يكره التظاهر ويأنس بمجتنبيه

كان الإمام لا يحب التظاهر أصلاً، في حين كان يأنس بالذين يجتنبون التظاهر، ولذلك كان يحب مثلاً الجنرال «ظهير نجاد» لأنه كان

---

(١) موسوعة (كوثر)، ج ١، ص ٥٤٢.

(٢) آية الله جعفر السبحاني، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

يجتنب التظاهر فقد كان يحلق لحيته كل يوم بالموسى ويدخل على الإمام بهذه الحالة! لقد سعى الكثيرون مراراً لعزلهً عن منصبه، لكن الإمام كان يرفض ذلك. وقد زار الإمام يوماً برفقةِ قادة الجيش وكان بينهم قائد القوة الجوية الذي اتضح فيما بعد أنه عنصرٌ متسلل رغم أنه كان يطيل لحيته! وكان من المقرر أن يقدم قائد القوة الجوية هذا تقريراً للإمام، فبدأ أولاً بتلاوة دعاء الفرج! وعندها نهره السيد ظهير نجاد قائلاً: إن السيد ليس من العوام! قدم تقريرك!!

فارتاح الإمام لهذا القول وضحك[1].

لا تفعلوا ما لا تستطيعون توضيح علله للشعب

جرى البحث يوماً بشأن أن تحرك السياسة الخارجية يحتاج إلى مقدار من النشاطات الديبلوماسية السرية، فاستشرنا الإمام بهذا الخصوص فقال: «لا تفعلوا ما لا تستطيعون توضيح علله للشعب»! وهذه مقولة عظيمة يحتاج إدراك أهميتها وعمقها الدخول في ميادين السياسة العملية.

ولا يوجد أي شكل من أشكال التناقض ـ في الحياة السياسية للإمام ومُنذ بدايتها وإلى نهايتها ـ بين ما قاله في الماضي وما قاله لاحقاً وبين قراراته المعلنة أو السرية[2].

يجب أن يكون ما يُكتب مطابقاً للواقع

قرأ الإمام الجزء الأول من كتاب «نهضة الإمام الخميني» قبل طبعه، وكانت ذاكرته تختزنُ بلا شك الكثير من القضايا المهمة المرتبطة بقسم

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٥.
(٢) المهندس مير حسين الموسوي، مجلة (حضور)، العدد: ٢.

حياته الشخصية من هذا الكتاب لكنه لم يفصح عنها، واكتفى بتصحيح الأخطاء الواضحة فيما كتبه مؤلف الكتاب بشأن حياة الإمام، وحتى في هذا المجال كان التصحيح من باب الإضطرار ولم يكن الإمام راغباً في ذلك أصلاً.

فمثلاً ذكر المؤلف خطأً أن تاريخ بدء الإمام بتدريس الفلسفة هو سنة (١٣٥٠ هـ.ق)، فأصلحه الإمام مضطراً كما هو واضح في نص الملاحظة التي كتبها بذلك الخصوص إذ قال فيها:

(ص٣، سنة ١٣٥٠: رغم أن الأمرَ ليس مهماً، لكنني إصحُحُه لأنه مخالف للواقع: لقد أخذت بتدريس الفلسفة مدة طويلة أيام إقامتي في مدرسة دار الشفاء، وكان تاريخ خروجي من المدرسة بسبب الزواج هو سنة ١٣٤٨».

كان الحديث عن خصوصياته الدينية والعلمية والأخلاقية السامية وتوضيح أبعادها يؤذي الإمام كثيراً، ولذلك كان يسعى لمنع ذلك بحجة أن في مثل هذه الكتابات والأحاديث عني مبالغات، ولذلك فقد جدد التذكير في نهاية الملاحظة المذكورة بهذه الحجة حيث قال: «أجدد التذكير مرة أخرى أن المبالغات من الأعمال غير الصحيحة، يجب أن يكون ما يكتب مطابقاً للواقع».

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ١٤.

الفصل الحادي عشر:

عزته الإيمانية وعلو همته

لا يكلف نفسَهُ منةً لأحدٍ عليه

لم يُلاحظ أبداً أن يطلبُ الإمام شيئاً من أحد أو يكلف نفسه منّةً لأحد عليه، لم أرَهُ أنا ـ طوال مدة معرفتي به ـ يلتمس شيئاً من أحد، فمثلاً لم يكن يطلب من البائع أن يقلل ثمن البضاعة إذا رأى الثمن مرتفعاً، بل كان يعرض عن شرائها[1].

حذارِ من أن تسيئوا إلى كرامة الحوزة

أصاب القلق عدداً من طلبة الحوزة تجاه مستقبلها بعد وفاة آية الله البروجردي، فبعضهم كانوا قلقين تجاه أصل وجود الحوزة وبعضهم الآخر ـ من ذوي الأفق الضيق ـ كانوا قلقين من الأوضاع المادية للحوزة، ومع حلول موسم شهر محرم الذي يسافر طلبة الحوزة إلى أرجاء البلاد للتبليغ، كان بعض السادة يوصونهم بأن يذكروا الناس بحاجة الحوزة للأموال، أما الإمام فقد قال في خطابه لهؤلاء المبلغين: «حذارِ من أن تسيئوا إلى كرامة الحوزة في جولاتكم التبليغية هذه وتمدوا يد الإستجداء للناس للحصول على الأموال

---

(١) آية الله جعفر السبحاني.

لها، إن الله تعالى هو ضامن رزقكم وهو عز وجل يحفظ الحوزة»[١].

ينبغي أن تكون هممكم عالية

أُوقفت الدراسة في الحوزة مدة أربعين يوماً إثر وفاة آيةِ الله البروجردي، . وفي اليوم الأول لاستئناف السادة لدروسهم وجد الإمام نصيحة لطلبة الحوزة في درسه في المسجد الأعظم في وقت كانوا يتسائلون: ماذا سينزل بطلبةِ الحوزة بعد وفاة السيد البروجردي، في ظل تلك الحالة خاطبهم الإمامُ بالقول: «لا ينبغي أن يصيبكم الهم تجاه رزقكم في أي وقت.. ينبغي أن تكون هممكم عالية إلى درجة لا يكون للدنيا قيمة في نظركم ولا بمقدار قيمة القشة»[٢].

لا أحب أن تضعفوا مكانتكم المحترمة

أتذكرُ أننا رأينا الإمام يوماً ونحن في طريقنا إلى الحرم وكان يسير في الاتجاه نفسه، فسرنا خلفه حبّاً لمرافقته، لكنه عندما شعر بذلك توقف وقال: «هل يُريد السادة شيئاً؟»، قلنا: لا، لقد أحببنا أن نرافقكم لا غير فنحن نأنسُ بذلك. فقال: «شكر الله سعيكم، أشكركم على ذلك، أنتم سادة، أنتم طلبة الحوزة، أنتم لكم مكانة محترمة، وأنا لا أحب أن تضعفوا هذه المكانة بالسير خلفي، تفضلوا بمتابعة طريقكم، لكي أتابع أنا أيضاً طريقي»[٣].

حبّه لأن يتحلى الحوزويون بعزة النفس تجاه مظاهر الدنيا

كان الإمام يحب أن يتحلى طلبةُ الحوزة بعفةِ النفس وعزتها، ولذلك

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين زين العابدين الباكوني، من كلمة له في جبهات القتال سنة ١٩٨٢م.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين العبائي الخراساني، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات).

كان لا يتعامل بارتياح مع بعضهم من الذين يظهرون الفاقة والفقر، ولكن ذلك لا يعني أنه كان يمتنع عن تقديم المساعدات لهم، فقد توسطتُ بنفسي مراراً لديه وكتبت له رسائل بشأن احتياجات عدد من الطلبة فكان يستجيب بكل رحابة صدر ويقدم العون، لكنه كان لا يحب أن يأتي أحدهم بنفسه ويظهر الحاجة، فقد حدث أن بعض الطلبة ممن لا يعرفون أخلاق الإمام كانوا يأتون إليه ويظهرون الحاجة فكان يردهم بطريقةٍ يُفهمهم بها أن عملهم هذا غير صحيح خاصة إن كان بحضور أشخاص آخرين.

كان الإمام يحب أن يتحلى جميع طلبة الحوزة بعزةِ النفس تجاه مظاهر الدنيا وأن يتحلوا بحالةِ التوكل على الله ويحافظوا عليها[١].

سعيه لإبعاد روح التملق والرياء عن طلبةِ الحوزة

كان بعض طلبة الحوزة يجلبون الحقوق الشرعية للإمام، فكان الإمام يتعامل معهم بطريقةٍ مربيةٍ تنفي عن نفوسهم الطمع وتحفظ فيهم حالة عزة النفس فلا يتخضعون لأحدٍ من أجل المال، وقد اقترح عليّ بعض الأخوة أن أطلب من الإمام تقليل تشدده في هذا المجال لكنني رفضتُ لأنني كنت على يقين من أن كل ما يريده الإمام هو إبعاد روح التملق والرياء عن الطلبة وتطهيرهم منها إنْ كان فيهم شيءٌ منها[٢].

نهيه عن التعرض للذلّةِ والمسكنةِ

كان بعض طلبة الحوزة والعلماء الإيرانيين يأتون لزيارة العتبات المقدسة بصورة، غير قانونية عن طريق منطقة آبادان وبدون أخذ تأشيرة دخول من الحكومة العراقية، ولذلك كانت السلطات العراقية تعتقل

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٥.
(٢) آية الله المحمدي الجيلاني.

بعضهم عند الحدود وتلقيهم في السجن وقد تعرضهم للإهانات، ثم يتدخل السادة العلماء لإنقاذهم وتمكينهم من زيارة كربلاء والنجف، وقد كنتُ ذات ليلة عند الإمام في النجف فسمعته يعرب عن قلقه تجاه هذه الظاهرة وقال: «لا ينبغي أبداً أن تقترن زيارة الإمام الحسين عليه السلام بمثل هذه الحالة من التعرض للذلّةِ والمسكنة»[1].

إجتنابه إظهار الأذى

زار المرحوم السيد فضل الله الخوانساري ـ وهو صهر آية الله السيد أحمد الخوانساري ـ الإمام في تركيا لتفقد أحواله وكان ممثلاً لعلماء طهران وآية الله السيد الخوانساري، وخلال هذا اللقاء اقترح على الإمام أن يأتي أحد أرحامه إلى تركيا لكي يدبر أمور معيشته في هذا المنفى فأجاب الإمام: «لا حاجة بي لأحد، إن السيد «علي بي» يقوم باستضافتي بأفضل صورة»!

وكان «علي بي» يشغل منصب رئيس شعبة منظمة الأمن الملكي «السافاك» الإيرانية في مدينة «بورسا» التركية! وكان هدف الإمام من قوله هذا هو جعل المسؤولين الإيرانيين يتصورون بأنه مرتاحٌ في تركيا فيفكرون لذلك بتغيير هذا المنفى! فقد كانت مكالماته تُسجل من قبل عناصر منظمة «السافاك».

وقد قال الشهيد السيد مصطفى الخميني فيما بعد أنه: عندما وصلت إلى تركيا وجدتُ الإمام يعاني حالة شديدة من سوء التغذية ولعله كان سيُصاب بمرضٍ شديد لو كنت قد تأخرتُ في الوصول إليه! كان يتناول شيئاً من أي طعام يقدم له دون أن يظهر أدنى إنزعاج، ولم يطلب منهم ولا مرة واحدة الطعام الذي يحتاجه بدنه[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد المزدوج: ٥ ـ ٦.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج ٢، ص ٥٩.

السجن والنفي لم يؤثرا على معنوياته

كان المرحوم آية الله السيد مصطفى يقول: بعد شهرين من حبس الإمام في منفاه التركي ذهبت إليه، وعندما دخلت غرفته وجدت ستائرها مسدلة لم يحركها طوال هذه المدة! أي أنه بقي في هذه الغرفة شهرين دون أن يلقي نظرة على خارج هذه الغرفة!!

سألته عن سبب عدم إزاحته لهذه الستائر فأجاب: «ولماذا أفعل ذلك؟»!!

لم تكن مثل هذه القضايا مهمة عندَهُ أصلاً، طلبتُ منه أن أزيح الستائر، فأستجاب تلبيةً لرغبتي فرأى بعد شهرين المنظر الخارجي المحيط بغرفته وكان منظراً لحدائق مترامية الأطراف!!

إن هذه الحادثة تكشف عنه أن السجن والنفي لم يكونا ليؤثرا على معنويات الإمام[1].

امتناعه عن أن يطلب شيئاً منهم

كان المرحوم الحاج السيد مصطفى ينقل الحادثة التالية: بعد أن نفوني إلى تركيا والتقيتُ الإمام بعد ثلاثة أو أربعة شهور من الفراق وجدته في غرفة ستائرها مسدلة لم يكشف منها إلا مقدار قليل يدخل منه ضوءٌ قليلٌ إلى الغرفة، فسألت الإمام: لماذا لا يزيحون هذه الستائر؟ ثم أزحتها وسألته: لماذا تجلسون في الظلام؟ أجاب: «لم أرغب في طلب أي شيءٍ منهم حتى بشأن هذه الستائر»[2]!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين شهاب الدين الإشراقي، صحيفة إطلاعات (١/٨/١٣٥٩ هـ.ش).

(٢) آية الله الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٦٢. وقد نُقل عن =

أنا صاحب المنة عليك

جاء أحد الأشخاص للإمام أيام إقامته في النجف وقدم له مبلغاً كبيراً كان بذمته من الحقوق الشرعية، وقد تحدث أثناء ذلك بكلام شعر الإمام منه أنه يَمُنُّ عليه بتقديم هذه الحقوق الشرعية له فواجه ذلك بحدةٍ وقال: «إن لي أنا المنة عليك لأنني رفعت عن عاتقك مسؤولية هذه الأموال الشرعية وجعلتها في ذمتي»[(١)]!

خُذْ المال وإذهب!

جاء أحد التجار الإيرانيين بمبلغٍ ضخم من الحقوق الشرعية وقدمها للإمام في النجف، وتحدث بكلماتٍ يُفهم منها أنه قد قطع طمعه بهذا المبلغ الضخم وقدمه للإمام لذلك فهو يرجو منه أن يخفف عنه شيئاً ويهبه مثلاً الخمس المتعلق بسيارته، وعندها وضع الإمام المبلغ كلَّهُ أمامه وقال: «خذه وإذهب! هل تتوهمون أنكم تتفضلون علينا بتقديم هذه الحقوق لنا، فتمنون علينا بذلك؟! كلا، بل نحن نمُنّ عليكم، لأننا بقبولنا لما تدفعونه من هذه الأموال تبرءُ ذمتكم أنتم، فيما يكون أول بدء مسؤوليتنا وإنشغال ذمتنا بها»[(٢)]!

إجتنابه القيام للذين يقدمون له الحقوق الشرعية

كان بعض التجار البارزين يأتون من إيران إلى النجف ويقدمون

= المرحوم السيد مصطفى الخميني أنه قال: «عندما ذهبت إلى تركيا وجدت الإمام في حالةٍ بدنية صعبة للغاية فقد أصابه هزال شديد جعل من الصعب التعرف عليه للنظرة الأولى، كان من غير الممكن معرفته إلا بعد الإقتراب منه والتحدث إليه، وكان سبب ذلك اجتنابه لبعض الأطعمة التي كانت تقدم له لملاحظات صحية أو شرعية، والأهم من ذلك هو أنه لم يكن يرغب أن يكلف أحداً مشقة إعداد طعام خاص له رغم وجود عدة أشخاص مكلفين بخدمته». (المؤلف).

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

للإمام مبالغ كبيرة من الحقوق الشرعية يأتون بها من إيران، وكانت تبلغ هذه الأموال أحياناً مليون تومان وهو مبلغ كان يُعد كبيراً في تلك الأيام، ورغم ذلك كان الإمام يعاملهم بطريقة عادية للغاية ويكتفي بأن يقول لهم: «أسألُ الله أن يتقبلها منكم»، وكان يجتنب القيام لهم عند دخولهم في حين كان يقوم لأحد الطلبة العاديين في الحوزة في المجلس نفسه!!

كان هذا التعامل يثير تعجب الجميع ولكن الإمام كان يعتقد بأن التاجر إنما يقومُ بواجبه بتقديم هذه الأموال[١].

لا نشعر بالحفاوة الأولى

سمعتُ بنفسي مراراً من الكثير من الأشخاص قبل انتصار الثورة وبعده شكايات مضمونها: لماذا نواجه مثل هذا التعامل في مكتب الإمام أو القسم «البراني» من بيته كلما جئنا لتقديم الحقوق الشرعية لسماحته، في حين أننا نلقى المزيد من الحفاوة في بيتِ أي من السادة مراجع التقليد عندما ندخلها لتقديم الحقوق الشرعية؟! إننا كلما دخلنا بيت الإمام استقبلونا بحفاوةٍ بالغة واحترامٍ مشهود ولكننا نلاحظ بروداً واضحاً في التعامل من قبل الإمام عندما نُقدم لسماحته الحقوق الشرعية فلا نشعر بعد ذلك وعند خروجنا من عنده بالحفاوة التي استقبلنا به في تعاملِهِ الأولي قبل أن تُطرح قضية الحقوق الشرعية[٢]!!

لا منة لكم عليّ

كان بعض السادة يبدون المزيد من التواضع غير المألوف في

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مرتضىٰ الموسوي الأردبيلي الأبركوهي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (خصوصيات في حياة الإمام الخميني)، ص ٨٠.

تعاملهم مع المتملقين والذين يقدمون لهم الحقوق الشرعية، أما الإمام فقد كان يتعامل على العكس من ذلك وبطريقة تبين أن تقديم الحقوق الشرعية لا يشكل ـ بحدِّ ذاته ـ سبباً للمزيد من الإحترام للذي يقدمها، إذْ أن عقيدة الإمام بشأن عمل الذين يقدمون هذه الحقوق هي: «إنكم إنما تقومون بواجبكم بتقديمها، فلا تتوهموا أن لكم منّةً عليّ بتقديمها، إنكم بعملكم هذا تبرأون ذمتكم وترتاحون! في حين أن عملكم هذا يوقعني أنا في مشقةٍ إذْ أنَّ عليّ أن أصرف هذه الأموال في مواردها، أي إنكم بعملكم هذا سببتم لي مشقة فلا منّة لكم عليّ به»[1]!!

لم أسعَ أبداً للحصول على المال

كان يأتي مراراً عددٌ من الأشخاص للإمام ويقولون له: إن الذين يأتون إلى الحج هم من مقلديكم في الأغلب، وهم يحبونكم ويودون إيصال ما بذمتهم من حقوق شرعية إلى سماحتكم، فمن الضروري أن ترسلوا إلى مكة في موسم الحج من كل عام ممثلاً عنكم؛ لكي يقبض هذه الحقوق الشرعية، لكنه لم يكن يستجيب لهذه الطلبات، وقد سعى بعضهم إلى إرسال سماحة السيد مصطفى الخميني إلى الحج من أجل ذلك إلا أن الإمام لم يوافق.

استمر الحال على ما هو عليه، إلى أن اقترح عليّ السيد مصطفى في إحدى السنين أن أسافر إلى الحج واستلم من الناس هذه الحقوق الشرعية كوكيل للإمام، فوافقتُ وعندما دخلتُ على الإمام لتوديعه قال لي كلمة كانت بالنسبة لي موعظة بليغة، لقد قال لي: «إنني لم أسع للحصول على المال أبداً، وطوال حياتي، وأحب أن يكون حالُ أصحابي أيضاً على هذا النحو».

---

(١) آية الله عباس خاتم اليزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٢.

وكان الإمام قد سمع بكيفية تراكض بعض الأشخاص خلف هذا التاجر أو ذاك إذا سمعوا بوجوده وطلبهم للقياه من أجل استلام الحقوق الشرعية منه، ولذلك قال لي بحزم: «لا ألفينك تدخل منازل قوافل الحجيج، لا تذهب إليها حتى بهدفِ زيارةِ أحدٍ، فأنت وكيلٌ لي ومن الممكن أن يتوهم بعضهم أنك قد ذهبتَ لجمعِ الحقوق الشرعية. إذا جاءك شخص وسألك عن مسألة شرعية فأجبه، وإذ قدم لك شيئاً من الحقوق الشرعية فأقبله منه ولا ترده، ولكنني لا أرضى أبداً أن تحرك يداً أو رجلاً من أجل الحصول على الأموال لي، دعْ الناس يعطون ما بذمتهم من الحقوق الشرعية على وفق ما يرغبون فيه من أساليبهم. اجلسوا في منزلكم ومَن شاء أن يسلمكم شيئاً منها فليأتِ هو إليكم»[1].

عدم احتفائِهِ بالأثرياء

قبل سنين من تفجر الثورة، توفي شقيق أحد أثرياء مدينة خمين، وقد أنفق هذا الثري مبالغ كبيرة من أجل دفن أخيه في مكان خاص في حرم السيدة المعصومة [فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام]، ثم طلب مني أن يزور الإمام، فعرضت الأمر على الإمام فوافق على لقائِهِ لكونه من أهل خمين، وقد خطر في ذهني آنذاك أن هذا الرجل يحظى باحترام كبيرٍ من أي من السادة يزوره بحكم أن ضخامة ثروته تُمكّنه من تقديم مساعدات مؤثرة في التمكين من دفع رواتب طلبة الحوزة.

وعندما دخلنا بيت الإمام ثم جاء الإمام، قال هذا الثري أثناء اللقاء مخاطباً الإمام: يبدو أن سماحتكم مصابون بمرضٍ، فأذنوا لي في استدعاء اثنين من الأطباء المتخصصين من الخارج لكي يعالجوكم. فأجاب الإمام: «لا حاجة لذلك، لقد بعث الأميني [رئيس الحكومة

(١) المصدر السابق.

الإيرانية يومذاك] مبعوثاً وعرضَ علي أن يستدعوا طبيباً لعلاجي، فرفضتُ، إنني أعرف طبيباً في طهران يزورنا أحياناً ويعالجنا، وفي ذلك الكفاية».

ألحَّ هذا الرجل الثري في طلبه إلى درجة التوسل والرجاء لكن الإمام بقي مصراً على رفضه وتعامل مع هذا الثري بحالةٍ كاملةٍ من عدم الاهتمام!

هذا الموقف يكشفُ عن نقاء روح الإمام وزهده في الدنيا ومظاهرها، فروحه أسمى بكثير من أن يحتفي برجلٍ غني من أجل أن يتبرع بشيءٍ لرواتب الحوزة وطلبتها(١).

يجتنب التقرب من الأغنياء

كان يوجد بين الحوزويين مَن يعتبر الإرتباط بالعامة من أجل الحصول على المكاسب الدنيوية مظهراً لكماله ونبوغه! أما الإمام فكان يدين هذه السيرة ويدحضها في دروسه عموماً وفي مواعظه في نهاية دروسه، ولم يكن يسعى أبداً للتقرب من الأثرياء وكانزي ذهب الدنيا، ولذلك فقد أتته المرجعية دون أن يدعي الزعامة(٢).

تورعه عن موارد الشبهات

قام أحد أصحاب المصانع الكبرى في طهران ببناءِ مسجد وطلبت من الإمام ـ قبل نفيه عن إيران ـ أن يبعثَ أحد المبلغين لإمامة صلاة الجماعة في المسجد وإرشاد الناس، فوافق الإمام ـ دون رغبة ـ على الاستجابة لهذا الطلب، وبعد اختيار أحد الحوزويين لهذه المهمة قال له

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حيدر علي الجلالي الخميني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.
(٢) آية الله الجوادي الآملي، المصدر السابق، ج ٤.

قبل إرساله: «يجب عليكم ـ إلى جانب القيام بمسؤولية التبليغ والإرشاد، أن لا تنسوا أمرين، الأول: أن لا يُذكر إسمي في المسجد، والثاني: أن يكون تعاملكم مع مؤسس هذا المسجد بطريقةٍ لا يتوهم معها أننا طامعون بثروته»[1].

اضطررت إلى مرافقة الثري في زيارته للإمام!

كان المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي ينقل الحادثة التالية قائلاً: كان أحد أثرياء إصفهان رجلاً وجيهاً وصالحاً يساعد الحوزات بالتبرعات إضافة إلى تقديمه مبالغ ضخمة كحقوق شرعية، وكان هذا الثري محباً للإمام، وقد زار النجف في الأيام التي كانت الحكومة الطاغوتية في إيران تفرضُ ضغوطاً شديدة لكي لا يلتقي الزوار الإيرانيين بالإمام، ورغم ذلك فقد طلب هذا الثري الإصفهاني ـ وكان صديقاً قديماً لي ـ أن يزور الإمام لكي يحظى بلقائِهِ ولكي يقدم له مبلغاً من المال كدعم لدفع رواتب طلبة الحوزة، لكنني كنتُ أعلمُ أن الإمام يتعامل عادة في مثل هذه الحالات بحالةٍ من عدم الاهتمام بمثل هذا الشخص، الأمر الذي يترك آثاراً مضادة على روحية هذا الصديق، ولذلك فقد اضطررت إلى مرافقته في زيارة الإمام[2]!!

لن أقدم طلباً للإفراج عن مصطفى ولو كان مصيره القتل

كان الإمام دائماً هدفاً لمختلف أشكال هجمات العدو، لكنه صمد في مواجهتها جميعاً، وقد شاهدنا عن قرب حركته المضادة الرافضة لظلم الظالمين ولكفر حكومة حزب البعث العراقية في عدّةِ حالات، منها ما يرتبط بسفرِ المرحوم آية الله الحكيم إلى بغداد اعتراضاً على سياسة

(١) آية الله حسن الصانعي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٢.
(٢) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٨.

الحكومة البعثية، وقد أخذت وفود مسلمي وشيعة العراق تتدفق أفواجاً لزيارته في حركة احتجاجية ضد الحكم البعثي الذي قام إثر ذلك بمهاجمة منزل آية الله الحكيم وحاصره وأغلق بابه وأخذ باعتقال كل مَن يأتي إلى منزله، فذهبَ آية الله الحكيم إلى الكوفة وعطل دروسه احتجاجاً، وعاش هذا المرجع الكبير لشيعة العالم أيامه الأخيرة في حالة من الغربة والمظلومية استمرت إلى وفاته؛ فقد امتنع علماء النجف عن التردد عليه وزيارته خوفاً من إثارة غضب النظام البعثي ضدهم، أما الإمام الذي تحلى بالروحِ والشجاعة النبوية فقد ذهب بنفسه لزيارته كما كان يرسل ولده المرحومَ السيد مصطفى لزيارته في منزله يومياً، فاعتقل النظام البعثي السيد مصطفى ونقله إلى بغداد، وعندها سيطرت حالة من الخوف على النجف، وأخذ الجميع يزورون الإمام طالبين منه أن يطلب رسمياً من الحكم البعثي اطلاق سراح مصطفى معربين عن قلقهم من احتمال تعريضه للأذى الماحق في السجن، لكن الإمام قال في جوابهم: «إن الجهاد يشتمل على مثل هذه الصعاب والمرارات، والذي يسلك هذا الدرب لا يطلب شيئاً من عدوه أبداً، ولذلك لن أقدم طلباً للإفراج عن السيد مصطفى حتى لو كان مصيره القتل»!

وقد بقي السيد مصطفى مسجوناً في بغداد قرابة اسبوع دون أن يعرف أحدٌ أيَّ شيء؛ عن مصيره[1].

ينبغي أن يستغفر الله بسبب ذلك!

قام أحد الأخوة ـ وهو من قدماء أصحاب الإمام في النجف ومن الذين كان الإمام يحبهم ـ بطبعِ بعض مؤلفات آية الله الشهيد المرحوم السيد مصطفى الخميني، وبعثَ ـ من غير طريق مكتب الإمام ـ رسالةً

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي، مجلة (ندا)، العدد الأول.

إلى سماحته كان مضمونها هو: لقد قمنا بعون الله بطبع كتاب (....) للأستاذ الشهيد المرحوم آية الله الحاج السيد مصطفى الخميني، ونحن نسعى إلى عرض الكتاب في السوق بنصف الثمن المتعارف لمثل هذا الكتاب إذا وافقتم على ذلك وساعدتمونا بمقدار من تكاليف الطبع ونحن أيضاً نتنازل عن حقوق الطبع من أجل ذلك.

عندما قرأ الإمام هذه الرسالة إنزعج كثيراً وخاطبنا قائلاً بلهجةٍ مفعمة بالأذى: «ماذا يقول هذا السيد في رسالته هذه؟! إنه بهذه الرسالة قد أهان مصطفى وكتابه وينبغي له أن يستغفر الله بسبب ذلك»[1].

لو طلبتُ شيئاً من البعثيين فسأصبح مديناً لهم

كان الإمام قد اتخذ قراراً بأن لا يطلب شيئاً ممن يعتبره من الظلمةِ والفساق، وقد اعتقلت مجموعة من المنافقين في العراق أيام إقامة الإمام في النجف، وقد جاء إثر ذلك المدعو «تراب حق شناس» إلى النجف وهو يحمل رسالة من آية الله الطالقاني كتبت بمداد غير مرئي، فأخذته إلى الإمام وعندما دخلنا عليه ظهرت الكتابة في هذه الرسالة، وكان آية الله الطالقاني قد نقل لحق شناس حادثة كانت قد جرت له مع الإمام والسيد الزنجاني لكي يرويها للإمام كعلامةٍ على صدق كونه قد جاء مبعوثاً من قبل آية الله الطالقاني، كما أبلغني تراب حق شناس رسالة شفهية من المرحوم آية الله الطالقاني موجهة لي لكي أطمئن إلى صحة كونه مبعوثاً منه، وكانت هذه الرسالة الشفهية هي أيضاً عبارة عن حادثة جرت بيني وبين آية الله الطالقاني ترتبط بلقائي به في السجن.

وكانت رسالة آية الله الطالقاني تشتمل على طلبٍ من الإمام أن يطلب من المسؤولين العراقيين إطلاق سراح تلك المجموعة من

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

المنافقين. وبعد تسليم الرسالة وإطّلاع الإمام عليها أجاب: «ينبغي أن أفكر في الأمر». وعندما ذهبتُ إليه في اليوم التالي قال لي: «إنني لا أتدخلُ شخصياً في هذا الأمر، لأنني لو طلبتُ شيئاً من البعثيين فسأصبح مديناً لهم وسيطلبون مني أشياءَ في المقابل»!

قدمت للإمام بعض التوضيحات على أمل أن يغيّر موقفه لكنه قال: «لو كان السيد الطالقاني والسيد الزنجاني جالسين هنا الآن وهما يطلبان هذا الطلب لما استجبت لذلك، لأنني لا أطلب شيئاً ممن لا أعتقد بنزاهته بل أعتبره من الظلمة والفاسدين، ولكن إذا استطعتم أنتم القيام بعمل ما لإطلاق سراحهم، فلا مانع لدي»[١].

لا يقيم وزناً لهذه الاعتبارات

عندما كنا في خدمة الإمام قبل حوادث (١٥) خرداد، عزم أحد أصدقائي على السفر إلى كربلاء وقال لي: لدي صديق في كربلاء ومن المقرر أن يرسل دعوة رسمية لزيارتها، فقلتُ لصديقي: سأرتب لك هذا الأمر، وكان في نيتي أن أطلبَ من الإمام أن يكتب رسالة إلى الأجهزة المختصة لتسهيل أمر سفر هذا الصديق! لقد كنت جاهلاً لا أعرف الإمام!!

وقد طلبت بالفعل ذلك من الإمام يوماً وهو في طريقه إلى منزله، فقال: «أنا لا أفعل مثل هذا»!!

لقد تضاعف حبي وإيماني بالإمام إثر هذا الموقف أضعافاً مضاعفة! فقد كنتُ أتصور أن ملازمتي لخدمته وحضوري درسه سيجعلانه يستجيب لطلبي ويكتب الرسالة فوراً، لكنني وجدت هذا الرجل الجليل لا يقيمُ وزناً لهذه الإعتبارات[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين القرهي.

تحرروا بهمة عالية من الذلةِ والمهانة

لاحظت ومنذ بداية وصول الإمام إلى طهران قادماً من باريس مظاهر المودة له تتجلى في قسمات وجوه معظم أفراد قوى الأمن، لقد خاطبهم فور وصوله قائلاً: «لقد كان الشاه وبلاطُهُ يسحقون كرامتكم وشخصيتكم ويستصغرونكم في مقابل الأميركان، عليكم أن تتحلوا بهمم عالية تتحررون بها من الذلة والمهانة»، ثم قال: «لا تخشوا أحداً، اطمئنوا أن الشاه لن يعود، لم تبق فيه قوة للعودة وإلحاق الأذى بكم»(١).

لا تخضع لي أنا أيضاً

يروي أحد مقربي الإمام: حدثت يوماً مشكلة بيني وبين إحدى الشخصيات الأمر الذي أقلقني كثيراً فذهبت إلى الإمام وعرضت عليه المشكلة ثم قلت لسماحته: إنني لن أخضع لسلطة أحد سواكم في الدنيا! فقال لي فوراً وعلى نحو البداهة: «لا تخضع لي أنا أيضاً»(٢)!!

هيهات منا الذلة

من صفات الإمام البارزة إجتنابه الكامل القيام بأي عملٍ تُشَمُّ منه أبسط أشكال الذلة(٣).

قطع الطمع عما في أيدي الناس

أشار الإمام مراراً إلى القضية التالية: «إن اعتمادنا على أنفسنا مع

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الموسوي خوئينها، مجلة (مرزداران)، العدد: ٢٩.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٢.

(٣) آية الله جعفر السبحاني، مجلة (نور علم)، الدورة: ٣، العدد: ٧.

قناعتنا بأكل الخبز والجبنة لا غير، خيرٌ من أن نتمتع بأفضل متنزهات العالم وآخر موديلات السيارات الفاخرة ولكن في ظل الاعتماد على ما في أيدي الآخرين»[1].

يمنع توزيع رسالته العملية مجاناً

بعيد طبع الرسالة العملية للإمام تم إهداء عدد محدود من نسخها لبعض الأشخاص، وكان هذا أمراً مألوفاً في بيوتات جميع المراجع ولكن الإمام منع ذلك فورَ معرفته به وقال: «إن الرسالة العملية كسائر الإحتياجات الحياتية للناس فهم إما بحاجة إليها وفي هذه الحالة يجب عليهم شراؤها مثلما يشترون احتياجاتهم الأخرى، وإما أنهم في غنًى عنها، وفي هذه فبأي مسوغ شرعي تُعطى مجاناً لهم على حساب بيت المال؟!». وحسب إطلاعنا كان الإمام أولُ مرجع للتقليد يمنع توزيع رسالته العملية مجاناً[2].

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (شاهد)، العدد: ٢٤.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين مهدي الكروبي.

الفصل الثاني عشر:

حسن خلقه المقرون بالوقار والبشر

كان يمازح بوقار

في أيام إقامتي في قم، كان الإمام يذهب إلى مدينة مشهد أيام الصيف، وفي أحد الأيام ذهبتُ لزيارة أحد علماء المدينة فرأيتُ هناك الإمام وعدداً من كبار العلماء، وكان ذلك قبيل الظهر فقال بعض الحاضرين: لا مناص لصاحب الدار من أن يقدم اليوم وليمة لنا! ولكن ذلك العالم لم يكن يستجيب لهذا الطلب، أما الإمام فقد قال: «نحن جالسون هنا بانتظار الوليمة ولن نذهب قبلها»!! وقد قال صاحب الدار فيما بعد: كدت استسلم لطلبهم لكنني قاومت ولم أقدم الوليمة!!

إن هدفي من نقل هذه الحادثة هو الإشارة إلى أن الإمام لم يكن جافاً في أخلاقه بل كان يمازح أيضاً[1].

ولا يتجاوز ضحكه الابتسامة

ذهبنا إلى طهران لزيارة الإمام بعد إطلاق سراحه، لكنهم منعونا من

(١) آية الله محمد واعظ زاده الخراساني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ٣٠٦.

الدخول عليه فبقينا بالقرب من محل إقامته إلى أن علمنا بخبر عزمهم على نقله إلى منطقة قيطرية حيث أقام فيها مدة أربعة شهور في منزل أحد العلماء يُقال أنه من محبيه، وقد بقينا نحن أيضاً في خدمته في ذلك المنزل وأتذكر أنني كنتُ يوماً أتوضأ في المنزل المذكور فقال لي: «توجدُ عدة إشكالات في وضوئِكِ هي...».

كان الإمام حسناً للغاية في تعامله ووقوراً، ولم يكن ضحكَهُ يتجاوز ـ إلا نادراً ـ حدود الابتسامة[1].

ما كان لك أن ترى هذه الرؤيا!

في أواخر سنة ١٣٢٨ هجري شمسي [١٩٤٩م] دعوت الإمام إلى وليمةٍ أقمتها في منزلي بمناسبة ولادة طفلي الأول، وقد حضر الوليمة أيضاً عددٌ من العلماء فإلتفت أحدهم إلى المرحوم السيد مصطفى ـ وكان يومها حدثاً نحيفاً ظريفَ الأخلاق وضحوكاً بصورة. وقال له: سمعنا أنك رأيت في منامك رؤيا عجيبة فهل حدثت سماحة السيد [الإمام] بها؟. فنظر السيد مصطفى إلى الإمام منتظراً إذنه بالحديث، فنظر له الإمام بطرفِ عينه، وعندها أجاب: لا، فقال ذلك العالم: حدثنا بها إن سماحة السيد يأذن لك بذلك. لكن السيد مصطفى بقي ساكتاً والابتسامة المعهودة ظاهرة على وجهه، فقد كان ينتظر الإذن بالحديث من الإمام وقد توجه ببصره إليه وهو في حيرة. أمام طلبات العلماء الحاضرين وإلحاحهم عليه بأن يحدثهم بتلك الرؤيا، وقد حسم الأمر المرحوم سماحة السيد عبد الله آل آغا عندما قال للإمام: اسمحوا له بالحديث يا سيدي، فرؤياه عجيبة جديرة بأن يُصغى لها، لقد سمعها الكثيرون.

وإثر ذلك ابتسم الإمام وهو لا زال ينظر إلى نقطةٍ معينة وقال للسيد

---

(١) المشهدي جعفر (خادم الإمام)، مجلة (أميد إنقلاب)، العدد: ٢٠٥.

مصطفى: «تحدث، ماذا رأيت؟» فقال السيد مصطفى: رأيت في منامي قبل عدة ليالٍ أنني في محفل قد جلس فيه جميع الحكماء والفلاسفة بترتيب طبقاتهم: الفارابي، الشيخ الرئيس ابن سينا، البيروني، الفخر الرازي، الخواجة نصير الدين الطوسي، العلامة الحلي، الملا صدرا، الملا هادي للسبزواري، وعدد كبير من الفلاسفة الآخرين (كأنه ذكر أيضاً: سقراط، وإفلاطون وأرسطو من فلاسفة اليونان أيضاً)، وأثناء ذلك رأيتك تدخل المحفل، فقام جميع الحكماء والفلاسفة لاستقبالك ثم أجلسوك في صدر هذا المجلس».

عندما انتهى كلام السيد مصطفى التفت إليه الإمام وسأله: «أنت رأيت هذه الرؤيا؟»، قال: نعم، فقال الإمام: «ما كان لك أن ترى مثل هذه الرؤيا»!! فضحك الجميع لهذا الجواب وابتسم الإمام أيضاً[1]!!

أخذ يمازحنا لإبعاد الأذى عنّا

عند عودة الإمام من حدود الكويت، أبقاه موظفو السلطات العراقية عدة ساعات في منطقة «صفوان» الحدودية، وكانت قد سيطرت علينا حالة من الأذى والقلق خشية على الإمام فلم يفكر أيٌ منا بغيره، أما هو فقد أخذ بممازحتنا فور دخوله الغرفة وأضحكنا عدة مرات! وكان واضحاً أنه كان يريد تقوية معنوياتنا بهذه الطريقة العادية والمرحة في التعامل، ولعله كان يسعى بذلك إلى إبعاد الأذى عنّا لشعورنا بأن حالته أشبه ما تكون بحالة السجين، وإبعاد هذا التصور عن أذهاننا وإن كان مطابقاً للواقع[2].

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا السجادي الأصفهاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج ٦.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا المهري، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٠.

ظهرت الابتسامة المحببة على وجهه

في طريق توجه الإمام إلى مقبرة جنة الزهراء عليها السلام رفعت جماهير المستقبلين السيارة التي تقله على الأيدي وذلك عند وصولنا إلى شارع الشهيد الرجائي (شارع ياد آوردان سابقاً)، وإثر ذلك تغير حال سماحة السيد أحمد وأغمي عليه عدة لحظات وهو في داخل السيارة، أما الإمام فلم يُلاحظ عليه أبسط تغيير في حاله بسبب هذه الحادثة باستثناء الإبتسامة المحببة التي ظهرت على وجهه[1].

يربي الآخرين حتى في مزاحه

عندما كان الإمام يستخدم أحياناً بعض كلمات المزاح في أحاديثه فهو كان يسعى إلى تحقيق هدف تربوي بناء حتى من كلمات الممازحة هذه[2].

رحبَّ بهم ببشاشة رغم شدة تعبه

. . . في تلك الليلة أخبرونا ـ ونحن في مدرسة علوي ـ أن ثمة مَن يطرق من الخارج الباب الصغيرة الخلفية للمدرسة، كنا نقوم بمهام الحراسة من جهة تلك الباب بالعصي إذْ لم يكن لدينا أسلحة يومها، وعلى أي حال فقد فتحنا الباب، وكانت المفاجأة! رأينا الإمام وحده! أجل جاء من جهة الباب وحده، ولعله لم يكن يرافقه حتى ولده السيد أحمد.

ارتفع النداء المحبب: «جاء الإمام، جاء الإمام»، ووصل إلى جميع الذين كانوا في المدرسة في تلك الليلة، وكان عددهم ما بين (١٠ ـ ٢٠) شخصاً أحاطوا جميعاً بالإمام وأخذوا يقبلون يده، وهو بدوره كان يرحب بهم ويتلطف بهم ببشاشةٍ رغم شدةِ تعبه!

(١) اللواء حرس الثورة محسن رفيق دوست، مجلة (أميد إنقلاب)، العدد: ٢٥.
(٢) آية الله الحمدي الجيلاني.

سألتُ نفسي يومها متعجباً: كيف يستطيع الإمام الترحيب بهذه الصورة بكل هؤلاء الأشخاص رغم شدة تعبه، إنه لم يتناول مُنذ الصباح ولا لقمة طعام واحدة أو قليلاً من الماء في حين أن متاعب السفر والذهاب إلى مقبرة جنة الزهراء وإلقاء خطابه فيها هي ولا ريب متاعب مضنية منهكة للغاية؟!

أقتربتُ أنا أيضاً منه ووقفت عند الباب على مسافة متر واحد منه أنظر بشوق إليه، فقد مرت عليّ عدة سنين طويلة لم أره فيها، اجتنبت الإقتراب منه أكثر من ذلك لكي لا أسبب له المزيد من المضايقة، سار قليلاً باتجاه السلالم المؤدية إلى الطابق الثاني في المدرسة وجلس متربعاً على الأرض عند بدايتها ووجهه باتجاه الذين اجتمعوا عنده وقد ارتفع عددهم إلى حدود (٦٠,٥٠) شخصاً، كانت حركته جميلة للغاية، عندما رآه الحاضرون يجلس بهذا التواضع توقفوا هم أيضاً، فأخذ يتفقد أحوالهم والإبتسامة تعلو وجهه، ثم بدأ يتحدث إليهم، تحدث لنا وهو جالس على بداية السلالم حدود (١٠ ـ ١٥) دقيقة، والإبتسامة المحببة تعلو وجهه الكريم طوال هذه المدة التي انطبعت في ذهني وهي تحمل إحدى أجمل ذكرياتي التي لا تنسى[١].

كان وقوراً

كان الإمام وقوراً للغاية، وكنا كلما دخلنا عليه استقبلنا بابتسامة جميلة[٢].

يستقبل الآخر بابتسامة

لا أتذكرُ أنني دخلت غرفة الإمام مرةً دون أن يستقبلني بابتسامة[٣].

---

(١) آية الله الخامنئي، مجلة (شاهد بانوان)، العدد: ١٦٧.
(٢) السيد خادم (أحد حرس بيت الإمام)، كتاب (في رثاء النور)، ص ٦٥.
(٣) السيدة نعيمة الإشراقي (حفيدة الإمام)، صحيفة كيهان (١٢/ ٤/ ١٣٦٨ هـ.ش).

يأذن لنا بالدخول بكلمة «بسم الله»

كان الإمام قد أذن لنا بالدخول عليه في أي وقتٍ من الليل مع التقديم للدخول بنداء «يا الله»، قال: «عندما يكون لكم شغلٌ معي، فقولوا فقط «يا الله» وإدخلوا»؛ وكنا إذا قلنا «يا الله» ننتظر حتى نسمعه يجيبنا بكلمةِ «بسم الله» وعندها كنا ندخل عليه ونقوم بما علينا القيام به من مهام المراقبة الصحية ثم نخرج.

ولم أرَهُ ولا مرة واحدة يقطب حاجبيه أو يستقبلنا بوجه غير بشوش عندما كنا ندخل عليه، كان يستقبلنا دائماً ببشاشة الأمر الذي يوضحُ عمق صبره وحسن خلقه[1].

حسن خلقه يقوي الإيمان

جاءت مجموعة من الطلبة الجامعيين المسلمين الذين كانوا يدرسون في أوروبا إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام للإلتقاء بالإمام أثناء زيارته المسائية للحرم العلوي، وكانت هيئتهم الظاهرية ـ سواءٌ في طبيعة زي ملابسهم أو طريقتهم في الكلام والتعامل ـ من النوع غير المرغوب فيه في أجوائنا، ورغم ذلك فقد جلس الإمام معهم وأخذ يحادثهم بطريقةٍ وكأنهم من أصدقائِهِ القدماء! الأمر الذي جذبهم إليه بدرجة، فقاموا من عنده ـ بعد دقائق قليلة من الحوار معه ـ بقلوبٍ مفعمةٍ بالإيمان والأمل والمعنويات العالية[2].

لم ينزعج من كثرة أسئلتي اليومية

كان الإمام يتحلى بروحٍ لطيفة وشفافة للغاية تظهر منها لطائف

(١) الدكتور بور مقدس، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الكريمي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩.

أخلاقية دقيقة وخاصة لا توجد في غيره. كنتُ أرافقه عادة كل يوم، وعلى مدى عدة سنين في طريق عودته إلى المنزل بعد إلقاء درسه في مسجد السلماسي، وكنت أعرض أثناء ذلك أسئلتي وكان يجيبني عليها دون أن ألاحظ منه ولا مرةً واحدة طوال هذه السنين نوعاً من عدم الرغبة في الإجابة على أسئلتي، رغم أن الأمر لم يكن يقتصر على يوم أو يومين، بل كان يتكرر في معظم الأيام تقريباً، إذْ كنتُ ألحقه فيها بعدَ الدرس لعرض أسئلتي سواءٌ في الأيام الأولى لحضوري درسه أو في الأيام الأخيرة؛ دون أن تظهر على هيئته أبسط ملامح عدم الارتياح من ملاحقتي له وعرض أسئلتي عليه[١].

قمنا بالثورة لكي ندرس «الفصوص»

قالت السيدة الطباطبائي يوماً: كنت أدرس يوماً عند الإمام كتاب «الفصوص»، فدخل السيد أحمد، فالتفت إليه الإمام وقال: «لقد قمنا بالثورة من أجل أن ندرِّس وندرس كتاب «الفصوص» قبل كتاب «جامع المقدمات»[٢]!

سعة صدره

جاء أحد معارفنا يوماً إلى المنزل، ولأنه كان معترضاً على إحدى القضايا، ولذلك فقد رفع صوته أثناء الحديث وهو يعبّر عن إعتراضه، كان الإمام يومها مريضاً ورغم ذلك فقد أجابه بكل هدوءٍ ولين: «لماذا تزعج نفسك؟ هلم نناقش القضية معاً، سنصل في النهاية إلى نوعٍ من الإتفاق»[٣].

---

(١) آية الله يوسف الصانعي.

(٢) آية الله السيد أحمد النجفي.

(٣) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (حضور)، العدد الأول.

يمازح طبيبه وهو يعالجه

أصيب إصبع الإمام ببعض الآلام، فجاء الدكتور العارفي بطبيب متخصص، في هذا المجال لفحصه، وأثناء الفحص مدَّ هذا الطبيب يديَّهُ وقال للإمام: اضغطوا على يدي. فقال الإمام ـ بلهجةٍ خاصة محببة يستخدمها عند المزاح ـ: «أخشى أن يصيبكم الألم من ذلك»!! ثم علت ابتسامة ـ جميلة ومحببة ـ وجهه المبارك[١].

يستقبلنا بوجه مفعم بالحيوية

عندما كنت مكلفاً بمسؤولية قيادة اللجان الثورية، تشرفت بزيارة الإمام ضمن لقائه بالمسؤولين في يوم عيد الغدير، وقد ألقى سماحته فيهم خطاباً في الحسينية ثم عاد إلى غرفته وجلس أمامها حيث تشرف المسؤولون بتقبيل يديه، وكان إلى جانبه وعاءٌ فيه مقدار من قطع نقدية من فئةِ ريال واحد مزينة بصورة قبة المسجد الأقصى، كان يرد سلامنا بوجه نوراني بشوش مفعم بالحيوية ويتناول بيده اليمنى من تلك القطع النقدية ويقدمها «عيديةً» للمسؤولين، وقد تفضل عليّ بأحداها لكني لم أكن أشبع من زيارته والسلام عليه فوقفت مرة أخرى في صف المسلمين عليه وقبلت يده وحصلت منه على قطعة ثانية من تلك القطع المباركة! ثم وقفت للمرةِ الثالثة في الصف ـ وكنت هذه المرة في آخره ـ، وعندما وصلت إليه ابتسم في وجهي، فقلت: أريد يا سيدي قطعة لوالدتي (وكانت مريضة، فأردت أن أحصل لها من الإمام إحدى تلك القطع بقصد التبرك والاستشفاء). ابتسم الإمام بملاحة وصبَّ القطع المتبقية في الوعاء في يدي وقال ممازحاً بلهجة مفعمة بالرفق والمحبة: «خذها وهذه لوالدتك»[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (في ظل الشمس).
(٢) حجة الإسلام والمسلمين أحمد سالك الكاشاني.

كان يجيبنا بابتسامةٍ محببة

كان الإمام يشعر بأن آلامه البدنية طبيعية بملاحظة تقدم عمره، وعندما كنا نسأله عليها، كان يجيبنا بابتسامةٍ محببة قائلاً: «هذا الضعف بسبب الشيخوخة، وأنتم تريدون معالجة الشيخوخة، وهذا ما لا تقدرون عليه»[١].

يبتسم رغم شدة الألم

كان الإمام يبتسم بوجه كل مَن يأتي لعيادته وهو راقد في المستشفى رغم أنه كان يقاسي الآلام العميقة في كل بدنه[٢].

حسن الخلق في الحالات الصعبة

وجدتُ الإمام ـ ومُنذ اللحظة الأولى لرؤيتي له في مرضه وفي ذلك اللقاء الذي لا يُنسى ـ شخصاً استثنائياً ومريضاً غير عادي حقاً، لقد وافق على إقتراح إجراء العملية الجراحية له بروحه الشجاعة التي تميز بها، لقد تحلى بالشجاعة والصبر طوال مدة مرضه وحتى في أصعب لحظاتِهِ وأكثرها إيلاماً. كان صبوراً للغاية وشديدَ التحمل للإجراءات العلاجية التي تقدم له وبعضها تشتمل على آلام طبيعية لبدنه الشريف مثل تزريق الأبر أو الأنابيب الطبية، كان الأخوة المعالجون يبينون لسماحته الآلام التي تشتمل عليها هذه الإجراءات الطبية قبل القيام بها، فكان يستجيب لها بكل صبر بل ويتعامل معهم بكل رفقٍ ورأفة. ويمكن القول حقاً أنه لم يقطب حاجبيه أبداً[٣].

---

(١) الدكترو حسن العارفي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، نشرة خاصة بمناسبة أربعينية الإمام.

(٣) الدكتور الدوائي، مجلة (إطلاعات هفتكي)، العدد: ٢٤٤٢.

بلغ مقاماً سامياً من مقامات الرضا بالقضاء الإلهي

كان الإمام يتحلى حقاً بأخلاق وطباع محمدية. إنه لم يقطب حاجبيه أبداً طوال المدة التي كنا نرابط في منزله ونقوم بالأعمال العلاجية ومنها تلك العملية الجراحية الصعبة. كنا ـ بحكم إحترامنا الخاص لسماحته ـ نقدم لتلك الإجراءات العلاجية بأن نقول له مثلاً: اجلسوا، إذا استطعتم التحرك فتحركوا... ولم يكن يعترض على ما نطلبه منه أبداً، كان يعاملنا دائماً بكل إحترام، وأستطيع القول أنه كان ـ بنظري ـ مريضاً نموذجياً في استجابته للإجراءات العلاجية، ولا أتصور أن شخصاً غيره يستطيع أن يحافظ على مثل هذا الخلق الحسن ويجتنب كل ما يمكن أن يؤذينا منه في ظل تلك الأوضاع التي كان يقاسي فيها كل تلك الآلام الشديدة، لقد بلغ مقاماً سامياً من مقامات الرضا بالقضاء الإلهي[1].

---

(١) الدكتور كلانتر المعتمدي، المصدر السابق.

الفصل الثالث عشر:

ورعه عن الغيبة والسخرية بالآخرين واللغو ومجالسها

حيثما حلَّ انهزمت الغيبة!

مُنذ بداية دراسته الحوزوية وأيام شبابه لم يكن الإمام يُبقي مكاناً للغيبة حيثما حلَّ، كان يمنع بشدة ذكر الآخرين بالسيء من القول[١].

ينهى عنها بحزم

كان الإمام مجتنباً الغيبة بالكامل، وكان من سيرته إذا شعر أن أحدهم يُريدُ أن يذكر آخراً بسوء قام لترك المجلس أو نهى عن ذلك بحزم[٢].

وكان بنفسه متورعاً عنها

كان الإمام ينهى الآخرين دائماً عن الغيبة حتى عن أشكال الغيبة التي لا تخرج من دائرة الذهن والتي لا إشكال شرعاً فيها؛ وكان هو بنفسه مجتنباً للغيبة[٣].

---

(١) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي، مجلة (پاسدار إسلام)، العدد: ١٨.

(٢) آية الله السيد الخوانساري، مجلة (حوزه)، العدد: ٣٢.

(٣) آية الله السيد محمد صادق اللواساني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٤، ص ١٣٠.

شرط الحضور في مجلسه

كانت للإمام اجتماعات مع بعض الأصدقاء مثل آية الله السيد أحمد الزنجاني وسماحة الميرزا عبد الله المجتهدي والمرحوم سماحة السيد أحمد اللواساني وغيرهم، وكانت من شروط الحضور في هذه اللقاءات أن لا تقع فيها غيبةٌ لأحد، والشرط الثاني أن لا تطرح فيها مباحثات علمية[1]!

مقاطعته مجالس الغيبة

من الأمور التي يتفق عليها الجميع أن الإمام ـ ومُنذ أيام شبابه ـ كان يمتنع عن الجلوس في محل تُرتكب فيه الغيبة أو الكذب والمعصية، كان مُنذ البداية متورعاً بشدة عن الغيبة والكذب، كان ملتزماً إما بترك المجلس الذي تقع فيه الغيبة وإما أنه كان يقطع كلام المتحدث بغيبة[2].

حساسيته في حفظ الحدود الإلهية

أقولُ عن تحقيق وبدقة، أن الإمام كان مراقباً وحساساً للغاية لكي يجتنب أبسط تجاوز لحدود الشرع، ولا يمكن لأي شخص الإدعاء بأنه رأى الإمام جالساً في مجلس غيبةٍ فضلاً عن أن يكون يغتاب بنفسه والعياذ بالله[3].

ينهانا عن الغيبة بنظرة حادة

كان الإمام ملتزماً مُنذ أيام شبابه الأولى باجتناب الغيبة، بل وحتى نحن تلاميذه كنا لا نتجرأ على التحدث عن أحد إذا جلسنا عنده، لأنه

---

(١) آية الله السيد الشبيري الزنجاني، مجلة (نور علم)، الدورة: ٣، العدد: ٧.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٦٠.
(٣) آية الله السيد عز الدين الزنجاني.

كان يُسكتنا عند الكلمة الأولى بنظرةٍ حادة وكانت له هيبة خاصة في مثل هذه الموارد.

لقد كان ملتزماً بصورةٍ (حاسمة) بجملةِ أمور: الصلاة جماعةً في أولِ وقتها، التهجد في الأسحار، واجتناب الغيبة، كان كذلك في أيام شبابه الأولى وقبل زواجه، فنجد أصدقاءَهُ يصرحون أنه كان يتورع حتى عن صغائر الذنوب(١).

يجتنب المجالس التي تقسي القلب

قلّ نظير الإمام حتى في كثرة عمله وحديته في العمل، أتذكرُ أنني ـ مُنذ أن عرفته ـ لم يكن أبداً يقضي شيئاً من أوقاته في البطالة أو فيما نسميها نحن طلبة الحوزة بـ«القعدات» وهي المجالس الطويلة التي لم تكن تخلو من الغيبة وإيذاء المؤمنين والضحك الطويل وكلها عوامل تسبب موت القلب والإبتعاد عن الله. وهذا ما سمعته أيضاً من زملائِهِ في الأيام الأولى لدراسته الحوزوية، لقد كان مجتنباً لمثل هذه المجالس وإذا اضطر أحياناً للحضور في مجلس يحتمل أن ترتكب فيه مثل هذه الأمور، فإنه كان يمنعها بحزم أو يترك الجلوس ويغادر المكان فوراً(٢).

يتأذى من الكلام الذي تشم منه رائحة الغيبة

ضمن سؤالي عن أحوال الإمام في أيام شبابه الأولى، علمت من بعض أصدقائِهِ في تلك الأيام أنه لم يصدر عنه أي عملٍ منحرف حتى في تلك الأيام الحساسة، وقد اتفقت أقوالهم بهذا الشأن، فمثلاً في اللقاءات البعيدة عن التكلف التي كانت تجمعهم، ويقع فيها بعض

---

(١) آية الله الشهيد المحلاتي، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ١٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة (حوزه)، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

المطايبات والممازحات؛ كان الإمام يتأذى إذا اشتملت ولو على كلمةٍ واحدة فيها رائحة الغيبة، فكان يبادر إلى النهي عنها والتذكير بأن: «الغيبة محرمة».

لقد نفذ الإسلام إلى قلب الإمام بالكامل فكان حاكماً عليه[١].

يغير مجرى الحديث فوراً

من الأمور التي يجمع على القول بها جميعُ اصدقاء الإمام هو أنه لم يقع في معصية الغيبة أبداً، بل ولم يكن يسمح ـ مُنذ أيام شبابه الأولى ـ باغتياب أحد في أي مجلس يحضره، وإذا أراد شخص ما أن يغتاب آخراً أثناء حديثه غيّر الإمام مجرى الحديث فوراً[٢].

لا يحق لكم

قال الإمام لي يوماً وقد زرتُهُ بعد وفاة السيد البروجردي ـ رحمه الله ـ: «لا يحق لكم ـ في ظل هذه التحركات لصنع مراجع للتقليد!! ـ أن تتفوهوا ولا بكلمةٍ واحدة في تأييدي أو في اغتياب أحد السادة الآخرين»[٣].

لا أرضى باغتياب أحد في بيتي

كان طلبة الحوزة يخصصون مقداراً من النهار والليل للتباحث ـ وهم يجلسون في قسم البراني من بيت الإمام ـ فيما يرتبط بأوضاع الحوزة، وكانت هذه الأحاديث تشتمل أحياناً على انتقاد بعض العلماء، كما كانوا يعربون عن عدم ارتياحهم لامتناع الإمام عن القيام بأي خطوة في السعي للمرجعية بل واختياره العزلة.

---

(١) آية الله محمد الفاضل اللنكراني، مجلة (حضور)، العدد الأول.

(٢) الدكتور محمود البروجردي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٣.

(٣) آية الله الشهيد المحلاتي، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ١٠.

وفي أحد الأيام جاء المرحوم السيد مصطفى برسالة شفهية من الإمام هي: «سمعتُ أن بعض الأشخاص يغتابون ويتجرأون هنا على العلماء، إنني لا أرضى بأن يغتاب أو يُهلك أحدٌ في هذا البيت الآخرين»[١].

ذنبٌ فظيع لا لذة فيه

قال السيد السلطاني: كان السيد [الإمام] يكره الغيبة كثيراً ويقول عنها أنها: «معصية لا طعم فيها! فهي خالية من أي لذة، وهي ذنبٌ فظيع إلى جانب ذلك»[٢].

لم يسمعوا منه ولا كلمة غيبة واحدة!

من المحال أن يكون الأشخاص الذين لازموا الإمام سنين طويلة قد سمعوا منه كلمةً واحدة في الغيبة أو في الإساءة للآخرين. وقد زاره أحد الأخوة يوماً وعرض قضية معينة وتعرض ضمناً إلى أحد الأشخاص فتأذى الإمام وقال: «لا تتعرضوا بالقول لأحد هنا»[٣].

لا تاخذه في الله أيةُ إعتبارات

لم يكن يؤذي الإمام شيءٌ مثلما تؤذيه الغفلة عن الأوامر الإلهية وتجاوز حدودها خاصة إذا أراد شخصٌ أن يغتاب أو يهين مراجع الدين في حضوره؛ وقد كنت يوماً عنده فتحدث أحد الأشخاص عن العلماء والمراجع بحديث تُشم منه رائحة الإهانة، فغضب الإمام عليه وشدد في معاتبته رغم أنه كان من أصحابه الأوفياء؛ فهو لم يكن يقيم وزناً لمثل

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٢.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٤.

هذه الإعتبارات وهوية الأشخاص فيما يرتبط بالتكاليف الإلهية، ولذلك لم يكن أقرب المقربين منه يتجرأ على نقل خبرٍ له يتضمن غيبة أو إهانة لأحدٍ من الناس، لأنه سيواجه قولاً حازماً من الإمام هو: «لست مستعداً لسماعِ هذا الخبر»[١].

شديد الورع عن انتقاد الآخرين

كان الإمام شديد الورع عن إنتقاد الآخرين إلا في الموارد التي تقتضيها الضرورة، وفي هذه الموارد لا يهاب شيئاً يمنعه عن بيان الحقائق. إذا سأله أحدٌ عن علم وفضل والحالات المعنوية لأحد الأشخاص أجاب بذكره باحترام وتجليل إذا كان من أهل الفضائل أما إذا كان فاقداً لأي فضيلة اكتفى الإمام بالقول: «ماذا يمكنني أن أقول؟»[٢].

ينهى عن الغيبة بالكناية

كان الإمام يتحلى بحالة عميقة من سعة الصدر، فلم نشاهده يغضب على أحد أو يظهر الأذى رغم أننا كنا نلازمه من الصباح إلى المساء وعلى مدى سنين طويلة، ولكن مع ذلك لم يكن أحدٌ يتجرأ على أن يغتاب شخصاً ولو بالكناية أو يتعرض له بقولٍ سيء في حضور الإمام[٣].

لا يتجرأُ أحدٌ على الغيبة في محضره

كان الإمام يلتزم الصمت الكامل في اللقاءات المسائية التي كانت تعقد بأمره، فلا يتكلم إلا إذا اقتضت الضرورة أن يبين قضية معينة. وقد جاءني

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، صحيفة جمهوري إسلامي (١٣/ ٣/ ١٣٦٩ هـ.ش).
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد جلال الدين الآشتياني، مجلة (كيهان أنديشه)، العدد: ٢٤.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين المسعودي الخميني، من خطاب له في جبهات القتال إبان الحرب المفروضة.

أحد علماء النجف يوماً وقال لي بتعجب: ما أشد التزام هذا السيد الجليل بالصمت، أجل كان يلتزم الصمت ما لم يُوجه أحدٌ الحاضرين سؤالاً له.

ولم يكن أحد يتجرأ على الغيبة في حضوره، أو على التحدث عن أشخاص غائبين بشيء. كان الإمام يجلس في هذه اللقاءات مدة نصف ساعة يتوجه بعدها لزيارة الحرم العلوي المطهر[١].

لا يتكلمُ إلا لضرورة

كان الإمام قليل الكلام جداً، لا يتكلمُ إلا لضرورة، وإنني لم أسمع منه ولا كذبة واحدة أو كلمة غيبة أو بهتان طوال مدة معاشرتي له التي بدأت في قم سنة ١٣٢٨ [هـ.ش، ١٩٤٩م]، حيث كنت أحضر دروسه في الفقه والأصول وعلى مدى قرابة سبع سنين[٢].

لا أرضى أن يغتابوا أحداً أو يتحدثوا ضد أحد

لم يسأل بعض السادة مراجع التقليد عن أحوال الإمام في أيام محاصرة البعثيين لمنزله رغم أنه كان من المتوقع أن يبادروا لتفقد أحواله أو الاتصال به ولو هاتفياً على الأقل: وقد أثر هذا الموقف سلبياً وبقوة على الأخوة ومؤيدي الإمام، الأمر الذي أوجد احتمالات أن يتعرضوا لأولئك المراجع ببعض الكلمات غير المناسبة المنبعثة من آذاهم الشديد، وتجنباً لذلك قال الإمام بشأن هؤلاء الأخوة من أصحابه: «قد يصيب الانفعال والأذى الأخوة، فقولوا لهم عني أنني لا أرضى بأن يغتابوا أحداً أو يتحدثوا ضد أحدٍ في «براني» بيتي»[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي القرهي، مجلة (إطلاعات هفتكي)، العدد: ٢٤٤٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٦.

(٣) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي، المصدر السابق، ج ٢.

لم أسمع منه كلاماً فيه شبهة الغيبة!

كنت مع أستاذي الجليل القائد المعظم للثورة مدة ثلاثين سنة، وأقسم بروحه العزيزة أنني لم أسمع طوالها أي كلام منه فيه شبهة أن يكون غيبة فضلاً عن الغيبة نفسها، ولن أنسى أنه جاء يوماً إلى مسجد السلماسي في وقتِ إلقائِهِ درسه اليومي، لكنه كان يلتقط أنفاسه بصعوبة، قال: «والله لم تداخلني الخشية أبداً مثلما داخلتني اليوم»!! ثم أضاف: «لم أئتِ اليوم لإلقاءه الدرس، بل جئتِ من أجل أن أتكلم ببضعِ كلمات»!!

كنتُ إلى ذلك اليوم قد شاركت في درسه حدود (١٠ ـ ١٥) سنة لم أسمع منه أبداً كلمةَ تعنيفٍ واحدة يخاطب بها تلاميذه، أما في ذلك اليوم فقد قال: «إن لم يكن لديك علمٌ ولا عقل ولا دين فلا تفقد على الأقل إنسانيتك»!! ثم عاد إلى منزله وعاودته حمى مالطة ورقد في فراش المرض ثلاثة أيام!

أما سبب كل ما أصابه من أذى يومذاك فهو أنه كان قد سمع أن أحد طلبته قد اغتاب أحد المراجع!! لقد أصابه كل هذا الأذى حتى أصبح يلتقط أنفاسَهُ بصعوبة رغم أنه لم يقع هو في الغيبة بل ارتكبها أحد الطلبة[1]!!

لماذا لا نراقب ما تتفوه به ألسنتنا؟!

كان الإمام يلقي درسه في علم الأصول في مسجد السلماسي عصر كل يوم، وفي أحد الأيام أخبروه أن أحد المتخصصين قد وجه إهانة للملا صدرا في مجلس الدرس، فغضب الإمام وقال ـ في مقام الوعظ

(١) آية الله السيد المظاهري، المصدر السابق، ج ٥.

والنهي عن التجرأ على زعماء الدين ـ: «الملا صدرا وما أدراك ما الملا صدرا، لقد حلّ المعضلات الفلسفية التي عجز أبو علي ابن سينا عن حلها، فلماذا لا نراقب ما تتفوه به ألسنتنا»[١].

لا بأس بالمصارعة لطلبة الحوزة ولكن ليتورعوا عن الغيبة!!

كان الإمام يوصينا ـ نحن طلبة الحوزة ـ قائلاً: «إذا أفرط الشباب مُنذ البداية في العمل بالمستحبات أضرَّ ذلك بقيامهم بالفرائض، وقد أعرض الذين كانوا يفرطون في التقدس في البداية عن الاستمرار في المسلك الحوزوي، إن الإفراط في ذلك بالنسبة لأبناء الخمسة عشر أو الستة عشر عاماً يسبب لهم التعب والملل، من الضروري لهم أن يروحوا عن أنفسهم بالأمور المباحة شرعاً والمهم هو أن لا يرتكبوا المعاصي».

كان المرحوم آية الله الشهيد السعيدي حاضراً في المجلس فقال ـ رحمه الله ـ وهو جالس في آخر المجلس: هل يمكن لطلبة الحوزة أن يمارسوا المصارعة يا سيدي؟ أجاب: «نعم، يمكنهم أن يمارسوا المصارعة أيضاً ولكن يجب أن يتورعوا عن الغيبة»[٢]!

ترك المجلس لاحتمال أن ترتكب فيه غيبة!

جاء يوماً سيدٌ وجيه حسن الخلق إلى براني بيت الإمام وجلس انتظاراً للقائِهِ إذْ كان من برنامجه اليومي الجلوس في براني منزلِهِ مدة نصف ساعة قبل أن يتوجه إلى الحرم الشريف بزيارةِ أمير المؤمنين عليه السلام؛ فكان بإمكان أي شخص أن يلتقيه في هذه المدة ويحدثه بما شاء. وفي ذلك اليوم بدأ السيد المشار إليه بنقل حادثة للإمام وأثناء حديثه قال كلمة يُشم منها نية التعريض بأحد الأشخاص، وإثر ذلك

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، المصدر نفسه، ج ٢.

(٢) آية الله الشهيد المحلاتي، مجلة (أميد إنقلاب)، العدد: ٦٤٢.

مباشرة أشار الإمام بعينه لي بإشارة عرفت منها ما يريد، فهيأتُ حذاءَهُ لكي يترك المجلس ويتوجه للحرم العلوي، وقد قال لذلك السيد: «لا أرضى بالتعرضِ لأحدٍ بكلمة في هذا المكان».

سيطر الأذى على السيد المذكور ـ الذي لم يكن قد تحدث بعد ضد أحد ـ كما سيطر الأذى على باقي الطلبة الحاضرين في المجلس بسبب مغادرة الإمام قبل إنتهاء المدة المعتادة لجلوسه، فقد خرج قبل الساعة التاسعة بعشرين دقيقة، وكان المعتاد أن يخرج كل ليلة في الساعة التاسعة إلى الحرم، وقد تعجب الكسبة الذين يمر الإمام على دكاكينهم في طريقه إلى الحرم من مروره عليهم قبل عشرين دقيقة من الوقت الذي إعتادوا رؤيته فيه وهو يتوجه إلى الحرم. لقد ترك المجلس بمجرد أنه شعر أن من المحتمل أن تُرتكب فيه غيبة لأحد[١]!

كان يوصينا دائماً باجتناب التحدث عن الآخرين

كان الإمام يوصينا دائماً أيام إقامته في النجف بأن: «لا تتحدثوا عن الآخرين»، وكان يقول: «واللّهِ إني لست راضياً أن يجلس أحدٌ على بساط براني منزلي أو بساط منزلي ويغتاب أحداً أو يهينه بأبسطِ أشكال الغيبة أو الإهانة».

ولذلك كنا نحرص على اجتناب ذلك، وحتى لو جاء أحد الوجهاء إلى براني الإمام وأراد أن يتعرض لأحد بكلمةٍ فقد كنا نقطع كلامه فوراً قائلين: إن سماحة السيد لا يرضى بأن يتحدث أحد في براني منزلِهِ بمثل هذه الأحاديث»[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

لم يأذن لي بأن اذكر الاسم

بعد عامين من وصول الإمام إلى النجف، جاء أحد مقلديه من اصفهان وهو يحمل معه مقداراً من الخمس لكنه لم يقدمه للإمام ـ لبعض الأسباب ـ بل ذهب إلى أحد السادة العلماء المعروفين في النجف، فأخذ هذا العالم إضافةً إلى سهم الإمامعليه السلام سهم السادة أيضاً من الخمس الذي جاء به هذا المؤمن وقال: أريدُ أن أصرفه لبناء مدرسة دينية.

وكان هذا المؤمن يعرفني فأخبرني ما جرى له مع ذلك العالم، ولذلك ذهبت للإمام لكي أحصل منه على الأذن الشرعي لمقلده هذا، وقلت للإمام: «لو أذنتَ لي أخبرتكم باسم هذا السيد الذي أخذ الأموال من هذا المؤمن». لكنه لم يأذن لي بذكر اسمِهْ!!

لقد كان شديد المراقبة وإلى هذه الدرجة لكي لا يُذكر اسم أحدٌ في مجلسه بغيبةٍ سواء في مجالسه العامة أو الخاصة، ولذلك قال مراراً: «لست راضياً بأن يُغتاب أحدٌ في براني بيتي»[١].

لم يغتب ولم يكذب

لقد عشت مع هذا الرجل ستين عاماً دون أن أراه يغتاب أحداً أو يكذب ولا مرةً واحدة[٢].

هذه غيبة

قالت زوجة الإمام المحترمة: عشت مع الإمام (٦٢) عاماً دون أن أسمع منه ولا كلمةً غيبة واحدة.

---

(١) آية الله السيد عباس خاتم اليزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٢.
(٢) السيدة خديجة الثقفي (زوجة الإمام)، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات).

وهذه الحالة هي أشبه بالمعجزة حقاً. لقد نقلت هذه السيدة الحادثة التالية: كانت لنا خادمة لا تعمل جيداً ولذلك استبدلناها بأفضل منها، وبعد عدة أيام قلت للإمام: هذه الخادمة جيدة في عملها، فقال: «إن كنتِ تريدين بهذه الكلمة أن تقولي لي أن الخادمة السابقة لم تكن جيدة فهذه غيبة لستُ مستعداً لسماعها»[1].

لا تغتابي

روت السيدة [زوجة الإمام] قائلة: جلس الإمام ليلةً بعد الصلاة فجاءت لنا السيدة فاطمة الخادمة بالشاي، وكانت الخادمة الأخرى مشغولة بجمع بعض الأشياء في زاوية من الغرفة، فقلتُ للإمام: إن السيدة فاطمة خادمة جيدة للغاية فقال: «لا تغتابي»! قلت: إنني لم أغتبها بل قلت إنها جيدة؟! قال: «إن قولك: إن هذه جيدة، الذي تسمعه تلك [الخادمة الأخرى] يوحي بأنك تريدين أن تقولي أن الأخرى غير جيدة، وهذه غيبة»[2]!!

يغضب لأبسط معصية

لم يكن الإمام يسعى كثيراً لتوجيه النصائح لنا مُنذ أن كنا أطفالاً، أي أننا كنا نفهم من خلال عمله العمل الحسن ونميزه عن العمل القبيح، بمعنى أنه كان يعلمنا بعمله. وفي الوقتِ نفسه كان جاداً للغاية وحساساً تجاه المعاصي، فكان يغضب لإرتكابِ أبسط معصية مثل غضبته ضد النظام البهلوي وقد سمعتم ـ معظمكم ـ كيف كانت!!

كنا يوماً جالسين في الغرفة وكانت عندنا إحدى أرحامنا فقالت لي

(١) آية الله الفاضل اللنكراني.

(٢) السيد علي الثقفي، مجلة (بيك إرشاد) الشهرية، عدد الشهر الرابع سنة ١٣٦٨ هـ.ش.

بصوت منخفضٍ: إن فلاناً لم يحترمني عندما دخلتُ. . . فرأيتُ ملامح الأذى الشديد تظهر فجأة على الإمام وقد التفت لهذه السيدة وقال: «ألا تعلمين أن الله موجودٌ هنا أيضاً؟! لقد صارت الأجواء هنا محرمة فالجلوس هنا حرام»!

لقد تغيّر حال الإمام إلى درجة قلقت بسببها عليه. قالت تلك السيدة: إنني لم أقل أكثر من أنهم لم يحترموني. فقال الإمام «أنتم لا تعلمون، أجل لا تعلمون وتنسون لكن الله لا ينسى، هذه غيبة، هذه غيبة»!

أجل، الإمام يتأذى ويغضب بشدة لفعل الحرام مثلما هو جادٌ للغاية في القيام بالواجبات متشددٌ بشأنها، لكنه لا يتشدد كثيراً تجاه المستحبات، فلا يسأل مثلاً: لماذا قمتم بها، أو لماذا لا تقومون بها، وبالتالي فهو لم يكن من أهل توجيه النصائح للآخرين إلا في بعض الموارد، وبالخصوص فيما يرتبط بالغيبة، وكنت حاضرةٌ بنفسي عندما جمع أهل بيته كافة وقال لهم: «أرغبُ في أن أقولُ لكم شيئاً»، كأنه كان ينتظر من أجل هذا القول فرصةً نجتمع فيها جميعاً. قال لنا: «أريد أن أقول لكم: تعرفون شدة حرمة الغيبة؟» قلنا: نعم، قال: «هل تعلمون كم هو عظيم أثمُ قتل النفس المحترمة عمداً؟»، قلنا: نعم، قال: «إثم الغيبة أعظم»! ثم قال: «هل تعلمون عظِمَ ذنب الزنا وما ينافي العفة؟»، قلنا: نعم، قال: «ذنب الغيبة أعظم»!

ثم أخذ يعدد الذنوب بهذه الصورة ثم قال: «الغيبة مثل لوك لحم الأخ الميت، فاجتهدوا في الورع عن الغيبة». ثم تابع موعظته في تبيان فظاعة الغيبة وشدة إثمها. وبصورةٍ عامة كان يؤكد كثيراً على لزوم اجتناب الغيبة(١).

(١) السيدة زهراء المصطفوي، صحيفة إطلاعات (١٧/ ٣/ ١٣٦٧ هـ.ش).

ينهى عن غيبة السجين!

نتحدث أحياناً بأمور دون أن ندرك أنها من مصاديق الغيبة المحرمة، فمثلاً ارتكب أحد الأشخاص الذين كانوا يعملون في بيت الإمام جرماً أعتقل بسببه وألقي في السجن، وقد سمعتُ بخبره، وهممت يوماً أن أخبر أختي بذلك بعد أن سألتني عنه، فقطع الإمام كلامي قائلاً: «هذه غيبة»، قلتُ: ولكن عمله كان علنياً وهو الأن في السجن، فقال: «كلا، لقد ارتكب عملاً، وكان واجبهم أن يسجنوه، ولكن لا ينبغي لكم أن تفضحوه في مكان آخر»!

كان الإمام يعتبر بعض الأمور من مصاديق الغيبة في حين أننا لا نراها غيبة أصلاً[١]!

كان يتأذى كثيراً

لا أتذكر أن أحداً قد تجرأ على الغيبة ـ ولو مزاحاً ـ في المنزل بحضور الإمام، لأنه كان يتأذى كثيراً من ذلك[٢].

يمنع عياله عن المعاصي

مُنذ عهد الطفولة لم يكن يسمع لنا في المنزل بارتكاب أي معصية ومنها: الغيبة، الكذب، إهانة الأكبر، وإهانة المسلمين[٣].

ويوصيهم بمراقبة أفعالهم

كان الإمام يوصينا دائماً بأن نراقبَ سلوكنا لكي لا نقع في المعاصي خاصةً في الغيبة، وكان يؤكد على النساء أن يتحدثن ـ إذا اجتمعن ـ عن شؤونهن لا عن شؤون الآخرين[٤].

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي.

(٢) السيدة فريدة المصطفوي، صحيفة إطلاعات (١١/١٢/١٣٦٠ هـ.ش).

(٣) السيدة فريدة المصطفوي، صحيفة إطلاعات (١١/١٢/١٣٦٠ هـ.ش).

(٤) السيدة عاطفة الإشراقي (حفيدة الإمام)، مجلة (زن روز)، العدد: ١٢٦٨.

إجتنبوا الكبائر

كان الإمام يوصينا كثيراً باجتناب كبائر الذنوب والورع عن الغيبة بالخصوص، وكان يقولُ لنا بهذا الشأن: «إجتنبوا كبائر الذنوب لكي يغفر الله لكم صغائرها»[١].

يوصي باجتناب ما يؤدي إلى الغيبة

لم ألاحظ السيد [الإمام] أبداً يتوقع مني القيام بعملٍ ما، وما كان يطلبه منا هو الورع عن المعاصي لا غير. كنا نجلس أحياناً نتحدث عن أحد الضيوف أو إحدى القضايا فكان يقول لنا: «لا تتحدثوا عن شؤون الآخرين». فنقول: نحن لا نتحدث ضد أحد يا سيدي، بل ننقل قضية معينة، فيجيبنا: «عندما يجري الحديث عن شؤون الآخرين قد ينمي من حيث لا يشعر المتحدثون إلى الوقوع في الغيبة! أليس لديكم أحاديث عن شؤونكم أنتم؟! تحدثوا فيما يرتبط بشؤونكم، لماذا تتحدثون عن الآخرين؟!»[٢]

لا تغتابوا

كنا يوماً عند الإمام فهممنا أن نسأله سؤالاً يرتبط بالسيد الشريعتمداري، لكنه لم يسمح لنا بالحديث وقال: «لا تغتابوا»[٣]!!

حسن العشرة للغاية إذا لم تقع غيبة

كان الإمام حسن العشرة للغاية، فكان خير مجلس للمقربين منه هو المجلس الذي يحضره، كان بإمكان الإنسان أن يتحدثَ في حضوره دون

---

(١) السيدة زهراء الإشراقي (حفيدة الإمام)، مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.
(٢) السيدة فرشته الأعرابي (حفيدة الإمام)، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات)، ص ١٣٤.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي (حفيد الإمام).

تكلف، كنا ننقل في محضره حتى النكت الطريفة ولكن شريطة أن لا تشتمل على الغيبة والتعريض بأحد، أما إذا صدرت أثناء الكلام غيبة لأحد أو استهزاء به فقد كان يغضب بشدة[١].

يشدد الوصية بالورع عن الغيبة والسخرية بالآخرين

أوصى الإمام قبل يوم من نقله إلى المستشفى مجدداً بالورع عن الغيبة، ولم يقل: لا تغتابوا، فهذا ما يجب أن نجتنبه بل قال: «اجتهدوا في اجتناب المجالس التي تُرتكب فيها الغيبة».

كان يؤكد كثيراً على الورع عن الغيبة والسخرية بالآخرين[٢].

يجتنب الغيبة ويلتزم بنافلة الليل

سمعتُ من صديقٍ قديم: كان الإمام يتميزُ عن أصدقائِهِ بخصلتين: الأولى أنه لم يكن يحضر مجالس تقع فيها الغيبة بل وكان ينهى عنها بشدة، أما الخصلة الثانية فهي إلتزامه الثابت بإقامة نافلة الليل[٣].

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة السيد أحمد الخميني).

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة السيد أحمد الخميني)، ملحق صحيفة إطلاعات (١٤/٣/١٣٦٩ هـ.ش).

(٣) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٣.

الفصل الرابع عشر:

عدالته ومساواته الشمولية

يقسم بالسوية

على الرغم من إحاطته الواسعة والفائقة بالفلسفة والعلوم العقلية رجح الإمام البدء بتدريس الفقه بعد وصوله إلى النجف الأشرف، وذلك إستجابة لإلحاح الأصدقاء والمحبين. وكان قد اجتنب إلقاء الدروس ودفع رواتب لطلبة الحوزة وكذلك اجتنب كل الأمور التي تلجأ إليها الشخصيات البارزة في الحوزة، بهدف إيجاد منزلة خاصة لهم في الحوزة، كان الإمام يجتنب كل ذلك دفعاً للحساسيات التي توجدها في حوزة النجف، كان يتعامل كضيفٍ يقيم بصورةٍ مؤقتةٍ، أو كزائر حالفه توفيق زيارة العتبات المقدسة.

ولكن كثرة المراجعات له التي كانت تزداد باستمرار، وتجمع مقدار كبير من الحقوق الشرعية التي كانت تقدم له، جعلته يرى أن من المناسب أن يقوم بدفع رواتب الحوزويين، فخرق ـ وللمرة الأولى في تاريخ الحوزة في النجف ـ التمييز الذي كان حاكماً في توزيع الرواتب عليهم، إذْ كان المألوف في هذه الحوزة تقديم الطلبة الإيرانيين ولعل الطلبة العراقيين أيضاً واعتبارهم من الطبقة الأولى من الحوزيين فيما كان الطلبة غير الإيرانيين وغير العرب مثل الطلبة الباكستانيين

والهنودوالأفغانيين يعدون من الطبقة الثانية فتدفع لهم رواتب أقل[1]!!

فتح أبواب المساواة في العطاء

في أول شهر رمضان مرَّ على الإمام بعد إقامته في النجف الأشرف، قام بتوزيع مقدار من الحقوق الشرعية كمساعدة لعلماء الحوزة العلمية في النجف وطلبتها، وتم تقسيمها بالسوية بينهم دون تمييز بين الإيرانيين والأفغانيين والهنود والباكستانيين والعرب وغيرهم، فأعطى للمتزوج منهم دينارين وللأعزب ديناراً واحداً، وكان لذلك صدىً واسعٌ في الحوزة أثار الاستغراب لأنها المرة الأولى التي لا يميز فيها مرجعٌ للتقليد في النجف في تقسيم الحقوق الشرعية بين العلماء الإيرانيين وبين العلماء غير الإيرانيين فقسمها بينهم بالسوية.

وكان من آثار إجراء الإمام هذا هو أنه شجع الطلبة المحرومين من غير الإيرانيين وبخاصة من الأفغانيين والباكستانيين الذين عُرِّضوا للإهانة سنين طويلة بسبب هويتهم الإفغانية والباكستانية دون أن يكون لهم ذنبٌ غير ذلك! فكان يستلمون نصف رواتب نظائرهم من الطلبة الإيرانيين، ولذلك فقد شجعهم تقسيم الإمام بالسوية على الإعتراض والمطالبة بحقوقهم وبالمساواة وإنهاء حالة التميز العرقي في حوزة النجف.

وعندما أخذ الإمام بدفع رواتب الحوزويين بصورةٍ مستمرة ـ بعد أن كان يقسم بينهم مساعدات بين الحين والآخر ـ التزم بمبدأ المساواة هذا في دفع هذه الرواتب كل شهر، فاضطر باقي العلماء إلى إنهاء تلك الحالة المنحرفة وغير الإسلامية التي كانت تحكم نظام دفع الرواتب في حوزة النجف لسنين طويلة، وأخذوا يدفعون الرواتب لجميع طلبة الحوزة بالسوية[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الدعائي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)، ج ٢.

أنهى التمييز في العطاء

كان التمييز القومي حاكماً على نظام دفع الرواتب في الحوزة قبل الإمام. فكان السيد الحكيم يدفع للطالب الأفغاني ديناراً ونصف الدينار، وللطالب الإيراني ثلاثة دنانير، أما الإمام فقد عمل بمبدأ التقسيم بالسوية للأموال بعد مجيئه للنجف الأشرف، فلم يكن يميز بين الطالب التركي عن الفارسي أو العربي أو الإيراني أو الأفغاني، لقد قال للمرحوم الشيخ الخلخالي: «امتحنوا الطلبة، ثم أعطوهم بالسوية دون تمييز لأحدٍ على آخر». وعندما رأى المراجع الآخرون في النجف مثل السيد الحكيم والسيد الخوئي طريقة الإمام هذه غيّروا هم أيضاً طريقتهم السابقة في التوزيع[1].

ألغى نظام العطاء الذي ساد طويلاً

بعد مدة من إقامة الإمام في النجف بدأ بدفع رواتب لطلبة الحوزة إثر إلحاح الأخوة عليه بهذا الشأن، وقد اتصل بي هاتفياً المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي وكان صرافاً ويقوم بتوزيع رواتب السادة البروجردي والخوئي على طلبةِ الحوزة، وكان إتصاله قبيل المرة الأولى التي وزع فيها رواتب السيد الإمام على الطلبة، وقد قال لي يومها: إن الطريقة التي توزع على أساسها رواتب السيد البروجردي ـ وأحياناً رواتب السيد الخوانساري ـ هي أننا نعطي الطالب الإيراني ثلاثة دنانير ونعطي غيره من الطلبة الهنود والأفغانيين والباكستانيين ديناراً ونصف الدينار أو دينارين، فأسألوا الإمام عن طريقته هو في توزيع الرواتب.

فدخلت على الإمام ونقلت له قول الشيخ الخلخالي فقال: «وما الفرق بين الطالب الهندي والطالب الإيراني، أعطوا الجميع ثلاثة دنانير

---

(١) آية الله محمد اليزدي.

لكل منهم دون تمييز» وبذلك ألغى الإمام النظام الذي كان حاكماً على حوزة النجف طوال ألف عام[١].

بيّنَ طريقة الاستفادة من بيت المال

عندما كان الإمام في النجف الأشرف، سافرت إلى سامراء لزيارة الإمامين علي النقي والحسن العسكري عليهما السلام، ونويت الإقامة فيها عشرة أيام قضيتها مع طلبة مدرسة المرحوم آية الله الميرزا الشيرازي فوجدتهم يعتبون على جميع السادة العلماء والمراجع يومذاك ويقولون: «إن الرواتب والمؤن التي يقدمها لنا آية الله الحكيم والأمام قليلة سرعان ما تنفذ، ونحن هنا في ديار غربة نختلف عقائدياً عن أهل سامراء، ولذلك إذا نفذ ما عندنا لم يكن بمقدورنا أن نشتري شيئاً بالدين منهم ولا أن نقترض منهم. إن السادة بالنجف وقم أكثر من سامراء».

وجدت أن حلّ هذه المشكلة هي خدمةٌ لهؤلاء الطلبة خاصة وهم يحمون في الواقع الحرم المطهر للإمامين الهمامين عليهما السلام والذي يقع في ديار غربة. ولذلك ذهبت إلى الإمام في النجف وعرضت عليه الأمر وقلت: إن هؤلاء الطلبة قد اختاروا سامراء رغم وجود الحوزة العلمية في النجف، ورغم أنهم ليسوا مجدّين في الدراسة بالكامل لكنهم لا يسمحون بأن يخلو حرم العسكريين من الزوار والطلبة ويصبح محلاً للعب الأطفال: ثم قلت لسماحته بعد أن نقلت له القضية دون زيادة أو نقصان: إذا منحتم هؤلاء الطلبة امتيازاً وزدتم في مقدار رواتبهم الشهرية نصف دينار لكل طالب فإن ذلك سيشجعهم على البقاء هناك.

كان الإمام يساوي في الراتب بين طلبة حوزة النجف وحوزة سامراء فيعطي لكل طالب ثلاثة دنانير شهرياً دون تمييز، وقد قال بعد أن أصغى

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

لكلامي: «إن التسوية في الراتب بين طلبة النجف وطلبة سامراء هو امتياز بحدة ذاته»! أي أن المساواة في الراتب بين الطالب الذي يبذل جهوداً مضنية في الدراسة في النجف وبين الطالب الذي يبذل جهوداً أقل في سامراء هي بحد ذاتها امتياز لطلبة سامراء، وبذلك كان يشجع الطلبة المجدين والفضلاء ويكرم العلم ويبين للآخرين طريقة الإستفادة من بيت المال[١].

لم يكن يعطي أية امتيازات لأحدٍ

كان الإمام يوزع ما يصله من الأموال الشرعية بين الحوزويين بالسوية دون تمييزٍ لأحدٍ على آخر. وقد قال أحد وجهاء حوزة النجف أن هذه الحوزة لم ترَ مثلَ الإمام من قبل، فهو لم يكن يعطي أية امتيازات لأحد في حين أن بعض المراجع كانوا يعطون امتيازات لبعض الأشخاص تكتسب أحياناً أبعاداً غريبة[٢].

لا يميز حتى عائلته عن الآخرين

أقام الإمام الصلاة عند الحدود الكويتية التي وصلها عندما أراد الإنتقال من العراق إلى الكويت، أجهش جميع الذين رافقوه لتوديعه، فقد كان من الصعب أن يتصوروا أن يبقوا في العراق بدون الإمام.

وكان الإمام قد قال: «قد وضعت مبلغاً من المال في منديل في المنزل وهي مخصصة لمصارف حياتي الشخصية»، ثم كتب وصيته وجعل أربعة أشخاص أوصياء له في تنفيذها كنت أنا أحدهم، وقد كتب في وصيته هذه: «تعاملوا مع زوجتي بعد وفاتي تعاملكم مع أحد الطلبة،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين عبد المجيد الإيرواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٢) آية الله خاتم اليزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٢.

فادفعوا لها من سهم الإمام بمقدار ما تحتاجه المتطلبات المعيشية لأحد طلبة الحوزة».

وقد كتب الإمام هذه الوصية قبل أن يتخذ قرارَهُ بمغادرة العراق، فقد كتبها أيام محاصرة البعثيين لمنزله وبدأ جلاوزة حكمهم الإلحادي بشن حملات الإعتقال، وعندها أحس الإمام بالخطر وكتب الوصية ووضعها في ظرفٍ أغلقه وسلمه لي، وأمرني بفتحه عند مغادرته العراق(١).

لا يعطي ولده أكثر من سائره طلبة الحوزة

كانت مقادير ضخمة من الأموال تصل الإمام وتوضع تحت تصرفه، لكن ذلك لم يؤدِّ إلى أبسط مظاهر التغير في مستوى معيشته هو أو ولده سماحة السيد مصطفى. وقد سافرت عدة مرات إلى العراق للتشرف بزيارة العتبات المقدسة، ولأنني كنت أتبادل أيام إقامتي في النجف الزيارات بكثرة مع السيد مصطفى، لذلك كان يدعوني بين الحين والآخر لتناول طعام الظهيرة أو العشاء في منزله، فسألته يوماً عن أمرٍ سمعته عنه، قلتُ له: سمعت أنكم تستلمون رواتب من المراجع الآخرين، فما الضرورة لذلك؟ هل أنتم بحاجة لذلك؟ ابتسم السيد مصطفى وقال: إن أبي لا يعطيني سوى ما يكفي فقط للطعام ودفع ثمن إجارة البيت وبالمقدار المتوسط، لكنني بحاجةٍ أيضاً لشراء الكتب ولذلك فأنا مضطر لتوفير ما أشتري به الكتاب، لذلك فأنا مضطر لاستلام رواتب باقي المراجع(٢).

ولم يكن يعطيه ما يزيد على مصاريفه المعيشية

كان على المرحوم السيد مصطفى أن يأتي للإمام كل اسبوع ويستلم

(١) المصدر السابق.
(٢) آية الله الفاضل اللنكراني.

مصروفه الأسبوعي منه! ولم يكن الإمام يعطيه أبداً ما يزيد على مصاريفه المعيشية، لذلك عندما عزم على أداء فريضة الحج وفر تكاليف السفر من ثمن بيته في قم الذي باعه من أجل ذلك وأضاف إليه مقداراً من المال أعطته له زوجته[1]!!

الاقتداء بأمير المؤمنين (ع)

رأيتُ المرحوم السيد مصطفى مرةً في أحد أيام الخريف وقد ارتدى عباءةً بالية من النوع الرشتي، فقلت له ممازحاً: هل اشتريتَ هذه العبادة من باعة الملابس البالية؟! قال: بل هي عباءة أحد أصدقائي الرشتيين (وكان جاراً له) استعرتها منه إذ رأيت الجو بارداً اليوم وليست لديّ عباءة شتوية. ثم قال لي: يا فلان! ألا ينبغي لنا أن نجتمع كافة من أجل أن نضيع أميراً ثانياً للمؤمنين؟![2]

لا أقدر أن أدفع لك راتب الحوزة

كان الإمام يتشدد على نفسه كثيراً فيما يرتبط بالاستفادة من بيت المال، لقد قالَ لسماحة السيد أحمد قبل أن يتعمم: «لا أقدر على أن أدفع لك راتب الحوزة قبل أن تتعمم». ولذلك كانت والدة السيد أحمد هي التي تعطيه مصروفه الشخصي من أمواله الشخصية قبل تعممه سواء عندما كان في إيران أو في النجف، وعندما تعمم بدأ الإمام يعطيه راتباً شهرياً بمقدار ما يعطيه لسائر طلبة الحوزة دون تمييز، وهكذا كان يتعامل مع ولده الآخر السيد مصطفى فلم يكن يميزه عن الآخرين[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ٢.
(٢) آية الله المحمدي الجيلاني.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

خصصنا لولدكم راتباً شهرياً

كان لي ولدٌ اسمه الشيخ محمد حسن وقد تعمم وعمره (١٣) عاماً، وفي اليوم التالي لارتدائِهِ الزي الحوزوي جاء مقسم رواتب الإمام لطلبة الحوزة وقال لي: يقول الإمام: «خصصنا لولدكم راتباً شهرياً بدءً من هذا الشهر لأنه قد تعمم»[١].

لا يميز أولاده عن سائر طلبة الحوزة

كان الإمام يتعامل مع ولده كسائر طلبة الحوزة فيما يرتبط بقضايا الحوزات العلمية الدينية العامة، أي أنه كان يعطيه راتباً مساوياً لما يعطيه لأي طالب في الحوزة، وكان يسعى لتحسين أوضاع ولده المعيشية مثلما يسعى لتحسين الأوضاع المعيشية لسائر طلبة الحوزة دون تمييز، فقد كان يراه كأحدهم[٢].

لا فرق بينكن وبين العاملة

كان الإمام يقول لنا مكرراً: «لا يوجد أدنى فرقٍ بينكن وبين العاملة التي تخدم في المنزل»[٣].

لا يميز أرحامه عن غيرهم

لم يكن الإمام يميز أرحامه عن غيرهم، فإذا كانت لأحد أرحامه حاجة وكانت لأحد الغرباء حاجة مماثلة كان يساوي بينهما في ذلك؛ فمثلاً إذا احتاج قريبه الفلاني إلى (٥٠) ألف تومان لتكاليف الزواج،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الأراكي.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الدعائي، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ١٨.
(٣) السيدة فريدة المصطفوي (ابنة الإمام)، مجلة (زن روز)، العدد: ٩٦٦.

واحتاج غريبٌ للمبلغ نفسه، ساعدهما السيد بالسوية إن استطاع، وإن لم يستطع لم يقدم لأي منهما شيئاً[1].

لم يستجب لطلبه فأثنى عليه!

عندما عزمتُ على السفر إلى باريس لزيارة ـ الإمام أيام إقامته فيها؛ أعطاني أحد أرحامه الذي تربطه بنا رابطة نسبية رسالة وأخبرني أنه محتاج للمال، قلت له: أمثال هذه الإحتياجات كثيرة ولا أظن أن الإمام يوافق على تلبية احتياجك وحدك، فالمحتاجون كثيرون، وإذا استطاع الإمام فإن عليه أن يقدم المعونات للجميع، لا أظن أنه سيستجيب لو ذكرت اسمك على نحو التمييز، إنني مطمئنٌ أنه لن يقبل مني أنا على الأقل. فقال: ليس لدي من ألجأ إليه غيره، إنت ذاهب الآن إلى باريس فأعرض الأمر على سماحته.

ثم سافرت إلى باريس ولما تشرفتُ بالدخول عليه، أخرجت الرسالة وأخبرته بمضمونها وقلت لسماحته: إن أذنتم لي قرأتها لكم. فقال: «لا أقدر على مساعدته، فأمثاله كثيرون، فأما أن أقدم العون لهم جميعاً وإما أن امتنع عن تقديم العون لأحد، فليس من الصلاح أن أخصه وحده بالعون، لا يمكنني أن أفعل ذلك».

قلتُ: هل تجيزوني أن أعطيه شيئاً من الأموال المتعلقة بكم والتي يسلمها لي مقلدوكم لكي أوصلها لكم، أعطيها له كقرض يسدده عند القدرة والاستطاعة (ولا يخفى أن لسهم الإمام موارد خاصة للصرف لا يمكن إعطاؤه لأي شخص، بدون إذن مرجع التقليد فهو الذي يجب أن يحدد موارد التصرف به). وقلت لسماحته أيضاً: وحتى إذا لم يستطع

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي (شقيق زوجة الإمام)، كتال (خطوات في أثر الشمس)، ج ١، ص ١٤٨.

تسديد هذا القرض، فإن الكثيرين قد حصلوا من سماحتكم على منافع كثيرة!!

التزم الإمام الصمت فترة وهو يتأمل ثم رفع رأسه وقال: «لم يعطني أحدٌ مثل هذه الإجازة»!

وعندما رجعت إلى إيران، أخبرتُ ذلك السيد بما جرى وأنا أتصور أن موقف الإمام سيؤذيه، لكنه ارتاح لهذا الموقف وقال: بارك الله فيه، كم هو فريدٌ هذا الرجل؟! صدق فيما قال، يوجد كثيرون لديهم مثل مشكلتي فمِن أين يأتي بما يعينهم جميعاً به؟![1]

عدله في تعامله مع أولاده

كان الإمام ينظر لجميع أولاده بعين المساواة، ويحبهم بالسوية وبطريقةٍ لم نعرف إلى اليوم وبعد كل هذه السنين مَن منهم يحبه الإمام أكثر من البقية[2]؟!

المساواة في مقدار المشاركة في التشييع!

يقولُ الشيخ جمال ـ وهو رجل مسن متدين وصادق كان له دكان لبيع الأدوات الكهربائية بالقرب من منزل الإمام في شارع الرسولﷺ [في النجف]: شاهدتُ الإمام مراراً وهو يشارك في تشييع بعض العلماء الكبار فكان يسير مع الجنازة إلى صحن حرم أمير المؤمنينعليه السلام ولا يدخل الحرم معهم بل يعودُ من هناك إلى منزله. وقد دققتُ في ذلك في يوم وفاة ولده السيد مصطفى، فتعجبتُ بالكامل عندما رأيته في ذلك اليوم يلتزم بسيرته المعهود في مثل هذه

(١) حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، المصدر السابق، ص ١٤٩.
(٢) السيدة فريدة المصطفوي، صحيفة إطلاعات (١١/١٢/١٣٦٠ هـ.ش).

المراسم، فقد سار مع المشيعين لجثمان ولده العزيز إلى صحن الحرم العلوي ثم رجع إلى المنزل ولم يدخل الحرم[1]!!

لم يميّز ولده حتى بعد وفاته

... ومن الذكريات المثيرة للإنتباه التي أحملها عن تلك الأيام، هي تلك التي ترتبط بطريقة مشاركة الإمام في مراسم تشييع جنازة ولده، كان عادة لا يشارك في مراسم الدفن وصلاة الميت إلا نادراً كأن يكون المتوفى من كبار العلماء أو من أصدقائِهِ وأصحابه. وكانت مشاركته على النحو التالي: يحضر إلى مكان وضع الجنازة قبل حملها وبدء تشييعها بحدود خمس دقائق، ثم يسير خلفها حدود (٢٠ ـ ٣٠) متراً، ثم ينسحب ويستقل سيارة أجرة عائداً إلى المنزل؛ وقد التزم، بذلك في يوم تشييع جثمان ولده أيضاً فلم يميزه بشيءٍ في هذا المجال أيضاً[2]!!

سار مع المشيعين بالمقدار نفسه

لم يكن الإمام يشارك عادة في صلاة الميت على العلماء عندما كان في قم، لكنه كان يشارك في تشييع الجنازة إلى حين وصولها إلى باب الحرم ثم يعود، لأنه لو دخل الحرم مع الجنازة فإن طلبة الحوزة كانوا سيلحون عليه أن يقيم عليها صلاة الميت وهذا ما لم يكن يريده، وبالطبع كان أحياناً يضطر للموافقةِ بسبب كثرة الإلحاح، ولكن لم يكن من عادته البقاء في مراسم التشييع إلى نهايتها، فحتى في مراسم تشييع جثمان المرحوم السيد الصدر والمرحوم السيد الخوانساري والمرحوم السيد الحجة والمرحوم السيد البروجردي، والمرحوم السيد فيض والمرحوم السيد كبير وكلهم من

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد: ٧.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي، صحيفة إطلاعات (١٣٥٨/٨/٣ هـ.ش).

كبار العلماء، سار الإمام مع المشيعين إلى باب صحن حرم السيدة المعصومة ـ سلام الله عليها ـ وعاد من هناك[١].

المساواة في قراءة الفاتحة للأموات

كان الإمام ـ بعد استشهاد المرحوم السيد مصطفى ـ يذهب كل يوم تقريباً إلى قبره ويقرأُ سورة الفاتحة على روحه واستمر ذلك إلى الليلة الأربعين، وبعد ذلك يذهب إلى قبره في ليالي الجمعة عندما يتشرف بزيارة الحرم العلوي، وكانت طريقته في ذلك عادية للغاية، فكان يقرأ الفاتحة لجميع الأموات ثم يقوم من عند القبر ويذهب وكانت هذه سيرته طوال مدة إقامته في النجف[٢].

المساواة بين شهداء أبناء المسؤولين وغيرهم

إثر استشهاد ابن أحد الوزراء طلبوا من الإمام أن يصدرَ بياناً بهذه المناسبة فقال: «تطلبون مني أن أصدرَ بياناً لمجرد أن والده وزير؟ فهل تتصورون أنه لم يستشهد سوى ابن هذا الوزير؟! إن جميع الشهداء ابنائي، فإذا أردت أن اصدر بياناً فيجب أن يكون لهم جميعاً لا أُفرّق بينهم»[٣].

يعامل تلامذته بالمساواة

كان الإمام يتعامل مع جميع تلامذته بعين المساواة، دون أن يميز الذين يبدون مودة أكبر له أو يحظون بسابقةٍ أطول معه عن غيرهم، بل ولم يكن يرجح تلامذته على غيرهم من طلبة الحوزة في تعامله معهم، إنني كنتُ على علاقة وثيقة به مُنذ أمدٍ طويل وأنا من قدماء تلامذته والداعين إليه، ورغم

---

(١) آية الله صادق الخلخالي.

(٢) آية الله صادق خاتم اليزدي.

(٣) السيد رحيم ميريان.

ذلك يعاملني بطريقةٍ عادية وطبيعية تماماً مثلما يتعامل مع بقيةِ طلبة الحوزة، وهذه في عقيدتي من محاسن أخلاقه، ولذلك لم أكن أنزعج من هذه الطريقة في تعامله معي بل كانت تزيدني حباً له[١].

يحذر من تمييز المنتسبين إلى بيته

كان مقر «خاتم الأنبياءﷺ» القيادي يدعو باستمرار أعضاء بيت الإمام للحضور في محافل جند الإسلام في الجبهات، فكان هؤلاء الأعزاء يستجيبون ويضفون بحضورهم وتقديمهم هدايا الإمام لجند الإسلام وإبلاغهم سلامه إليهم حالة خاصة من الحماس على الجبهات، وقد شارك اثنان من هؤلاء الأجلاء أيضاً في عمليات بدر هما الشهيدان حجة الإسلام والمسلمين الموسوي وحجة الإسلام والمسلمين السليمي، وقد تواجدا في جزر «مجنون» في منطقة عمليات بدر، وألقوا خطابات في جند الإسلام، وأبلغوهم تحياته وأهدوهم قطعاً نقدية مباركة من الإمام وحرضوهم على مواصلة العمليات؛ وقد حظى هذان العزيزان بشرف الشهادة وهما في طريق العودة في بداية جسر «سيد الشهداء» إثر قصف العدو البعثي للمنطقة؛ وتم نقل جسديهما إلى طهران، وعندما نقلوا للإمام خبر استشهادهما قال: «حذارِ من نقض قيم العدالة والمساواة في التبليغ عن شهادة هؤلاء الأعزاء في أجهزة الإعلام والإذاعة والتلفزيون بملاحظة انتسابهما إلى بيتي، انتبهوا إلى الأمر لكي لا يتمايز التبليغ بشأن هذين الشهيدين عن باقي الشهداء»[٢].

يجب التدقيق لكي لا يقع تمييز

اتصل سماحة السيد أحمد يوماً بمجلس الشورى هاتفياً وقال: يقول

---

(١) آية الله إبراهيم الأميني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ١٠٥.

(٢) السيد غلام علي الرجائي.

الإمام أنه تم التأكيد في كلمات النواب قبل مداولات المجلس بشأن جدول أعماله ـ على تضحيات القوة الجوية والطيارين أكثر من غيرهم، وسماحته وضمن ارتياحه ورضاه البالغ عن شجاعة وتضحيات الطيارين، ولكنه راضٍ بالدرجة نفسها تجاه جميع صنوف القوات المسلحة: البرية والبحرية والجوية وحرس الثورة وقوات الدرك، ولذلك فقد قال: «يجب التدقيق في الأمر لكي لا يقع تمايز في التعامل معهم»[1].

كان يتوقع أن تدينه المحكمة

ثمة قضيتان أتذكرهما الآن جيداً اتخذ الإمام بشأنهما موقفاً حازماً للغاية، الأولى قضية عمليات «المرصاد» التي تدخل فيها بحزم، والثانية قضية شخص قدم شكوى قضائية ضد الإمام قال فيها ـ مخاطباً الإمام ـ: أنكم ألحقتم بي ضرراً وعليكم جبران ذلك!

ولا أدري أي أبناء الحلال في العدلية هو الذي وقعت في يده هذه الشكوى فأرسل إبلاغاً رسمياً للإمام قال فيه: حضرة السيد روح الله المصطفوي، رفعت للمحكمة شكوى ضدكم، فعليكم أن تحضروا إلى المحكمة في الساعة الفلانية بأنفسكم أو إرسال محامٍ ينوب عنكم لتقديم التوضيحات بشأنها!

ثم اتصلوا بي هاتفياً من بيت الإمام وسألوني عن الأمر، فقلت: لا عِلمَ لي بالأمر ابعثوا لي بالإبلاغِ لكي أحقق في الأمر، ولما جاؤوني بالملف وجدت أن الشاكي هو من أهالي خرمشهر، وهو يطالب في شكواه بتعويضات من الإمام تربو على التسعين ألف تومان أو التسعمائة ألف، (كانت التعويضات المدعاة تقل عن المليون تومان)، وقدّم توضيحاً لذلك بقوله: عندها هاجم الصداميون مدينة خرمشهر جمعنا

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني، صحيفة إطلاعات (١٣٥٩/٧/٥ هـ.ش).

أثاث منزلنا وأردنا الخروج من المدينة، لكنكم قلتم إن الخروج من المدينة خلاف أحكام الشريعة، ولذلك بقينا في المدينة ثم دخلها العراقيون ودمروا كل أثاثنا، لذا عليكم أن تدفعوا لنا نحن أثاث منزلنا!

قلت يومها لرئيس العدلية يومذاك: هل هذه الشكوى جديرةٌ بالعرض وهل تشتمل على ما يتطلب الملاحقة القضائية أصلاً؟ بل هل يمكن وصفها بأنها شكوى؟ فقال: واللّهِ لا عِلمَ لي بالأمر، لقد كتبها الرجل وقدمها لأحد موظفي العدلية فكتب الإبلاغ وسلمه للشرطي الذي أوصله بدوره لبيت الإمام!

ولم تكن هذه القضية جديرة بالمتابعة أصلاً، ليس لأنها موجهة ضد الإمام بل لأنها فاقدة لشروط الشكوى القضائية من الأساس... وبعد مدة سألني الإمام عن هذه الشكوى فأخبرته بقصتها فقال: «لو حددتم مبلغاً معيناً نقدمه للشاكي»! قلتُ: لو قمتم بذلك وشاعَ أن أحد الأشخاص قدم مثل هذه الشكوى وقد دفع له الإمام تعويضاتٍ عن خسارته فلن يكون بإمكانكم الاستجابة لتبعات الأمر لأن أهالي جميع المناطق المتضررة في الحرب سيقدمون شكاوى مماثلة وعليكم أن تدفعوا تعويضات لهم جميعاً وهذا ما لا تستطيعونه؛ فاسمحوا [ودون متابعة الشكوى] بأن يدفعوا له مبلغاً من المال.

وافق الإمام على الاقتراح وقد تابع هذه الشكوى ضده إلى هنا ولم يقل؛ مَن هذا الذي قدم شكوى ضدي؟ ومَن هذا الموظف الذي كتب الإبلاغ؟ ومَن هذا الشرطي الذي جاء به؟ كيف لم يفهم هذا أن الشكوى ضدي، وأمثال ذلك، كلا لم يقل الإمام ذلك، بل على العكس سأل عن متابعة هذه الشكوى وكان يتوقع أن تدينه المحكمة وتطلب منه أن يدفع تعويضات للشاكي[1]!!

---

(١) آية الله الموسوي الأردبيلي.

نريد إقرار عدالة الإسلام

قال الإمام في لقائِهِ بعوائل قرية «قارنا» الكردية من قرى مهاباد: «نحن نريد أن نقيم في هذه الدولة عدالة الإسلام الذي لا يسمح بأن تُظلم يهودية في ظل حكمه، والإسلام الذي يكون الشخص الأول فيه على حدٍّ سواء مع الشخص الآخر أمام القانون»(١).

لا فرق بين رجال الدين وغيرهم

قدمت تقريراً للإمام ـ أثناء لقائي بسماحته ـ عن منظمة التفتيش العامة في الدولة، فقال: «يجب أن تحتل مهمة التفتيش في عمل المؤسسات الثورية بالذات موقع الصدارة في عمل المنظمة، فإذا شاهدتم ـ أثناء تحقيقاتكم ـ أن أحد المنسوبين لمؤسسات الثورة قد ارتكب مخالفةً فسلموه فوراً للسلطات القضائية لكي يبت مجلس القضاء الأعلى في أمره، لا فرق في ذلك بين أن يكون من رجال الدين أو من غيرهم»(٢).

جيدٌ إذا لاحقتم المتخلفين

زار، أعضاء هيئة متابعة أمر الإمام، وأثناء اللقاء سأل السيد الموسوي الأردبيلي الإمام عن حاله فأجاب: «الحمد لله» ثم التفت إلينا وقال: «ولكن إذا قمتم أنتم بأعمالكم ـ إن شاء الله ـ بصورة جيدة ولاحقتم مرتكبي المخالفات»(٣)!!

---

(١) صحيفة كيهان (١٣٥٨/٦/٢٥ هـ.ش)، كتاب (محضر نور)، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين المحقق الداماد، صحيفة إطلاعات (١٣٦٠/٩/٧ هـ.ش)، كتاب (محضر نور) ج ١، ص ٥٥٧.

(٣) آية الله الإمامي الكاشاني، صحيفة كيهان (١٣٦٨/١٠/٨ هـ.ش)، كتاب (محضر نور)، ج٢، ص ١٠٠.

الفصل الخامس عشر:

عفوه وصفحه

عفوتَ عنه وعن كل ما سلف

كان يقيمُ في النجف رجلُ دين مسنٌ من أهل مازندران يسيء الظن بالإمام بدون مسوغٍ، وبقي على ذلك عدة سنين، وبلغَ به سوءُ الظن بالإمام درجةً كان ينهى معها بعض طلبة الحوزة عن حضور درس الإمام!

وذات يوم خرجت بسرعة لمرافقة الإمام لكي لا يذهب وحده إلى الدرس لأنه لَّم يكن يستدعينا عندما يخرج للذهاب إلى القاء درسه، ولذلك حدث مراراً أن يخرج وحده فاضطر إلى الركض لكي ألحقه! وفي ذلك اليوم خرجت على عجل لمرافقته وهو يذهب إلى الدرس في الوقت المعتاد وهو الساعة التاسعة وخمس وأربعون دقيقة فرأيت ذلك الشيخ المازندراني يقبل باب بيت الإمام ثم هوى على عتبتها يقبلها!!

أعربتُ عن تعجبي من فعله بصوتٍ يسمعه، فالتفت إليّ وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله[1]، قلت: عجباً ما الذي جرى يا شيخ؟ قال: هل أنت ذاهب للدرس؟ وهل سيذهب السيد

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

إلى المسجد لإلقائِهِ؟ أجبت: نعم، قال: أنا أيضاً آتٍ إلى المسجد! ولم يكن هذا الشيخ يدخل المسجد الذي يلقي الإمام فيه درسَهُ كما كان يمنع ابنه من تقبيل يد الإمام!

في غضون ذلك فتحت الباب وخرج الإمام، فأنسحب الشيخ خجلاً وذهب إلى زقاق آخر، أما أنا فقد رافقت الإمام في الذهاب إلى المسجد، وكان من حسن حظ هذا الشيخ أنني لم أحمل في ذلك اليوم الكتاب معي ولذلك لم اضطر إلى الجلوس عند المنبر فجلست عند الباب فجاء وجلس إلى جانبي، وقال: لا يخفى عليك أن أصدقاء السوء قد أثروا عليّ، فأسأت الظن بهذا السيد لكثرة ما سمعته من هؤلاء المغرضين من أن الإمام يقرأ الجرائد!! وأن السيد الفلاني قد قام بالمجاهدات حتى تقدم عليه...

ثم قال لي هذا الشيخ المسن: رأيتُ ليلةً في عالم المنام أنني في حرم أمير المؤمنين عليه السلام ـ، فرأيتُ عدداً من الأشخاص جالسين متجاورين، دققتُ النظر في وجوههم فوجدت أن هيئة كل منهم تتناسب مع سنه [كل من الأئمة عليهم السلام ـ]، وقالوا عن الثاني عشر أنه الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ، كان جالساً في آخر الصف ووجهه ذو طلعة ملكوتية غاية في الجمال تشع بالأنوار.

ثم أخذ العلماء يتوافدون عليهم تباعاً وكانوا يخرجون جميعاً من مقبرة المقدس الأردبيلي، أخذتُ أنظرُ بأمعانٍ إلى وجوههم لعلي أتعرف عليهم، قالوا عن أحدهم أنه: «الشيخ شلال» وهو من شيوخ العرب، فرحت كثيراً لما أرى، أردت أن أتحرك لكنني لم أستطع، كأنهم أوثقوني بالأرض، كان أولئك الإثنا عشر يكرمون كل شخصٍ من العلماء يفدُ عليهم، كان يقوم بتكريم بعضهم أمير المؤمنين عليه السلام وواحد أو اثنان من الإثني عشر فيما كان البقية يتحدثون فيما بينهم؛ فيما كان يقوم بتكريم

أخرين من الوافدين عليهم سبعة أو ثمانية من الإثني عشر، إلى أن رأيتُ فجأةً السيد الخميني يدخل عليهم من جهةِ الإيوان وأنت تمشي خلفه، خلع نعليه عند مستودع الأحذية فقمت أنت بوضعها جانباً واتبعته على عجل، ولما دخل السيد الخميني رأيت الثاني عشر منهم يقوم له بمجرد أن رآه، وقام بعد، الحادي عشر منهم ثم العاشر، ثم رأيتهم وقد قاموا له جميعاً ثم جلسوا باستثناء الثاني عشر الذي بقي واقفاً وناداه قائلاً: «يا روح الله»، فجمع السيد الخميني عباءته قال: «نعم يا مولاي»، قال: «تقدم إلى الأمام»، فتقدم السيد الخميني بسرعة نحوه، وعندما وصل إلى إمام الزمان ـ عجل الله فرجه ـ لاحظت أن قامتيهما متساويتين في الطول، فلم تكن قامة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ أطول من قامة السيد، أو أن يكون السيد الخميني أقصر من الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ.

وقفا بحالةٍ كانت أذن السيد الخميني بالقرب من فم إمام الزمان ـ عجل الله فرجه ـ، همس الإمام المهدي بشيء؛ في إذن السيد الخميني، فقال السيد: «سمعاً وطاعة، سأقوم بذلك، سأنفذ ذلك إن شاء الله. وبقي الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ يخاطب السيد همساً بأشياء وبسرعة لمدةِ ربع ساعة بالضبط!

وعند انتهاء كلام الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ تراجع السيد الخميني متراً أو مترين فيما جلس الإمام، فرفع السيد الخميني يده مسلماً على الأحد عشر الآخرين فأبدوا جميعاً تكريمهم له، ثم أخذ السيد الخميني يمشي القهقري فلم يدر ظهره إليهم بل كان مقبلاً بوجهه عليهم وهو يخرج دون أن يدخل لزيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام فسألتُ ولا زال الحديث للشيخ المازندراني وهو ينقل رؤياه ـ: لماذا لم يدخل السيد الخميني إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام؟ فأجابوني: إن أمير المؤمنين عليه السلام جالسٌ هنا فأنى يذهب السيد؟!

ثم توجه السيد الخميني إلى مستودعِ الأحذية، فقدمت أنت له نعليه، ثم تحرك خارجاً من صحن الحرم العَلوي بسرعة. ثم انتبهت أنا من النومِ وأجهشتُ بالبكاء فاستيقظت زوجتي ورأتني أبكي، نظرتُ إلى الساعة فَوجدتُ أنه قد بقيت ساعة لأذان الفجر، قلت: لقد ظلمت السيد، اللهم اغفر لي ذلك.

لقد آمنتُ بمقامِ هذا السيد، ولكنني لا زلتُ في أذىً مما سلف مني، ثم كان أول عَملٍ قمتُ به هو ما رأيته أنت ولم يره سواك، حرصتُ على أن لا يراني أحدٌ، كان عليّ أن أقبل عتبة داره ولا أدري كيف خرجت أنت ورأيتني!

قلت: ينبغي نشر هذه الفضيلة ويجب عليّ أنا أن أنشرها، قال: هذه هي قصتي، وما أرجوه منك ـ والله يشهد عليّ ـ أن تطلب من الإمام ـ إذا استطعتَ ـ أن يعفو عني، أجبته: أستطيع القيام بما طلبت الآن! ولما خرجنا من المسجد أخبرت الإمام بقصة الرجل وقلت: إن الشيخ يطلب من سماحتكم العفو، فقال: لقد عفوت عنه، عفوت عن كل ما سلف.

ثم دخل الإمام المنزل، ولحقني الشيخ وهو يركض ويبكي وسألني عما جرى، فأخبرته بما قال الإمام، وعندها هوى ساجداً شكراً لله، ثم أخذ يتردد علينا في الليل والنهار وأخذ الإمام يوليه رعاية خاصةً أيضاً، وفاز بخير الدنيا وخير الآخرة[1].

أعفو عنه ليعفو الله عني وأسأل له الهداية

كنتُ أسكنُ في غرفةٍ مجاورة للغرفة التي كان يسكن الإمام فيها في مدرسة دار الشفاء عندما كنتُ أقيم في هذه المدرسة، وكان أحد أهل العلم يأتي من المدرسة الفيضية إلى مدرسة دار الشفاء لكنه لم يكن

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج ١.

يتجاوز حدَّ غرفتي إذْ لم يكن يرغب حتى في رؤية غرفة الإمام فضلاً عن الإمام نفسه! وسبب ذلك أنه كان معارضاً بشدة، للعرفان والفلسفة ويستنكر آراء الإمام.

وقد نقلوا للإمام يوماً موقف هذا الشخص السلبي تجاهه وقالوا؛ إنه يتحدث ضدكم أحياناً، فأجاب: «إنني أعفو عنه في كل ما سلف منه مما يرتبط بي وأرجو أن يكون اغتيابه لي وافتراءاته عليّ سبباً لعفو الله عني وغفرانه لي كما أسألُ الله له الهداية»[1].

يعفو عن كل مَن ظلمه دون استثناء

حدثَ مراراً أن أشخاصاً كانوا يوجهون الإهانات للإمام ويسيئون القول فيه ثم يتعرفون على الحقيقة ويندمون على ما صدر منهم ضده فيبعثون رسائل يطلبون فيها العفو والصفح منه، وكانت جميع هذه الرسائل تعرض على الإمام فكان يقول بشأن صاحب كل منها ـ ودون استثناء ـ: «لقد عفوت عنه». وقد كتب أحدهم وهو مسلم أميركي من أصل عربي رسالة للإمام قال فيها: لقد ارتكبتُ بتوجيه الإهانات لسماحتكم ذنباً عظيماً، وهذا الذنب يؤذيني بشدة وقد استولى عليّ بشكل كابوس مرعب، . . ، ثم طلب ـ بتضرع ـ العفو من الإمام، وعندما عرضت الرسالة على الإمام قال بلهجةٍ مفعمة بالرأفةِ والمودة: «لقد عفوتُ عنه»[2].

لم يكتفِ بالعفو والصفح بل...

من القيم السامية التي تجلت في سيرة الإمام، عظمة صفحة وعفوه عن الذين أساؤوا لشخصه الكريم أو وجهوا له الإهانات التي شاهدنا

---

(١) آية الله السيد حسين بدلا.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين محمد حسن رحيميان، كتاب (في ظل الشمس)، ص ٩٧.

نماذج لها في بعض الحوادث وفي برقيات وبيانات ورسائل بعض المعارف، وشاهدنا كيف أن الإمام لم يكتف بالصفح عن إساءاتهم للأدب وسبهم له، بل أضاف إلى ذلك منع محبيه من القيام بالدفاعِ عنه[1]!

ليكن كارهاً لي.. لكنني ملتزمٌ بالصمت تجاهه

كان أحد السادة يتخذ موقفاً سلبياً تجاه الإمام ويتكلم ضده في غيبته كثيراً، وكان له أخوان يحبان الإمام، وعندما توفيت إختُهُ ذهبتُ أنا والمرحوم الأخ سعيد الإشراقي (وهو عم المرحوم الشيخ شهاب الدين الإشراقي صهر الإمام) إلى الإمام وقلنا له: لقد توفيت أختُ هذا السيد فأذهبوا إلى مجلس تأبينها من أجل أخويه. فظهر الأذى على وجهه وقال: «لقد ذبح أمير المؤمنين علي عليه السلام سبعمائة يهودي في ليلةٍ واحدة، وأنا منه ومن ذريته (أي حرى بي أن أقتدي بفعله)! ليكن فلانٌ [الشخص المذكور] كارهاً لي، لكنني ملتزمٌ الصمت تجاهه، فإنْ لم أذهب إلى المجلس التأبيني، فإنَّ أصلَ سكوتي عنه غنيمةٌ له [ورحمة به]، لأنه لو أراد أن يتجاوز حدوده فإنني سأصدر حكمي»[2]!!!

أفوض أمري إلى الله

سافرت إلى قم في سنة ١٣١٧ ـ ١٣١٨ هجري شمسي [٣٨ ـ ١٩٣٩م] بهدف الدراسة في حوزتها، وكان على الطلبة يومها الدخول في امتحانات علمية. كانت حوزة قم يومذاك تُدار من قبل ثلاثة علماء كبار عُرفوا باسم «العلماء الثلاثة» وهم السادة: الحجة والخوانساري والصدر،

---

(١) آية الله بني فضل، الملحق الخاص لصحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة الذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الصادقي الطهراني.

وكانوا يجرون امتحانات للطلبة لتخصيص رواتب شهرية لهم، وكان الإمام والمرحوم السيد محمد تقي الزنجاني من العلماء الذين يثق بهم العلماءُ الثلاثة المذكورون ولذلك جعلوهما من العلماء الذين يتولون مهمة إمتحان الطلبة؛ وكانا جالسين يوماً في غرفة أحد الطلبة ـ اسمه «صاحب الداري» وهو من أهل بروجرد وتقع غرفته بجوار مكتبة المدرسة الفيضية ـ حيث كانا يمتحنان الطلبة: فكتب أحدهم ـ وهو من مدينة تبريز أو من مدينة آستارا ـ رسالة للإمام ضمنها مجموعة من الإهانات، ويبدو أن الذي دفعه إلى كتابتها قلقة من نتيجة إمتحان الإمام له، فلما قرأ الإمام الرسالة كتب جواباً عليها سلمه للسيد صاحب الداري لكي يقرأه للسيد الزنجاني لأن السيد الزنجاني كان يحظى ـ عن جدارة ـ باحترام كبير من قبل طلبة الحوزة الأتراك. كنتُ يومها حاضراً ضمن الذين جاؤوا للمشاركة في الإمتحان هناك، وقد سمعت ما كتبه الإمام في جوابه على رسالة ذلك الطالب أثناء قراءة هذا الجواب، وكان ما كتبه الإمام هو:

«سماحة السيد الحاج... يبدو أنكم كتبتم أشياءَ كانت المصلحة المرجوة في أصل «الإنشاء» دون أن يكون لكم غرضٌ جديٌ من كتابتها. ونعم الحكم الله».

ومراد الإمام من «الإنشاء» هو الكلام الذي نقوله ونريد تجسيده عملياً لكننا لا نكون جادين في تنفيذه حقاً، ومنه يتضح أن ذلك الطالب قد كتب أشياءَ غير مناسبة للإمام ولذلك أجابه بأن المصلحة المرجوة في أصل الإنشاء لهذا الكلام دون غرض جدي في تجسيده عملياً، وعلى ضوء ذلك يمكن تفسير قوله «ونعم الحكم الله» بأن معناه هو: أفوض هذا الأمر لله تعالى، أو أن الله هو خير من يقضي في مثل هذه الأمور[١].

---

(١) آية الله عباس الأيزدي النجف آبادي، كتاب خطوات في أثر الشمس)، ج ٢، ص ٢٩٢.

يأمر بإنقاذ مَن كاد أن يدهسه

كان الإمام كثير العفو والصفح. فمثلاً كنتُ أرافقه ليلةً في طريق العودة من زيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام، وكان ذلك في الساعة التاسعة والنصف مساءً، والشارع كان يخلو من المارة، كما كان الجو بارداً أيضاً، وفجأة مرَّ رجل اسمه عبد العزيز ـ وكان من الأثرياء، وكان يقود سيارته وهو سكران ـ كان يسير بسيارته بسرعة عالية جداً ومرَّ بها قريباً من الإمام وبدرجة كاد أن يسحقه بها لو لم أدفع الإمام إلى جانب الشارع، وأثناء ذلك ضربتُ بقوة على زجاجة سيارته وصرخت: يا ملعون الوالدين!

أوقف هذا الرجل سيارته عند بداية الزقاق الذي يقع فيه بيت الإمام، ثم نزل منها وتوجه صوبي بهيئةِ أحد «الشقاوات»، كان من المتفرعنين ومن شيوخ العرب، أراد أن يعاقبني على ضربي لزجاجة سيارته، وعلى أي فقد اشتبكنا وتجمع الناس حولنا لكي ينهوا اشتباكنا. أثناء ذلك قال لي الإمام: «اتركه أيها السيد الفرقاني»، قلت: حياتي ليست مهمة يا سيدي، لكنه كاد أن يسحقك أنت! فقال: «لا بأس، اتركه الآن». ثم جاء عددٌ من أفراد الشرطة فطلبت منهم أن يمسكوه، ثم أوصلت الإمام إلى المنزل ورجعت، وكان السيد القرهي حاضراً هناك أيضاً فسألته: ماذا نفعل الآن؟ هل نرسله إلى سجن بغداد؟ أجاب: كلا، فإن ذلك سيؤذي الإمام.

ذهبنا إلى حيث كان أفراد الشرطة يمسكون بالرجل وقلتُ لهم: إن لم يكن هذا الرجل مكلفاً من قبل الشاه بسحقِ الإمام واغتياله فالحد الأدنى لجرمه أنه [يقود سيارته وهو] سكران، فيجب أن ينال عقابه على ذلك. فأصروا على أن يخرج الإمام لكي يعتذروا منه ويقبلوا يديه ورجليه! قلنا: لقد دخل السيد إلى القسم العائلي من بيته، فقال أفراد الشرطة: وماذا نفعل نحن؟

وأثناء ذلك سمع الإمام أصوات الضجيج الناشىء من هذا الجدال فقال: «ما هذا الضجيج؟ لماذا تؤذون الناس؟» ثم قال لي: «إذهب الآن وخلص الرجل وإتركه يذهب إلى بيته»[١]!

هذا العمل خلاف المروءة

كنت يوماً في حرم الإمام الحسين عليه السلام أتلو زيارته، فقام أحد الخدام غير المؤدبين بجمع البساط الذي يجلس عليه الإمام! فرفع الإمام السجادة وكتاب «مفاتيح الجنان» وجلس على الأرض! وكان بعضهم يقومون عن عمدٍ عند دخول الإمام للحرم بكنس أرضيته ودفع التراب باتجاهه، دون أن نتمكن من القيام بأي عملٍ لمنعهم لأن الإمام كان يقول لنا: «ما شأنكم بهم؟! دعوهم يقومون بعملهم»! لكنني لم أطق الصبر في تلك المرة عندما جمع ذلك الخادم البساط الذي يجلس عليه الإمام، لقد كان الخدام يقومون بمثل هذه الأعمال عند دخول الإمام لأنهم إعتادوا أن يلتفوا حول السادة العلماء عند دخولهم للحرم فيحصلون منهم على إكراميات مالية دون استحقاق، أما الأمام فلم يكن يعطيهم مثل هذه الأموال التي لا يستحقونها.

غضبتُ مما فعله ذلك الخادم وقلت له: والله لأرينّك الويل! فعرف الإمام بذلك وقال لي: «هذا العمل خلاف المروءة، ما شأنك به؟ دعوهم يقومون بعملهم، عليهم بالتالي أن يجمعوا سجاد الحرم». لكنني قلت هذه المرة: كلا لن أدعه! ثم قدمت شكوى عن طريق مديرية المحافظة مضمونها أن الشيخ محمد رئيس خدام الروضة الحسينية قد وجه هذه الإهانة للإمام. فاعتقلوه فوراً، وجاءت إثر ذلك زوجته مع أطفاله إلى منزل الإمام، واعتذروا من فعلته وقالوا: إنه لم يعرف الإمام وقد أخطأ، إنهم سيقطعون رزقنا. .

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

وأثناء ذلك خرج الإمام لزيارة حرم سيد الشهداء عليه السلام فقال له خادمُهُ حسين: هذه المرأة يا سيدي هي زوجة ذلك الخادم، فأخذت المرأة تعتذر بتضرع إلى الإمام الذي قال لنا: «لماذا تقطعون رزق الناس؟ اتركوا الرجل يرجع إلى عمله»[1].

يدعو للشيخ علي الطهراني بالنجاة

كان الإمام يستمع لما تبثه الإذاعات الأجنبية: إذاعات أميركا. إنجلترة، إسرائيل وغيرها وإن كان يحرم على الناس الاستماع إلى بعضها، كما كان يستمع لأحاديث الشيخ علي الطهراني التي كانت تبثها إذاعة بغداد. كان يقول: «إنني أدعو الله تعالى في الليالي للشيخ علي أن ينقذه من سيطرة صدام والمنافقين». وبعد أن شن الشيخ علي الطهراني هجوماً بذيئاً للغاية على الشيخ الهاشمي الرفسنجاني قال الإمام: «لا يجوز لي أنا أيضاً بعد الآن أن استمع لأحاديثه»[2].

حريص على هداية عدوه وكأنه ولي حميم

جرى الحديث يوماً عن خصوصيات الإمام مع الشهيد حجة الإسلام والمسلمين السليمي الذي جاء إلى الجبهات الجنوبية ممثلاً لبيت الإمام وبهدف تقوية معنويات جند الإسلام وزيارتهم؛ وقد قال أثناء حديثه: قبل أيام أخبرنا الإمام بالهجمات العنيفة والإهانات البذيئة التي يشنها ضده الشيخ علي الطهراني في أحاديثه التي تبثها إذاعة بغداد وقلنا له: إن هذا الخبيث قد تمادى في التجرأ على سماحتكم!

وبعد أن إنتهى كلامنا التفت لنا وقال: «لقد ذكرته قبل أيام فدعوت الله له»!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (حوزه)، العدد: ٤٥.

لقد كان الإمام حريصاً على هداية حتى خصمائِهِ وأعدائِهِ[١].

مقابلته الإساءة بالإحسان

ما أكثر الإفتراءات والإتهامات والإهانات التي كان يوجهها المغرضون والجهلة واللقطاء في قم والنجف للإمام، وما أكثر الأذى الروحي الذي كانوا يسببونه له، لقد أشار الإمام إلى نموذج لذلك في بيانه إلى الحوزات الدينية وعلماء الإسلام وذلك عندما ذكر قضية تطهيرهم لوعاء الماء الذي شرب منه ابنه في المدرسة الفيضية بجرمِ أن أباه يدرس الفلسفة!!

ولكن الإمام لم يخطر على ذهنه أبداً للسعي للرد على أولئك لا قبل انتصار الثورة عندما وصل إلى مسند المرجعية العليا والمطلقة في الحوزات العلمية، ولا بعد الثورة عندما بلغ ذرى الشوكة والإقتدار العام، بل على العكس من ذلك، لقد بادر إلى تفقد بعض هؤلاء الأشخاص الذين لم يكن مؤيدوه يطيقون رؤيتهم على قيد الحياة بسبب سوابقهم السوداء وشدة ما ألحقوه بالإمام من أذى، لكن الإمام كان يبادر رغم ذلك إلى السؤال عنهم وتقديم المساعدات لهم وإرسال مَن ينوب عنه في عيادة المرضى منهم وإزالة المشاكل التي تحيط بهم قدر المستطاع[٢].

يحفظ كرامتهم

كان الإمام يدحض بالمنطق السليم والاستدلال القويم وبأساليب متنوعة منهج الجمود والتحجر وطريقة تفكير المتحجرين، لكنه ـ إلى جانب ذلك ـ كان يحترم شخصيتهم العلمية وكرامتهم الشخصية ما لم يقوموا بأعمال إفسادية مغرضة ضد مصالح الإسلام والمسلمين، ولذلك

---

(١) السيد غلام علي الرجاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

كان يبادر إلى تفقد أحوالهم ويأمر بتقديم المعونات المالية لهم، وكان يرسل إذا علِمَ بمرضِ أحدهم مَن ينوب عنه في عيادته، وإضافة لذلك كان يأمر بالتحقيق لمعرفة احتياجاته ودفع تكاليف علاجه، بل وكان يأمر ـ عند اللزوم ـ بإرسال بعضهم إلى الخارج لتلقي العلاج[1].

لم يقطع صلاته لمنتقديه

كانت حملات المغرضين الدعائية ضد الإمام كثيرة في النجف، فكانوا أحياناً يعيبون عليه إهتمامه بأن تكون الملابس التي يرتديها مرتبة ونظيفة وأن يكون مشيه بهيئةٍ مستقيمة!! وكانوا يرسلون له أحياناً رسائل شفهية تقول: إن من غير المناسب لكم ـ وأنتم في مقام المرجعية ـ أن تظهروا أمام أعين الناس بملابس جميلة! وقد قال لي الإمام يوماً أن شخصاً ـ وبالطبع لم يذكر الإمام اسمه فهو كان يتنزه عن ذكر اسم أحد ـ جاءني إلى هنا وعابَ عليّ كل ما استطاع، لكنني لم أقطع صلتي له بالأموال ما دام في النجف وإلى أن سافر إلى إيران»[2].

لا يغضبُ لنفسِهِ

كان الإمام يتحلى بكثرةِ العفو والصفح فيما يرتبط بشخصه هو، وقد شاهدت بنفسي أشخاصاً يأتون إليه ويوجهون إليه أهانات شديدة دون أن يواجههم بأي رد فعل عنيف، فمثلاً قبل سنين طويلة وعندما كنت لا زلت في بيت الإمام [قبل زواجي] غضب أحد أرحامنا وكنا مجتمعين على مائدة طعام العشاء ـ بسبب قضية معينة، واشتد به الغضب إلى درجةٍ قام معها بعصبية من مكانه وهجم على الإمام وبحالةٍ تصورنا معها أنه يريد أن يضربه، أما الإمام فلم يبدِ أبسط ردّة فعل، هذا الرجل انتبه إلى

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي الفرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج ١.

حاله قبل أن يرفع يده على الإمام ورجع إلى مكانه والإمام جالسٌ بهدوء على المائدة لم تظهر عليه ملامح الغضب ولا غيره[(١)].

تعامل بالقول اللين مع الغاضب

حدثَ مرة أن أحد أرحامنا جاء إلى منزل الإمام وكنا جالسين عنده في ساحة المنزل فقد كان ذلك في أيام الصيف، كان هذا الشخص يحمل آراءً اعتراضية خاصة بشأن بعض القضايا ـ وكان ذلك قبل عدة سنين أيام رئاسة بني صدر ـ كان يعرب عن آرائِهِ بانفعال ويخاطب الإمام بصوتٍ مرتفعٍ وبعنف ويقول له: يجب أن تسمحوا بأن يأتوا إليكم ويقولوا في منزلكم: الموت لفلان وفلان!

لاحظت عند ذلك ملامح الأذى تظهر على وجه الإمام لكنه رغم ذلك كان يرد على ذلك الشخص بكل لين وهدوء ويقول له: «لماذا تصرخون؟ تعالوا نتحدث ونناقش الأمر سنصل في النهاية إلى اتفاقٍ بطريقةٍ ما، أنا لم أمنع أحداً من المجيء إلى هنا، الجميع أحرار في التعبير عن آرائهم».

لقد تعامل الإمام بكل لين مع هذا الشخص، رغم أنه كان مريضاً وكنت قلقةً من أن تصيبه أزمة قلبية[(٢)].

لا تتحدث بشيءٍ عن هذا الموضوع لأحد

عندما عاد الإمام إلى قم بعد انتصار الثورة، بادر بروحٍ نبيلة مفعمة بالوفاء إلى زيارة السادة العلماء وأصدقائِهِ القدامى في منازلهم، وجاء أيضاً إلى منزلنا. فقد اتصل الشيخ الإشراقي هاتفياً بنا وقال: يريد الإمام

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي.

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

أن يأتي إلى منزلكم. قلت: حبذا لو تصبرون لكي نستعد لذلك بترتيب المقدمات المناسبة، قال: كلا، لقد قرر الإمام زيارتكم.

عندما دخل الإمام ساحة منزلنا رأى المسلحين (أفراد الحماية الأمنية)، فقال [ممازحاً]: «الحذر من أن يعتقلني هؤلاء»!! فقلت: كل هؤلاء هم منكم يا سيدي! فقال: «حسنٌ ما فعلتم إذْ لم تغفلوا عن اتخاذ الاحتياطات الأمنية، اصطحب معك دائماً حرساً أثناء تنقلاتك».

كنا قد أخذنا قطعتين من البساط من نوع «النمد» لكي لا تكون الغرفة خالية بالكامل فقال الإمام عندما رآه: «أعجبني كثيراً هذا البساط».

وقد رافق الإمام في هذه الزيارة الشيخ الإشراقي والشيخ حسن الصانعي، وعندما أراد الخروج طلب منهما أن يخرجا قبله، فلما خرجا التفت إليّ وقال: «لا تتحدث بشيءٍ لأحدٍ عن هذا الموضوع»، ورغم أنني عرفت الموضوع الذي يشير إليه إلا أنني سألته: أي موضوع تقصدون؟

كان الإمام يعلم بأنّ ملف الشريعتمداري عندي فقد أخبرته بذلك من قبل، أجاب على سؤالي: «أعني الموضوع الذي يرتبط بالسيد الشريعتمداري». فقلت: ولماذا التزم الصمت بشأن هذا الموضوع؟! أنتم لا تتحدثوا عنه لأنّ مكانتكم الآن لا تسمح بذلك، ولكن لماذا لا نتحدثُ نحن؟ فلم يقل الإمام شيئاً.

وقد جاء بعد انتهاء زيارة الإمام مراسل صحيفة اطلاعات فأعطيته المقالة التي كنتُ قد كتبتها [بهذا الشأن][1].

(١) آية الله صادق الخلخالي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج ٣، ص ٥٩.

مصادر الروايات المنقولة في هذا الجزء وهي جميعاً بالفارسية

ألف ـ الكتب

١ ـ (إمام خميني درآينه خاطره ها: الإمام الخميني في مرآة الذكريات) الشيخ علي الدواني، انتشارات مطهر، طهران ١٣٧٣ هـ.ش.

٢ ـ (پابه پاي آفتاب: خطوات في أثر الشمس)، أمير رضا ستوده، إنتشارات پنجره، طهران ١٣٧٤ هـ.ش.

٣ ـ (پيرامون إنقلاب إسلامي: حول الثورة الإسلامية)، الشيخ مرتضىٰ المطهري، إنتشارات صدرا.

٤ ـ (تحليل از نهضت إمام خمينى: دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني)، السيد حميد الروحاني، إنتشارات دار الفكر ودار العلم، قم ٣٥٨ هـ.ش.

٥ ـ (درسايه آفتاب: في ظل الشمس)، الشيخ محمد حسن رحيميان، منشورات پاسدار إسلام، قم ١٣٧٠ هـ.ش.

٦ ـ (سرگذشتهاى ويژ از زندگي إمام خميني: حوادث خاصة من سيرة الإمام الخميني)، السيد مصطفىٰ الوجداني، إنتشارات پيام آزادي، قم ١٣٦٢ هـ.ش.

٧ ـ (سيماي فرزانگان: سيماء الصالحين)، الشيخ رضا الإستادي.

٨ ـ (شريك صلوات)، السيد غلام علي الرجائي، إنتشارات پيام آزادي، طهران ١٣٧٢ هـ.ش.

٩ ـ موسوعة (صحيفة نور)، مركز الوثائق الثقافية للثورة الإسلامية، طهران ١٣٦١ هـ.ش.

١٠ ـ موسوعة (كوثر)، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

١١ ـ (كلهاى باغ خاطره: زهور من بساتين الذكريات)، مركز التنمية الفكرية للأطفال والأحداث، ١٣٧١ هـ.ش.

١٢ ـ (ويژكيهاى از زندگى إمام خميني: خصوصيات من سيرة الإمام الخميني).

باء ـ الصحف والمجلات والنشرات الخاصة

١ ـ (آينده سازان: بناة المستقبل)، العدد ١١.

٢ ـ (إطلاعات هفتگى: إطلاعات الأسبوعية)، العدد ٢٤٤٢.

٣ ـ (آرمغان: الهدية)، العدد ١١.

٤ ـ (أميد إنقلاب: أمل الثورة)، الأعداد: ٢٥، ٨٠، ١٠٣، ١١٣، ١٣٨، ١٤٢، ٢٠٥، ٢١٣.

٥ ـ (١٥ خرداد)، الأعداد: ٥، ٦، ١٠، ١٤.

٦ ـ (باسدار إسلام: حارس الإسلام)، الأعداد: ١، ٦، ٨، ١٠، ١٣، ١٨، ٣٩، ٥٨، ٨٦، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٦، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥.

٧ ـ (بيام إنقلاب: رسالة الثورة)، الأعداد: ١٨، ٤٨، ٥٠، ٥٤، ٦٣، ٧٠، ٨٦، ٨٩، ١٠٥، ١٣٥، ١٨٣، ٢٦١.

٨ ـ (بيك إرشاد: رسالة الإرشاد) عدد الالشهر الرابع من سنة ١٣٦٨ هـ.ش.

٩ ـ (بليس إنقلاب: شرطة الثورة)، العدد: ١٠٠.

١٠ ـ (جوانان إمروز: شباب اليوم)، العددان: ٧٦٦، ١١٨٩.

١١ ـ (جهاد)، العددان: ٢٦، ٣٥.

١٢ ـ (جهاد روستا: جهاد القرية)، العدد: ٢٣٠.

١٣ ـ (حضور)، العددان: ١، ٣.

١٤ ـ (حوزه)، الأعداد: ٣٢، ٣٧، ٣٨، ٤٥، ٤٩.

١٥ ـ (دررثاي نور: مرثيةٌ للنور) نشرة خاصة.

١٦ ـ (رشدجوان: الشباب الراشد)، العدد الأول من السنة الثامنة.

١٧ ـ (زن روز: امـــرأة اليوم)، الأعـــداد: ٧٧٤، ٨٧١، ٩٥٤، ٩٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٩١.

١٨ ـ (سروش: الهاتف)، العددان: ٧٦، ٤٧٦.

١٩ ـ (شاهد)، الأعداد: ٢٤، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٥.

٢٠ ـ (شاهد بانوان: شاهد للسيدات)، الأعداد: ١٤٨، ١٤٩، ١٦٧.

٢١ ـ (كيهان أنديشه: كيهان الفكرية)، العدد: ٢٤.

٢٢ ـ الصحف اليومية: أبرار، اطلاعات، جمهورى إسلامي، خراسان، رسالت، سلام، كيهان.

ج ـ يُضاف إلى ذلك أشرطة صوتية لخطابات ومقابلات خاصة.

الفهرست

الفصل الثاني
مودته لأهل البيت(ع) وأخذه بحجزتهم

الفصل الثالث

محافظته علىٰ الصلاة في السراء والضراء

الفصل الرابع
التزامه بالمستحبات وورعه عن المكروهات

الفصل الخامس
قيامه في الليل وتهجده في الأسحار

الفصل السابع

إيمانه بالله وانقطاعه إليه وتوكله عليه وتوحيده له

الفصل الثامن
تقواه وإخلاصه لله وتسليمه له

الفصل التاسع
تواضعه وكراهيته المدح والعجب بالنفس

الفصل العاشر
صدقه الشمولي ومطابقة أقواله لأفعاله

الفصل الحادي عشر
عزته الإيمانية وعلو همته

الفصل الثاني عشر
حسن خلقه المقرون بالوقار والبشر

الفصل الثالث عشر
ورعه عن الغيبة والسخرية بالآخرين واللغو ومجالسها

الفصل الرابع عشر
عدالته ومساواته الشمولية

الفصل الخامس عشر
عفوه وصفحه